مدن العرب .. شواهد حضارة

صبحي سليمان

الكتاب: مدن العرب .. شواهد حضارة

الكاتب: صبحي سليمان

الطبعة: ٢٠٢٢

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

سليمان ، صبحي

مدن العرب.. شواهد حضارة/ صبحي سليمان

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢٢٨ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٦ – ٣٠٥ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١٩٧٠٩ / ٢٠٢١

مدن العرب .. شواهد حضارة





مقدمة

تذكر المعاجم العربية أن كلمة المدينة مأخوذة من (مدن بالمكان) أي أقام به وهي من المساكن ، لذلك تؤثر المدن في ساكنيها كما تتأثر بهم في نفس الوقت، فعلاقة التأثير بين المدن وسكانها تتحرك في الاتجاهين معا، وهو الأمر الذي يكسب المدن خصوصيتها، فتتميز كل مدينة عن سواها، ولعل هذا ما قصده الروائي التركي صاحب نوبل أورهان باموق حين يقول: «لكل مدينة صوت لا يمكن أن يُسمع في غيرها، صوتٌ يعرفه جيداً كل هؤلاء الذين يعيشون في المدينة، ويتشاركون فيه كأحد الأسرار».

وقد حدد اليوناني باوسينياس (توفي في سنة ١٧٦ ميلادية) ماهية المدينة فقال إنها "السلطة والجمنازيوم والمسرح والسوق وماء الشرب".

أما المصادر التراثية الإسلامية ،فقد أشارت إلى مفهوم المدينة بصفة عامة والمدينة الإسلامية خاصة، وهي تتفق مع النظريات الحديثة المفسرة لنشأة المدن، فقد ارتبطت نشأة المدن بالحاجة إلى تنظيم استغلال الماء، وتنظيم أعمال الري وقيام مشروعاته التي تحتاج إلى إدارة تنظم هذه الأعمال وإلى قيام إنشاءات لاستغلال الماء في الزراعة وتطلب هذا الأمر من جهة أخرى اهتماما بالتقويم، وقد ارتبط التقويم بتوقيت صدور الماء، وهذا يفسر السبب في أن الحضارات القديمة نشأت في أحواض الأنهار في الصين والعراق ومصر وغيرها.

وقد وضع قدامة بن جعفر المعايير التي تبين السبب في نشأة المدن وذلك في إطار فكري واسع بين منزلة الإنسان بين المخلوقات ويرتبط بطبيعة الإنسان

وهي تعكس إدراك معايير الكثافة السكانية وتنوع النشاط الاجتماعي واختلاف الطبقات وضرورة وجود السلطة التي تنظم وتسوس هذه الهيئة الاجتماعية.

مدن مصرية

والكتاب الذي بين أيدينا يبدأ الكتاب بحديث عن واحدة من أقدم مدن العالم وهي الأقصر ، وهي بداية منطقية تماما، فمادام الحديث عن الحضارة وربطها بالعمران، فمن الطبيعي أن يبرز اسم الأقصر ، ويشير إلى أنها تتكون من شطرين يفصلهما نهر النيل وهما :البر الشرقى والبر الغربى ؛ وكان يُطلق على البر الشرقي مدينة الأحياء في العصور الفرعونية حيث المعابد الدينية وقصور الملوك وعامة الشعب؛ وكان يُطلق على البر الغربي مدينة الأموات حيث المقابر والمعابد الجنائزية.

ويوجد فيها وحدها أكثر من ثلث الآثار الموجودة في العالم أجمع، وقد عُرفت في الزمن القديم باسم "وَاسِتْ" وهى كلمة تعنى "الصولجان"؛ وكانت لمُدة كبيرة سيدة مدائن العالم القديم؛ وكانت مدينة واسعة؛ ولها أبواب مُتعددة؛ ولذلك سماها مُؤرخو الإغريق "المدينة ذات المائة باب"، أما في العصر الإسلامي فقد اضمحلت مكانتها وأصبحت مجرد قرية تتبع بندر "قوص".

ويسافر الكاتب عبر الزمن ليتحدث عن القاهرة العاصمة الألفية لمصر، منذ بناها جوهر الصقلي في عهد المعز لدين الله الفاطمى وحتى الآن، لذلك يكثر حديثه عن الآثار الإسلامية بالقاهرة، كما أشار إلى التجاور بين القاهرة والجيزة، فهما يمتزجان معاً ولا يفصل بينهما سوي نهر النيل؛ ويربط بينهما عدد هائل من الكباري الكبيرة ؛ كما تحتوي منطقة الأهرامات على أشهر تمثال بالعالم وهو تمثال أبو الهول؛ والذي بناه الفراعنة على شكل فريد من نوعه؛ فرأسه رأس إنسان؛ ولكن باقي جسده هو جسد أسد؛ وهذا الأمر يرمز إلى قوة

الفراعنة؛ وذلك لأنهم يرمزون للرأس إلي أنهم أذكياء؛ ولكن قوتهم كقوة الأسد.

بعدها ينتقل إلى الأسكندرية، فيذكر أن من أهم أسباب ازدهارها قديماً وجود فنار الإسكندرية الشهير والذي يُعد إحدى عجائب الدُنيا السبع القديمة؛ والذي شيده سوستراتوس بن ديكسيانس في عهد بطليموس الأول لينتهي منه في عهد بطليموس فيلادلفوس حوالي عام ٢٨٠ ق. م، كما كان الفنار يرتفع ١٣٥ متراً فوق سطح البحر؛ وكان يهدي السفن إلى الميناء. وكان أيضاً يُستخدم في صرف سفن الأعداء بالمرايا الضخمة التي تعكس حزماً من أشعة الشمس مركزة عند اللزوم؛ ولقد أباد الزلزال هذا الفنار العجيب.

مدن إسلامية

وتعود نشأة المدينة الإسلامية من يثرب بعد هجرة الرسول إليها والتي حولتها إلى مدينة بمفهوم حضاري واضح انسحب على تسميتها ،فأصبحت تسمى ا لمدينة فبعد الهجرة حدث تغيير واضح سعى إلى تحقيقه النبي مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم أساسه الدعوة إلى الإسلام ذلك الدين الذي بدأت في ضوء قيمه و تعاليمه لتهيئة المجتمع الإسلامي الجديد لحياة حضارية تلازمت اما مع اهتمامه بالكيان المادي للمدينة فأدى ذلك تدريجيا إلى تكامل ا لمراكز الحضارية الإسلامية.

وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه و سلم إلى يثرب تغيرت معا لمها العمرانية تغيرا جمع شتاتها ووحد كيانها وجعلها مركزا حضاريا متكاملا يتناسب مع مجتمعها الإسلامي الجديد الذي بدأ يستجيب للتشكيل الحضاري الذي يدعو إليه الإسلام. فأصبحت مركزا سياسيا وإداريا فاكتسبت بذلك الصفة ا لمدنية. وكان لذلك أثره ا لمباشر في تكوينها ا لمادي الذي بدأ يتغير تلبية لتلك ا لتغيرات.

وهذا التصميم التلقائي للمدينة المنورة انعكس على تخطيط المدن الإسلامية عموما، فأصبح لكل مدينة خطط تربط بين سكانها صلات محورية في إطار اجتماعي أشمل من قبل الحكومة المركزية. وأصبح في كل حي مسجد لإقامة الصلوات الخمس أما الصلوات الجامعة فكانت في المسجد النبوي باعتباره الجامع.

أيضا تم إقرار أحياء الأرض الموات وفق القواعد والأصول التي تساعد على زيادة العمران وظل الإقطاع ساريا حتى وصل إلى نضجه في العهد الأيوبي والمملوكي. واتخذت المدينة نموذجا ومنهجا في تكوينات المدينة الإسلامية العمرانية التي نشأت بعد ذلك وأطلق عليها مدن الهجرة أو مدن الأمصار وأصبحت قواعد عسكرية ومدنية، وينعكس ذلك بوضوح في كتابات الجغرافيين المسلمين المعايير التي تميز المدينة عن غيرها من مراكز الاستيطان الحضري فلها مسميات وأوصاف ترتبط برؤية واضحة تميزها وفق معايير محددة مثل: مدينة كبيرة، ومدينة صغيرة، ومدينة متوسطة، وكورة، وقصبة، وقرية وهي تصنيفات مرتبطة برؤية واضحة تميز كلا منها وفق معايير حضرية محددة كالمعيار السياسي وما يرتبط به من وجود السلطة الإدارية، والقضائية، وكبر المساحة، وزيادة الكثافة السكانية، ووجود الأسواق، وتوفر الخدمات العامة، والأسوار المحيطة بها لذلك صنف الجغرافيون كتبهم حسب نوعية نشاطها كالمدينة الحصن، والمدينة التجارية وتكشف دراسة الجغرافيين عن تطور المدن وازدهارها وانحدارها فكتاباتهم كانت بمثابة المرآة العاكسة لأحداث تلك المدن.

وقد ارتبط ازدهار المدن العربية بالصعود الحضاري للعرب ، وقد ربط قديما ابن خلدون – كمثال على الفكر العربي – بين الحضارة والعمران ورآهما متلازمين، فالعمران ابن الحضارة وشاهد عليها ، وفي كتابه المقدمة يقدم ابن

خلدون الإنسان على أنه كائن اجتماعي لا تصح حياته بدون مجتمع ، فالاجتماع ضروري للنوع الإنساني وإلا لم يُتخيل وجودهم وما أراد الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياه ، كما أن الإنسان نفسه مهيأٌ خَلقيا للعيش مع الآخر ، وهو يحتاج يده المهيأة للصنائع وذلك لجعل حياته ممكنة . ويُلاحظ أن العمران – سواء عند ابن خلدون خصوصا أو في الفكر العربي الإسلامي عموما –يرتبط بغاية خلق الإنسان ، وتصبح خلافة الإنسان في الأرض مسؤولية كل فرد على تحقيقها في ذاته أولا ، ثم على تحقيقها اجتماعيا داخل العمران الإنساني كمسئولية جماعية .

ويعرض الكتاب لمكة المكرمة ثم يثرب المدينة المنورة من هذه الزاوية، فقد ارتبط وجودهما بالدين الإسلامي، أما بغداد، فيذكر الكتاب أن تارخها يعود إلى النّصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد؛ حيث ازدهرت فيها مستوطناتٌ بشريةٌ عديدةٌ؛ منها مدينة "شادوبم" التي تُعرَف اليوم باسم "تل حرمل" وبالقرب من شادوبم كان هناك مركزٌ حضريٌ آخر يُعرَف بإسم زارلو.

ومثلها الموصل من المدن القديمة في العالم، وارتبطت ازدهارها بالحضارة الآشورية، واعتُبِرَت ذات يومٍ باب العراق ومفتاح خُراسان؛ ومنها كان يُقصد إلى أذربيجان؛ ومن أبرز معالمها مئذنة الجامع النّوري المائلة؛ وتُعرَف بإسم الحدباء؛ وهي من أشهر معالم المدنية؛ ومن أقدم المآذن في العالم الإسلامي؛ وسور نينوى القديم وقد أُعيد بناؤه من جديدٍ وهو من بقايا مدينة نينوى الآشورية؛ وباب السّراي؛ السّرج خانة؛ ودار التوتنجي وهي من أقدم الدُّور الموصليّة؛ وقباب جامع النبي يوسف المخروطية الشّكل؛ والملاك المجنّح حكيم آشور وطبيبها الذي يعود تاريخه إلى آلاف السّنينح ومعبد آلهة الشمس حيث الأعمدة والتّماثيل الآشورية؛ وآثار النّمرود؛ وجنوب غرب الموصل كانت عاصمة

الأمبراطورية الآشورية الثّانية.

كذلك فمدينة سامراء من المدن العراقية القديمة والمُقدّسة؛ وكانت يوماً عاصمةً للدّولة العباسية لمدّة ستين عام؛ وتقع المدينة على الضّفة الشّرقية لنهر دجلة وتبعد نحو ١١٨ كم إلى الشّمال من العاصمة بغداد. ويحدّها من الشمال تكريت؛ ومن الجنوب بغداد؛ ومن الغرب الرّمادي؛ ومن الشّمال الغربي الموصل؛ ومن الجنوب الشّرقي ديالى. وقد بُنيَت مدينة سامراء لتكون عاصمة الإمبراطورية العبّاسية.

والكُوفة أيضا مدينة عراقية. سُمّيت بهذا الاسم لاستدارتها أو لاجتماع النّاس بها؛ وقيل سُمِّيَت "كوفة" لموضعها من الأرض؛ وذلك لأنّ كل رملةٍ يخالطها حصى تُسمّى كوفة؛ فالمواضع المستديرة من الرمل تسمى " كوفاني". و يُنسَب إلى الكوفة الإمام أبو حنيفة؛ وسُفيان الثوري؛ وأبو أميّة شريح القاضي؛ وأبو عبد الله سعيد بن جُبير؛ وأبو الطّيب المُتنبي .

مدن حديثة

لا يقتصر تطواف الكتاب على المدن القديمة ذات التاريخ الحديث، بل يتواصل بامتداد الوطن العربي، فمن آسيا يطل على الدوحة عاصمة قطر، والمنامة عاصمة البحرين، وأبوظبي ودبي والكويت والعاصمة الأردنية عمان، والصومالية مقديشيو، ويتجه إلى السودان حيث بورسودان وعطبرة، وأم درمان، ثم يصعد إلى ليبيا ليزور طرابلس العاصمة ثم بني غازي، ومصراتة التي يُرجّح البعض أنهاّ نشأت مكان توباكتس القديمة التّي كانت مُزدهرةً؛ وكان لها علاقات تُجارية مع البُندقية؛ حيث كانت تُصدّر إليها الصّوف والسّجاد والزّيت والملح؛ وتستورد منها الزّجاج والبارود؛ كما إنّها كانت محطّةً مُهمّةً لمرور القوافل التُجارية القادمة من أواسط إفريقيا والصحراء الكُبرى والمُتجهة إلى مدينة طرابلس؛

وكذلك كانت نُقطةَ استراحةٍ للحُجّاج والتُّجّار والرّحالة القادمين من الشّرق والغرب؛ ويدلّ على ذلك وُرود اسمها في كثيرٍ من كتب الرّحالة؛ وهي ثاني أكبر مُدن الغرب اللّيبي؛ كما تقع في منطقةٍ زراعيةٍ سهليّةٍ؛ وتتميّز بظاهرةٍ طوبوغرافيّةٍ فريدةٍ على السّاحل اللّيبي وكامل السّاحل المُتوسّطي؛ هي وجود حزام من الكُثبان الرّملية العالية التي تلفّها على هيئة هلالٍ؛ ويبدأ من شرقها عند منطقة قصر أحمد وحتّى منطقة الدافنيّة غرباً؛ وتُعدّ هذه الكُثبان الأعلى في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسّط؛ بل يُعتقد أنّها الأعلى في العالم.

وتتواصل الرحلة فيذهب الكتاب بقارئه إلى تونس، والقيروان والمنستير وبنزرت، ومن سوريا يزور حمص، وحماة ثم قسنطينة الجزائرية، وفي المغرب يزور عاصمتيها ، الرسمية الدار البيضاء ثم الصيفية طنجة.

وهكذا يقدم لنا الكتاب جولة في ربوع ثلاثين مدينة عربية إسلامية كلها تشهد على عراقة التاريخ وعظمة الحضارة.

صبحي سليمان

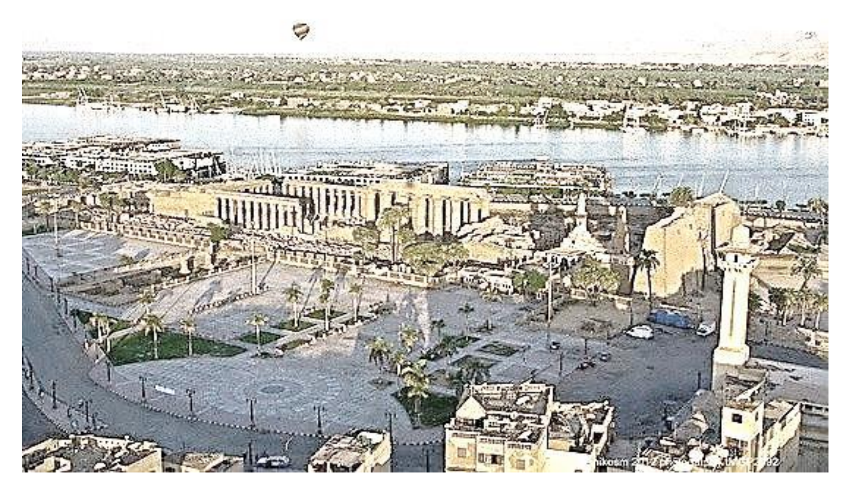


الأقصر

هي مدينة التاريخ والحضارة التي تمتد جذورها في أعماق التاريخ شاهدة على عظمة الإنسان المصري الذي سما بعلومه وفنونه مُنذ سبعة آلاف عام؛ والتي تُعتبر جامعة مفتوحة للتاريخ الإنساني في عصوره المُختلفة.

وتتكون مدينة الأقصر من شطرين البر الشرقى والبر الغربى يفصلهما نهر النيل؛ وكان يُطلق على البر الشرقي مدينة الأحياء في العصور الفرعونية حيث المعابد الدينية وقصور الملوك وعامة الشعب؛ وكان يُطلق على البر الغربي مدينة الأموات حيث المقابر والمعابد الجنائزية.

ظلت الأقصر قرية صغيره تابعه لمدينة (قوص) عاصمة الصعيد بعد الفتح الإسلامي لمصر؛ ولم يتوقف العدوان والتخريب على تراثها إلا عندما جاء نابليون بونابرت فبهرته عظمة آثارها وسمو حضارتها وروعة عمارتها وفنونها؛ وبعدما تمكن العالم الفرنسي شامبليون من فك طلاسم الكتابة الهيروغليفية (الكتابة النقشية للغة المصرية القديمة) ومن هذا التاريخ اتجهت الأنظار إلى مدينة الأقصر؛ وسُلطت الأضواء على معابدها الخربة؛ ثُم تحولت مدينة الأقصر إلى مركز أدارى تابعاً لمدينة إسنا؛ فمدينة تابعة لمُحافظة قنا؛ شأنها شأن أية مدينة صغيرة أخرى مما أورثها تركة مُثقلة من الإهمال؛ وطوق العدوان البشرى والامتدادات العُمرانية العشوائية أغلى كنوز العالم؛ وقد أصبحت الآن محط أنظار السُياح من شتى البقاع وقبلتهم التي يحجون إليها.



ويوجد في الأقصر وحدها أكثر من ٣٠ % من الآثار الموجودة في العالم أجمع؛ وتبعد مدينة الأقصر عن القاهرة حوالي ٦٧٠ كيلومتراً؛ وقد عُرفت في الزمن القديم باسم "وَاسِتْ" وهى كلمة تعنى "الصولجان"؛ وفي هذه المدينة ظهرت عظمة مصر؛ وعظمة الأسرة الثامنة عشرة؛ وأصبحت لمُدة كبيرة سيدة مدائن العالم القديم؛ وكانت مدينة واسعة؛ ولها أبواب مُتعددة؛ ولذلك سماها مُؤرخو الإغريق "المدينة ذات المائة باب".

وكعادة المصريين القُدماء؛ جعلوا مدينة الأحياء على الشاطئ الشرقي للنيل؛ ومدينة الأموات على الشاطئ الغربي للنيل؛ فالحياة شروق والموت غروب؛ وتوجد بالبر الغربي مقبرة "توت عنخ آمون" التي أدهشت العالم.

وكانت مدينة "طيبة" في أول الأمر منازل منثورة؛ وقُرى متفرقة صغيرة؛ وعندما أصبحت مقراً للفرعون تجمعت هذه القرى لتُصبح مدينة واحدة تشمل المسافة من معبد الأقصر وحتى معبد الكرنك تقريباً؛ ويربطهم طريق الكباش بمسافة ٣ كم.؛ وانتقلت إلى "طيبة" زعامة البلاد بعد مدينة "منف" فسيطرت على شئون البلاد في مصر مُدة اثني عشر قرناً من الزمان؛ بل إنها كانت تُدبر

مصائر الدول في العالم القديم وقتها؛ وقد تم تشييد الكثير من المعابد؛ وارتفعت مبانيها ومنازلها؛ وأصبح الإله "آمون" رب الأرباب؛ وسيد آلهتهم؛ وكان الملوك يجلسون على العرش باسمه.

ولأن "طيبة" هي المكان الذي انطلقت منه شرارة التحرير؛ وهى مقر "آمون رع" الذي استعانوا به ليُصبح الجهاد ضد الهكسوس مُقدساً؛ فلقد ظل الخُلفاء يُحاربون تحت راية "آمون"؛ وينسبون انتصاراتهم إلى تأييده ونصره؛ وكانت الجيوش المُحاربة تتحرك بالتالي من ساحته لتعود ظافرة تحت راية الفرعون مُحملة بالغنائم والكنوز من بُلدان العالم القديم.



أصبحت عمارات "طيبة" ومبانيها حديث العالم القديم؛ وتحدث شُعراء اليونان عن جمال المدينة وعظمتها؛ وحياة الترف التي يعيشها أهلها.

هُناك عدة روايات عن اسم المدينة؛ فيقولون إن "طيبة" اسم مصري أصيل؛ حيث كانوا يطلقون لفظ "إيبة" على بعض أماكنها المُقدسة؛ ثُم أضيفت إليها أداة التعريف المصرية "تى" فأصبحت "تيبة"؛ ويقولون أن الإغريق القُدماء

شبهوها بمدينتهم المشهورة "طيبة" Thebes؛ ولكن الرأى الأول هو الأرجح والأقرب للعقل؛ لأنه لا وجه للمقارنة بين "طيبة" المصرية؛ ومدينة "طيبة" اليونانية.

أما الاسم الحالي الذي يعرفه الجميع (الأقصر) فهو اسم عربي صميم؛ فبعد أن فتح العرب مصر بهرتهم "طيبة" بمعابدها التي سموها قصوراً عندما شاهدوها؛ وأطلقوا عليها "الأقصر" (وهى جمع لكلمة قصر). وعموماً كان التُجار العرب الذين يأتون بالتوابل والبهار من الجنوب عن طريق "قفط" (عند قنا تقريباً) يعرفون هذه المدينة؛ ويعرفون أخبارها.

ومدينة "طيبة" لها شُهرة قديمة في الحفاظ على التقاليد الفرعونية للبلاد لمُدة طويلة؛ فهناك عصر الإمبراطورية الطيبية الأولى (٢٠٦٠ . ١٦٨٠ قبل الميلاد) أيام الدولة الوسطي حيث اتحدت مصر على أيدي أهل "طيبة" بعد أن كانت مُتفرقة إلى مقاطعات.



وهناك عصر الإمبراطورية الثانية أو الدولة الحديثة (١٦٨٠ . ٩٥٠ قبل الميلاد) وقد بدأ هذا العصر بحرب التحرير ضد الهكسوس الغُزاة الذين كانوا يسيطرون على الأقاليم الشمالية كُلها؛ وانتهت هذه الحرب بالانتصار الساحق

لطيبة؛ وطرد الهكسوس من مصر نهائياً؛ بل إنهم تعقبوهم بشراسة حتى بلاد الشمال.

وفى خلال هذين العصرين ظهر تاريخ "طيبة" في مظهرين مُختلفين؛ فالعصر الأول وهو الذي يتميز بالملوك الذين تسموا بأسماء "أمنمحات"؛ و"سنوسرت" في الأسرة الثانية عشرة (١٩٩٢ . ١٧٨٥ ق.م)؛ وكان عصر تنظيم سياسي واجتماعي؛ وعمل فيه الملوك على تدعيم حُكمهم كفراعنة؛ والقضاء على سُلطة أمراء الإقطاع.

أما العصر الثاني فهو العصر الذي ظهر فيه الملوك الذين حملوا أسماء "أمنحوتب" (أمنحتب)؛ و"تحتمس" في الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ . ١٣٢٠ ق.م) و"سيتى الأول"؛ و"رمسيس الثانى" في الأسرة التاسعة عشرة (١٣٢٠ . ١٢٠٠ ق.م) و"رمسيس الثالث" في الأسرة العشرين (١١٩٨ . ١١٦٦ ق.م)؛ وكان هذا العصر عصر استقرار وازدهار من ناحية السياسة الداخلية؛ وقد ساعد هذا الاستقرار فراعنة مصر على نشر نفوذ البلاد وسلطانها في بلاد الشرق الأدنى؛ وامتد هذا النفوذ في سوريا وفلسطين شمالاً وبلاد النوبة جنوباً.

ومازالت آثار ذلك العهد الزاهر باقية إلى الآن؛ ومدينة الأقصر تحتاج إلى أسبوع على الأقل لكي يُشاهد زائرها على عجالة ما بها من آثار؛ فكما يعلم الجميع فمدينة الأقصر بها ثلث آثار العالم أجمع؛ فهي أكبر مدينة بالعالم بها آثار.

أما عن آثار الدولة الوسطي فلقد اندثر معظم هذه الآثار للأسف؛ وذلك لأن ملوك الدولة الحديثة وضعوا نصب أعينهم عملية استبدال آثار الملوك السابقين عليهم بمبانٍ أخرى أعظم شأناً بحيث تتناسب وعظمة هذه المدينة وقوتها الإمبراطورية.

ولم يُصب التفكك مدينة "طيبة" إلا في القرن العاشر قبل الميلاد؛ ثُم تحطمت عندما غزتها جيوش "آشور بانيبال" عام ٦٦٣ قبل الميلاد؛ وقامت بتدمير مُعظم بيوتها؛ وعندما غزا الفُرس مصر عام ٥٢٥ ق.م؛ عاثوا في معابدها فساداً؛ ثم أتى الزمن والتخريب والسرقة على الباقي؛ فلم يبق على الشاطئ الشرقي إلا بقايا من معبدي الأقصر والكرنك؛ وقد اختفت تلك المباني الهائلة التي كانت قائمة من غير شك حول تلك المعابد؛ والسبب أن القصور والمنازل كانت مبنية من الطوب اللبن فلم تتحمل ما سبق ذكره من تخريب؛ أما المعابد فكانت أكثر مقاومة لأنها بُنيت من أحجار ضخمة فبقيت في حالة لا بأس بها.



وقد قام بعض ملوك البطالمة الذين حكموا مصر في حوالي عام ٣٠٠ ق.م بإعادة بناء كثير من المعابد؛ كما أضافوا بعض المباني لمعابد أخرى؛ ولا تزال آثار ذلك واضحة في مباني معابد الكرنك؛ وكذلك بعض المعابد الجنائزية بالشاطئ الغربي.

إن مُعظم المُنشآت الموجودة بالأقصر تم بناؤها في عهد الأسرة الثامنة عشرة؛ وبدأ الملك أمنحوتب الثالث" ببناء معبد الأقصر العظيم؛ وقام بتقليد الطريقة القديمة جداً في العمارة؛ مُقلداً طُرق الأسرة الثالثة عشر؛ كما التزم

بالطريقة القديمة التي تبدأ بعمل الصرح؛ ثُم يلي ذلك فناء مكشوف؛ ثُم بهو الأساطين (الأعمدة الكبيرة) الذي يُؤدى إلى بهوين صغيرين جداً للأساطين؛ والبهو الأخير فيهما يُلاصق مقصورة تُسمى "الماميزى" **Mammisi**؛ واستراحة المراكب التي كانت أصلاً عبارة عن مظلة من الخشب؛ ثُم أخيراً قاعة القرابين؛ ثُم قُدس الأقداس؛ وهذه الأجزاء جميعها تكون معبد "الحريم الجنوبي" التابع لمعبد "آمون رع" بالكرنك.

وهكذا أصبح معبد الكرنك هو قصر آمون الرسمي؛ كما أصبح معبد الأقصر منزله الخاص الذي يقضى فيه مع عائلته فترة من الراحة والاستجمام في ميعاد مُحدد من كُل عام؛ أما المعبد نفسه فيقع على شارع الكورنيش أمام النيل مُباشرة؛ وعند مُنتصف جدار المعبد تقريباً؛ كما يُوجد باب صغير يؤدى إلى داخل المعبد؛ وهذا هو المدخل المُخصص لدخول المعبد الآن؛ وهو يُوصل إلى مُنتصف المعبد في ذلك الفناء المعروف باسم فناء "أمنحوتب الثالث".

ومساحة المعبد حوالي أربعة أفدنه؛ وقد بدأ في بنائه الملك "أمنحوتب الثالث" من عام ١٤٠٥ . ١٣٧٠ قبل الميلاد تقريباً؛ وهو من ملوك الأسرة الثامنة عشر؛ وقد أقام هذا الملك مُعظم مباني معبد الأقصر؛ واشترك في إنشاء وإقامة هذا المعبد كُلٍ من "توت عنخ آمون" والملوك "آى"؛ و"حور مُحب"؛ و"سيتى الأول"؛ كما أجرى الملك "رمسيس الثاني" توسعات في المعبد؛ ولقد سجل "توت عنخ آمون" مناظر موكب "عيد أوبت" على الجدران المحيطة بصفي أساطين رواق الطواف؛ وكذلك رحلة "آمون" السنوية التي تنتهي عند الأقصر.



وعندما زار "الإسكندر الأكبر" مصر أراد أن يتقرب إلى آلهة "طيبة" فقام بتشييد مقصورة للإله "آمون" وسط قاعة الهيكل بالمعبد؛ والأمر الذي لاشك فيه أن المعبد أقيم مكان معبد قديم من عصر الدولة الوسطي.

ومحور المعبد يمتد من الشمال إلى الجنوب؛ وبدأ "أمنحوتب" البناء من أقصى الجنوب حتى البهو ذى الأربعة عشر عموداً الذى كان يريد أن يجعله فناء ثانياً؛ ولكنه مات قبل أن يتم مشروعه. وقد اقتصر خلفاؤه على بناء الجدران التي تحيط بالأعمدة.

أما الملك "رمسيس الثاني" فقد أجرى توسعات بالمعبد؛ فأضاف الأجزاء الواقعة أمام معبد "أمنحوتب"؛ وكذلك أعاد استخدام صفى أساطين الرواق؛ وهُما نقطة وصول طريق تماثيل "أبو الهول" التي تربط معبد الأقصر بمعبد الكرنك؛ للربط بين فناء "أمنحوتب الثالث"؛ وفناء أمامي جديد تكتنفه الصُفات. وشيد كذلك صرحاً شامخاً ذا بُرجين على جانبيه مسلتان؛ وستة تماثيل ضخمة لم يبق منها غير تمثالين؛ أحدهما جالس والآخر واقف في مُواجهة طريق

تماثيل "أبو الهول" المتجه إلى الكرنك.

والمُؤسف أن المسلة الغربية نُقلت إلى مدينة باريس لتزين ميدان "الكونكورد"؛ وذلك عندما أهداها "مُحَمَّد على باشا" إلى فرنسا عام ١٨٣٦م.

كما ويُمكن رؤية قاعدتها في مكانها إلى الآن وطولها ٢٧ متراً تقريباً؛ وبسبب توسعات الملك "رمسيس"؛ حدث تغير بعض الشيء في محور المعبد؛ ولقد احتل مسجد "أبى الحجاج الأقصرى" البُرج الأيسر من الصرح؛ وزُينت جدران الصرح من الخارج بمناظر معركة "قادش" على نهر "الأورنت" (العاصى).

أُقيم مسجد "أبى الحجاج الأقصرى" على جزء من المعبد؛ ويحيط به في كل جوانبه الأربعة صفان من الأعمدة على هيئة نبات البردى؛ وتيجانها على شكل البراعم المُقفلة؛ ولا ينقطع امتداد الأعمدة إلا في الناحية الشمالية الغربية حيث توجد المقاصير الثلاث؛ وهى التي شيدها غالباً الملك "تحتمس الثالث".



وكان هذا الفناء مكشوفاً؛ وقد انحرف قليلاً عن استقامة محور المعبد على خلاف المُعتاد؛ لكي يتفادى هدم مقاصير السُفن المُقدسة؛ وجُدران هذا الفناء مُزخرفة بالنقوش التي تشمل مناظر مُختلفة لتقديم القرابين للإله "آمون"؛ كما يُوجد منظر فريد منقوش على الحائط يُمثل واجهة معبد الأقصر؛ والأعلام المثبتة فيه؛ والمسلات والتماثيل التي أمامه بينما يتقدم الأمراء إليه حاملين الهدايا المختلفة لتقديمها لـ"آمون"؛ ومن خلفهم عدد من الثيران التي أعدت للذبح لتُقدم على أنها قرابين.

وإذا تعمقت عزيزي القارئ في أرجاء مدينة الأقصر لتجد أنها مدينة عريقة جميلة تزخر بالكثير والكثير من الآثار الهامة التي تستحق الزيارة... وهذا بالطبع خلاف طبيعة أهلها الطيبة؛ وأرضها التي تملأها الخضرة... فهناك يمتزج النيل بالحضارة مع التاريخ الطويل ليكونوا منظومة فريدة لا تجدها إلا في الأقصر.

القاهرة

القاهرة هي العاصمة الرسمية لجمهورية مصر العربية؛ كما إنها تُعد إحدى المراكز الرئيسة للحياة الدينية والثقافية والسياسية في العالمين العربي والإسلامي؛ وشيدت القاهرة مُنذ أكثر من ألف عام على ضفتي النيل في الموقع الذي يمتد فيه جبل المقطم حتى يبلغ النهر؛ ويعود تاريخ مدينة القاهرة إلى الفتح الإسلامي لمصر على يد عمرو بن العاص عام ٢١ هـ / ٦٤٢م؛ واقتنع عمرو بن العاص أن الإسكندرية لا يمكن أن تستمر عاصمة لمصر؛ ذلك أنها تقع علي البحر المتوسط ومواجهة للروم مباشرة؛ وإذا حدث أي هجوم علي مصر ستقع العاصمة في يد الروم وبذلك تقع البلاد كلها؛ لذا قرر بناء عاصمة جديدة خلاف الإسكندرية؛ فأسس عمرو بن العاص مدينة القاهرة في المكان الفسيح الذي يقع إلى الشمال من حصن بابليون حيث عسكرت قوات المُسلمين للمرة الأولى وأسماها الفسطاط؛ واختار لها عمرو رأس دلتا النيل وهو موقع له أهميته من الناحية العُمرانية والحربية وبذلك تكون الفسطاط في مأمن من هجمات العدو؛ وتكون في الوقت نفسه قريبة من الأراضي الزراعية مما يسهل وصول المُؤن لسكانها؛ وللجنود المحاربين بها؛ وراعى عمرو بن العاص في اختياره لموقع المدينة أن يكون لها جانب يُمكن أن يَطرد فيه اتساعها وهو الجهة الشمالية الشرقية التي بنيت فيها مدينة العسكر والقطائع والقاهرة فيما بعد؛ وعندما انتقلت الخلافة لبني العباس؛ أسسوا حاضرة أخرى جديدة لدولتهم الناشئة إلى الشمال الشرقي من الفسطاط؛ في مكان عُرف في صدر الإسلام باسم الحمراء القُصوى؛ وفي ذلك المكان أقام العباسيون دورهم واتخذوا مسكنهم؛ وبنى صالح

بن علي دار الإمارة وثكنات الجُند؛ ثُم شيّد الفضل بن صالح العسكر في وسط المدينة؛ وبمرور الأيام اتصلت العسكر بالفسطاط وأصبحت مدينة كبيرة؛ وقد ظل أمراء مصر يُقيمون في دار الإمارة في العسكر.

وعندما قامت الدولة الطولونية وجد أحمد بن طولون أن الفُسطاط ضاقت بساكنيها؛ فأسس مدينة القطائع عام ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م؛ وأقام في وسطها مسجداً جامعاً سُمي باسمه؛ وتُعتبر مدينة القطائع أول مدينة ملوكية أنشئت في وادي النيل في العهد الإسلامي؛ إذ كانت مقراًَ للحاكم مُستقلة استقلالاً تاماً؛ ولا تربطها بالحاكم العباسي ببغداد غير التبعة الدينية؛ وقد تأثر أحمد بن طولون عند تأسيسه للعاصمة الجديدة بتخطيط مدينة سامراء التي نشأ فيها قبل مجيئه إلى مصر؛ فقد كانت كُلٍ منهما مقسمة إلى خطط أو قطائع؛ وتضم كل واحدة منها جماعة من السُكان؛ وتربط بينهم رابطة الجنس أو العمل؛ ومن ثم أصبح اسم القطائع علماً على مدينة ابن طولون؛ وقد كان هذا الاسم يُطلق في سامراء على كل أحياء المدينة؛ فيما عدا القصور الملكية؛ ثُم قام الفاطميون بالاستيلاء على مصر وأسس جوهر الصقلي قائد جيوش الحاكم الفاطمي المُعز لدين الله مدينة القاهرة عام ٣٥٩ هـ / ٩٧٠م؛ وبعد استيلائه على مصر بعام واحد بنى حولها سوراً على شكل مُربع؛ وكانت مساحة الأرض التي حددها السور تبلغ ٣٤٠ فداناً؛ وفي وسط هذه المساحة؛ بنى جوهر الصقلي قصراً كبيراً بلغت مساحته ٧٠ فداناً؛ وجعل خمسة وثلاثين فداناً للبُستان الكافوري؛ ومثل هذه المساحة للميادين؛ والباقي وزعت مساحته على الفرق العسكرية.

وأنشأ جوهر الصقلي مسجداً بالقُرب من قصر الحاكم عند الجهة الغربية من ميدان باب الشعرية؛ ولم يكن قصد جوهر الصقلي من إنشائه مدينة القاهرة في بادئ الأمر أن تكون قاعدة أو داراً للحكم؛ بل لتكون سكناً للحاكم؛

وحرمه؛ وجنده؛ وخواصه؛ فنشأت القاهرة مدينة متواضعة للدولة الفاطمية الناشئة؛ واستمرت حيناً بعد قيامها مدينة ملكية عسكرية تشمل على قصور الحكام ومساكن الأمراء ودواوين الحكومة وخزائن المال والسلاح؛ ثُم أصبحت بعد إنشائها بأربع سنوات؛ أي في عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م عاصمة للدولة الفاطمية؛ وانتقل المُعز وأسرته من المغرب واتخذ مصر موطناً له؛ ولم يكن لقاطني مصر أن يدخلوا المدينة الملكية إلا بعد أن يُؤذن لهم؛ وكان مفوضو الدولة الأجنبية الذين يحضرون الحفلات الرسمية يترجلون عن جيادهم ويسيرون نحو القصر بين صفين من الجنود على النحو المتبع في البلاط البيزنطي؛ وسرعان ما اتسعت المدينة الناشئة ونمت نمواً ملحوظاً وتبوأت مكانتها المرموقة في ظل الحكام الفاطميين واتصلت مبانيها بمباني الفسطاط؛ وصارتا تُؤلفان معاً أكبر المدن الإسلامية في العصور الوسطي.

وتميزت القاهرة مُنذ إنشائها بجمال مبانيها؛ فقد تناوب حكام الفاطميين والأيوبيين والمماليك على تعميرها فكانت على أحسن ما يكون؛ وكان النيل آنذاك يحدها غرباً؛ وكان مجراه حتى عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩م يمر من فم الخليج إلى شارع نوبار إلى أن يلتقي بشارع الشيخ ريحان حالياً؛ ثُم ينعطف شرقاً نحو شارع عماد الدين حيث تنتهي حدود القاهرة عند قرية أم دنين؛ التي كانت تقع عند موقع جامع أولاد عنان.

وكان ثغر النيل في ميدان رمسيس مُحاطاً بالمصانع والترسانات التي بُنيت فيها أساطيل المُعز لدين الله وصلاح الدين الأيوبي والتي قضى بها على الصليبيين؛ وكان النهر يمر بعد ذلك بمحطة سكة الحديد الحالية؛ ثُم بالشرابية ومنية السيرج إلى مبدأ ترعة الإسماعيلية؛ ونشأت شُبراً على شكل جزيرة تراكمت حول مركب غرقت في الثغر في عهد الدولة الفاطمية؛ وكان اسمها

الفيل؛ فسُميت جزيرة الفيل؛ وزُرعت فيها البساتين؛ وتردد عليها الأمراء والمماليك للتنزه في روضتها ولممارسة الرماية وغيرها من أنواع الرياضة؛ أما بولاق فقد نشأت في عهد الفاطميين ثم امتدت فيما بعد حتى بركة الفيل؛ كما ظهرت أرض اللوق في عهد الفاطميين والأيوبيين نتيجة لطرح البحر؛ واسمها معناه الأرض اللينة؛ حتى عهد الملك الصالح نجم الدين الأيوبي كان هناك ساحل على الخليج استعمله السقاءون؛ وكان يُسمى باب الخرق الذي حُرّف إلى باب الخلق؛ والخرق هي الأرض التي تخترقها الرياح؛ وكان الموسكي في ذلك العهد قنطرة على الخليج أنشأها الأمير عز الدين موسك في عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٩م في عهد السُلطان صلاح الدين؛ كما قام حي السيدة زينب حول جسر شيده الظاهر بيبرس على الخليج وعُرف بقناطر السباع نسبة إلى رنك بيبرس الذي كان يُمثل سبعاً؛ أما حي الحسينية فقد أنشأته جماعة من الأشراف قدموا من الحجاز وبنوا المدابغ؛ وصنعوا الطعام المُسمى الطائفي نسبة إلى الطائف بالحجاز.

كانت القاهرة دائبة النشاط في التوسع والبناء في عهد الفاطميين والمماليك؛ وقد اجتهد صلاح الدين كثيراً في تعميرها وبنى قلعة الجبل (المُسماة الآن قلعة صلاح الدين الأيوبي)؛ وسور القاهرة الممتد إلى أثر النبي؛ كما أنشأ البيمارستان الناصري أو الصلاحي نسبة إليه؛ أما الملك الظاهر بيبرس فقد عمّر الجامع الكبير خارج الحسينية وكان فيه مساحة يلعب فيها المماليك لعبة القبق؛ وجدد الملك الظاهر جامع الأزهر وأعاد فيه الخطبة وأنشأ ضيعة على فم وادي العباسية سماها الظاهرية.



وأكثر ما يُميز القاهرة ذلك الكم الهائل من الآثار الإسلامية؛ ومن هذه الآثار سور جوهر الصقلي الذي أنشأه مع إنشاء المدينة؛ ولكن تهدم هذا السور بعد إنشائه بثمانين عاماً؛ ولم يكن للقاهرة سور في أول عهد المستنصر؛ لذا كان أول عمل قام به بدر الجمالي وزير الحاكم المستنصر؛ هو تحصين القاهرة ضد الغزوات الخارجية وضد ثورات الجند الداخلية؛ فأحاطها بسور عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٨م؛ وحدود سور بدر الجمالي اعتماداً على البقايا التي لا تزال تحتل مكانها الأصلي؛ هي الأبواب الثلاثة المشهورة بالقاهرة؛ وهي باب النصر؛ وباب الفتوح في الشمال؛ وباب زويلة في الجنوب؛ وهي تُعد من أروع الأمثلة للاستحكامات الحربية في العصور الوسطي؛ ويُعتبر باب الفتوح خير مثال على ذلك حيث يتكون من بُرجين مُستديرين مُصممين إلى ثُلثيهما؛ أما الثُلث العلوي فيحتوي على غُرف للجند وفتحات لرمي السهام؛ ويتوسط البُرجين مدخل معقود تعلوه فتحة تُصب منها السوائل الكاوية على العدو المُقتحم.

وتُعدّ قلعة الجبل أول امتداد كبير خارج السور الفاطمي؛ فقد بدأ صلاح

الدين في بنائها عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٦م؛ ولم يكن هدفه تقوية المدينة ولكن ليتخذه مكاناً يلجأ إليه؛ وكانت قلعة الجبل تتزود بمياه النيل عن طريق قناطر ترجع في حالتها الراهنة إلى زمن سلطنة الناصر مُحَمَّد بن قلاوون الذي قام في عام ٧١٢ هـ / ١٣١٢م ببناء أربع سواقي على النيل بغرض رفع المياه إلى مستوى القناطر التي تمد القلعة بالمياه؛ وفي عام ٧٤١ هـ / ١٣٤١م أدمج فيها بقايا سور صلاح الدين الذي صُمم ليضم "خرائب" الفسطاط؛ وقد تم ترميم وتمديد هذه القناطر مرات متكررة في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي؛ وعلى الأخص في فترة سلطنة قايتباي وقنصوه الغوري الذي ترجع إليه على الأرجح خزان توزيع المياه المعروف بـ "السبع سواقي" الموجود على النيل.

وهُناك قلعة أخرى ضاعت كل معالمها اليوم؛ كانت قد هُدمت ثم أُعيد بناؤها أكثر من مرة خلال عصر المماليك وهي المعروفة بقلعة الروضة التي شيدها الملك الصالح نجم الدين أيوب؛ وانتشر بالقاهرة عدد كبير من الحدائق لكن معظمها لا وجود له اليوم بسبب التزايد العمراني الكبير؛ فمن حدائق القاهرة الشهيرة حديقة قصر مُحَمَّد علي باشا الكبير بشبرا الخيمة التي أُنشئت على النمط التركي وكانت تضم أندر النباتات في العالم؛ وكذلك حديقة الفردوس بالجزيرة؛ وهناك حديقة الأزبكية التي لم تحظ حديقة في مصر كلها بالاهتمام الذي حظيت به؛ وقد اقتطع جزء كبير منها وأقيم فيه ميدان الأوبرا المعروف بميدان إبراهيم باشا؛ وظلت حديقة الأزبكية تتباهى بجمالها مُنذ إعادة تجميلها عام ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م حتى تعرضت لضياع أكثر من ثلثي مساحتها بسبب المشروعات التعميرية؛ وعلى مسطحات الحديقة الخضراء أُقيمت مباني سنترال الأوبرا ومسرح الأزبكية ومسرح العرائس ومبنى نادى السلاح ومبنى شُرطة النجدة.

ومن الحدائق الشهيرة أيضاً حدائق الأورمان بالجيزة التي أنشئت في عام ١٨٧٥م؛ وكانت تتبع قصر الجيزة وتسلمتها وزارة الزراعة عام ١٩١٧ م؛ وكانت تُعرف بحديقة الأمير حسين كمال وتُحيط بقصره؛ وتُوجد فيها مجموعة نادرة وقيّمة من أشجار الفيكس والبابمو ومجموعات من النباتات المائية والصبار؛ وتضم الحديقة بُحيرة صناعية جميلة تربط شاطئيها قنطرة بديعة صُنعت من جذوع وسيقان الأشجار.

وانتشرت أيضاً بالقاهرة البيمارستانات؛ فقد كانت عمليات الاستشفاء من الأمور التي شغلت بال حُكام المماليك على فترة حُكمهم التاريخية؛ ومن أجل ذلك حرصوا على إنشاء البيمارستانات وتزويدها بكل الأدوات والأدوية التي تتطلبها؛ ويُعد بيمارستان قلاوون أحد البيمارستانات القليلة التي ما زالت آثارها قائمة؛ ويعود السبب في إنشاء هذا البيمارستان إلى نذر من الأمير قلاوون أحد أمراء نور الدين زنكي؛ وكان قد أصابه مرض وهو في دمشق عام ١٢٧٦م؛ فوجد بعض الأدوية في بيمارستان نور الدين الدمشقي؛ وبعد أن شفي نذر أن يُقيم مثله في القاهرة؛ ولمَّا تولى البلاد أوفى بوعده فأقام هذا البيمارستان الذي عُرف باسمه واختار له موقعاً قريباً من موقع القصر الغربي الفاطمي؛ وقد ظل هذا البيمارستان مُستخدماً حتى عام ١٨٥٦م حيث اقتصر استخدامه على مرضى العقول.

واشتهرت القاهرة على مر العصور بالعديد من المساجد؛ فهي أول مدينة دخلها الإسلام في إفريقيا؛ وكان الاهتمام المُتزايد بإنشاء المساجد فيها لدرجة أنه أطلق عليها مدينة الألف مأذنة؛ وقد خلّف الملوك والأمراء الذين تعاقبوا على حُكم مصر العديد من المساجد التي ما يزال الكثير منها موجوداً حتى الآن.

من المعالم الأثرية المُهمة في القاهرة أيضاً مسجد عمرو بن العاص الذي بناه بعد انتهائه من تأسيس مدينة الفسطاط؛ وأقام في وسطها جامعه العتيق؛ وكان في بادئ الأمر بسيطاً يتألف من بيت للصلاة يشغل مساحة صغيرة؛ وكان سقفه مطاطاً جداً؛ ولا صحن له ولا مأذنة؛ ومازال الولاة والحُكام يتناولونه بالإضافة والتجديد على مر السنين حتى اتسعت أرجاءه أضعاف الجامع العتيق الذي لم يبق منه سوى قطعة الأرض التي شيدت عليها؛ فقد زيد فيه وأعيد بناؤه ستة عشر مرة أولها زيادة مسلمة بن مخلد الأنصاري عام ٦٧٣م فأضاف إليه أربع مآذن تعد أقدم مآذن الإسلام؛ وآخر زيادة فيه كانت تلك التي قام بها مُراد بك عام ١٧٩٨م؛ وفي هذه الزيادة بُنيت عقود رواق القبلة في غير موضعها الأصلي؛ فجاءت عمودية على حائط القبلة؛ وكانت في الأصل موازية له؛ والجامع يتوسطه صحن تُحيط به الأروقة من جهاته الأربع؛ وتهدم منها الرواقان البحري والقبلي؛ ولم يبق منها إلا آثار الأعمدة؛ ومع هذا فقد احتفظ جامع عمرو ببعض العناصر المعمارية التي ترجع إلى أصوله الأولى التي نجدها في شبابيكه الجصية. ومن المساجد الأثرية المُهمة الباقية أيضاً مسجد أحمد بن طولون وهو من أكبر مساجد العالم الإسلامي التي شُيدت في مُنتصف القرن الثالث للهجرة / التاسع الميلادي؛ إذ تبلغ مساحته مع الزيادة أي الفضاء الذي يحيط به من جميع جهاته عدا جهة القبلة ستة أفدنة ونصف الفدان؛ وهو مُشيّد فوق الربوة الصخرية المعروفة بجبل يشكر في الطرف الجنوبي لمدينة القطائع؛ وهو من الجوامع المعلقة؛ إذ يُصعد إلى أبوابه بدرجات دائرية الشكل. ومن المعالم الأثرية والحضارية الباقية أيضاً الجامع الأزهر ويرجع تاريخ بنائه إلى عام ٣٥٩ . ٣٦١ هـ / ٩٧٠ . ٩٧٢م؛ وقد أمر ببنائه المُعز لدين الله الفاطمي؛ وشُيد على طراز قريب من طراز جامع ابن طولون؛ ويُعد هذا المسجد من أهم معالم الفاطميين الباقية حتى اليوم؛ وأول عمل فني معماري

أقامه الفاطميون في مصر؛ ولا يزال قائماً حتى اليوم.



ويقع الأزهر في الجنوب الشرقي من قاهرة المعز؛ على مقربة من القصر الكبير الذي كان موجوداً حينذاك بين حي الديلم وحي الترك في الجنوب؛ وقد زاد كثير من الحكام الفاطميين في بناء هذا المسجد وأُعيد تجديد أجزاء كثيرة منه خلال القرون الماضية؛ كما أضيفت إليه زيادات عدة؛ مما جعل معرفة التخطيط الأصلي للجامع من الأمور الصعبة؛ وإذا كان الجامع لا يزال يحتفظ ببقية من النقوش والكتابات الكوفية والعقود الفارسية التي تُعد من مُميزات العمارة الفاطمية؛ فإن كُل أجزائه الحالية هي من عصور مُتأخرة؛ وقد كان المسجد يتألف من صحن تُحيط به أروقة؛ ولم يبق من الجامع الأصلي سوى قسم صغير؛ وأصبح الأزهر موضع إعادة تنظيم وترميم وإضافات من جانب أغلب كبار حُكام القاهرة مُنذ الحافظ حتى قايتباي الذي أضاف إليه محراباً ومأذنة وكذلك بوابة.



كما أضاف إليه السُلطان الغوري مأذنة ثانية؛ وعندما أضاف قايتباي بوابة المزينين أصبحت المدرستان الطيبرسية والأقبغاوية المجاورتان للجامع ضمن مجموع مباني الجامع؛ علماً بأن البوابة الحالية ترجع إلى العصر العثماني وتنسب إلى عبد الرحمن كتخدا الذي أضاف الكثير إلى مساحة الجامع في ذلك العصر.

وتتمتع القاهرة بالعديد من الحمامات؛ ويذكر أن أول من بنى الحمامات

في القاهرة العزيز بالله نزار بن مُعز الدين؛ ومن أشهر حمامات القاهرة القديمة حمام الملاطيلي؛ وأقيم بشارع مرجوش بالقرب من جامع الغمري؛ وحمام المقاصيص الذي يقع بأول عطفة المقاصيص؛ وقد صار هذا الحمام حماماً لدار الوزير المأمون بن البطائحي؛ وكذلك حمام قلاوون الذي يقع في شارع النحاسين؛ ويُعرف أيضاً بحمام المارستان المنصوري.

كما ضمت القاهرة منذ انشائها العديد من الأسواق؛ إلا أن أغلبها شُيد في نهاية العهد المملوكي؛ وكانت هذه الأسواق تُثير إعجاب التُجار الأجانب بسبب أنشطتها وثرائها؛ ومن أشهر هذه الأسواق سوق خان الخليلي وهو على هيئة قصر مهيب متسع للغاية مبني من الحجر المشذب؛ ويرتفع ثلاث طبقات؛ كما تُوجد في الأدوار السُفلى حوانيت تُحيط بميدان مُربع الشكل يقع في الوسط؛ وفي مواجهتها يوجد صف من العقود المُتكررة المرفوعة على أعمدة رائعة الجمال والمحيطة بها من جميع الجهات؛ وفي هذا المكان يعقد التجار صفقاتهم. أما الميدان الذي في الوسط فإنه يُستخدم كإطار لبيع البضائع بالمزاد؛ ولعقد صفقات البيع والشراء بالجملة؛ وليس مسموحاً بالإقامة في هذا المكان إلا للتجار ذوي السُمعة الطيبة.

ومن الأسواق الشهيرة الأخرى سوق الفحامين وهو مقر لتجار الفحم البسطاء مُنذ أمد بعيد؛ ومع ذلك ظل مُحتفظاً بهذا الاسم بالرغم من تحويله لمقر لتجار المنسوجات الموسرين؛ وهُناك سوق باب الفتوح وهو في داخل باب الفتوح وبه محلات الجزارين؛ والخضريين؛ والفحامين؛ وعُرفت القاهرة مُنذ تأسيسها بمكانتها العلمية المتميزة؛ فموقعها كحلقة وصل بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي جعل منها مركزاً هاماً.

تميزت القاهرة أيضاً بوجود العديد من المدارس ففي عهد الدولة الفاطمية

أنشأ الوزير الكردي ابن السلار الذي كان يعمل في خدمة الدولة مدرسة ابن السلار؛ وقد أُنشئت هذه المدرسة عام ١١٥٢م؛ وكان يقوم على إدارتها إمام عظيم من أئمة المُسلمين؛ وعالِم كبير من عُلماء الحديث هو الحافظ السِلفي؛ وفي عام ١١٧١م أنشأ صلاح الدين مدرستين قامت إحداهما على آثار دار تُسمى دار المعونة؛ وكان يحبس فيها من يُراد حبسه؛ فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية؛ وقد عُرفت هذه المدرسة باسم المدرسة الناصرية نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين. أما المدرسة الثانية؛ فقد كانت للمالكية؛ وسُميت باسم المدرسة القمحية نسبة إلى القمح الذي كانت تحصل عليه من ضيعة بجهة الفيوم وقفها صلاح الدين على هذه المدرسة التي عُرفت كذلك بدار الغزل؛ وبعد سقوط الحكم الفاطمي زاد صلاح الدين على المدرستين السابقتين ثلاث مدارس أخري هي : مدرسة للفقهاء الحنفية وهي المدرسة السيوفية؛ ومدرسة بجوار الإمام الشافعي؛ وأخرى بجوار المشهد الحسيني.



استمر سلاطين الدولة الأيوبية في بناء المدارس؛ فكانت هناك المدرسة الكاملية "دار الحديث"؛ وهي المدرسة التي أنشأها السلطان الملك الكامل محمد الأيوبي؛ وتُعتبر الدار الثانية في الترتيب بين الدور التي تخصصت في الشرق الإسلامي لدراسة الحديث؛ أما الدار الأولى فهي التي بناها نور الدين زنكي بدمشق؛ وهناك المدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ١٢٤٢م؛ وكانت أشبه شيء بجامعة كُبرى ذات كُليات أربع تختص كُل واحدة منها بمذهب من المذاهب الأربعة المعروفة؛ وكانت هُناك المدرسة الفاضلية نسبة إلى القاضي الفاضل؛ وبناها عام ١١٨٥م؛ ولهذه المدرسة شُهرة في التاريخ؛ ومرجع ذلك إلى المكتبة العظيمة التي ألحقها القاضي الفاضل بها وجمع فيها من كُتب العصر الفاطمي وحده مائة ألف مُجلد؛ وكذلك مدرسة الظاهر بيبرس التي أسسها عام ١٢٦٢م وزودها بمكتبة هائلة؛ وجعلها تعني بسائر العلوم؛ ووقف عليها أوقافاً عظيمة؛ وأسس الظاهر مدرسته هذه على نمط المدارس الأيوبية ولم يكتف بها؛ بل بنى بجوارها مكتباً لتعليم القراءة والكتابة ليتامى أبناء المُسلمين.

ولعل أهم المراكز العلمية شُهرة بالقاهرة كان دار الحكمة التي أمر الحاكم بأمر الله الفاطمي بإنشائها عام ١٠٠٥م؛ حيث أراد لها أن تكون أفضل من بيت الحكمة الذي ببغداد؛ وقد زود الحاكم هذه الدار بمكتبة عُرفت باسم دار العلم وحُملت إليها الكُتب من خزائن القصور ومن مصادر مُتعددة؛ فكانت فيها كُتب نفيسة ومخطوطات نادرة في الدين والآداب والعلوم بفروعها المُتعددة؛ كما أمدها الحاكم بأمر الله بكل مستلزمات النساخين من أقلام ومحابر وورق؛ وأقيم لها قوام وخدام وفراشون وغيرهم؛ وكانت دار الحكمة تزخر دائما بالفُقهاء والقُراء والنُحاة والفلكيين والأطباء.

وظلت دار العلم مفتوحة ينتفع الجمهور بما فيها من الكتب إلى عام

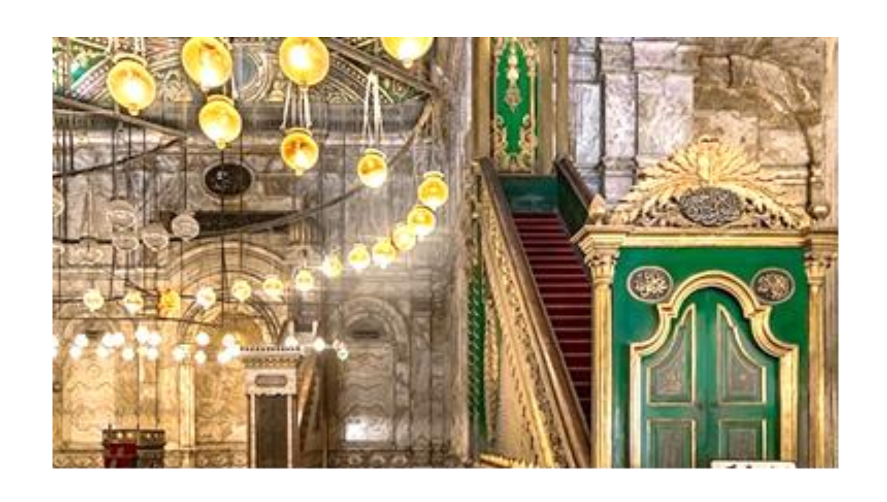
١١٢٣م حيث أمر الوزير الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي بإغلاقها بسبب خلافات بين رجالها؛ على أن فترة إغلاق دار العلم لم يطل أمدها؛ فقد أعادها الحاكم بأمر الله إلى ما كانت عليه.

واشتهر من أبناء القاهرة عُلماء أجلاء في مُختلف العلوم؛ ففي العلوم الشرعية اشتهر الإمام الشافعي صاحب أحد أكبر المذاهب الفقهية عند أهل العام؛ وسعد بن ليث بن عبد الرحمن الفهمي الفقيه إمام أهل مصر في عصره؛ وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم مُؤرخ من أهل العلم بالحديث؛ ومن علماء اللغة اشتهر جلال الدين السيوطي وكان من علماء اللغة والشريعة؛ وألف في الفقه والتفسير وعلوم القرآن والحديث؛ ومُحَمَّد بن جلال الدين مكرم بن نجيب الدين المعروف بابن منظور صاحب معجم لسان العرب؛ وأبو الفضل مُحَمَّد بن عبد الرازق الزبيدي صاحب مُعجم تاج العروس؛ ومن المُؤرخين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي؛ وأبو مُحَمَّد عبد الله بن يُوسف الأنصاري الشهير بابن هشام؛ كما اشتهر من الأطباء داود الأنطاكي وهو صيدلاني وطبيب ولد في أنطاكية بسورية واستقر في القاهرة؛ وموفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور الشهير بابن العين الزربي الطبيب وعالم النجوم والرياضيات والمنطق؛ وأبو المنصور عبد الله بن الشيخ السديد وكان عالماً بصناعة الطب خبيراً بأصولها وفروعها.



كما اشتهر فيها من الرياضيين أبو علي الحسن بن الهيثم عالم الفيزياء والبصريات والرياضيات وكان مولده البصرة ثم هاجر إلى القاهرة وعاش فيها؛ ومن الفلكيين أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس؛ ومن الكيمائيين علي بن مُحَمَّد أيدمر الجلدكي وكان قد تنقل بين مصر ودمشق وألف بعض كتبه في القاهرة والبعض الآخر في دمشق.

ومن اشهر آثار القاهرة مسجد ابن طولون؛ وقد قام أحمد بن طولون ببنائه عام ثمانمائة وتسعة وسبعين ميلادية؛ ويقع في حي السيدة زينب بالقاهرة؛ وكان الخليفة العباسي في بغداد قد أرسل أحمد بن طولون ليتولى إمارة مصر؛ وما أن وصل حتي قام ببناء هذا الجامع؛ كما يُعتبر أقدم وأكبر مسجد في مصر كلها؛ كما يحتوي علي العديد من الصفات الخاصة؛ والتي لا تتوافر إلا فيه؛ وذلك مثل السُلم الحلزوني الخارجي للمأذنة (الوحيدة من نوعها في مصر)؛ كما يتميز هذا المسجد ببساطة تصميمه؛ حيث يتكون من صحن مفتوح وبه نافورة في الوسط؛ ويُحيط بهذا الصحن أربعة أروقة أكبرها هو رواق القبلة؛ والمسجد مُشيد على الطراز العباسي.



هُناك أيضاً جامع مُميز ولا يقل روعة عن جامع ابن طولون وهو جامع مُحَّد علي؛ والذي يقع في القاهرة؛ وصَمَمه اليوناني يوسف بوشناق؛ وتم بناؤه بأمر من مُحَّد علي باشا حاكم مصر ومُؤسس آخر أسرة ملكية حكَمَتْ مصر؛ وتم البدء في بنائه عام ألفٍ وثمانمائة وثلاثين ميلادية وتم الانتهاء منه عام ألفٍ وثمانمائة وسبعة وخمسين ميلادية؛ وهو مُشيد على الطراز العثماني؛ يحتوي المسجد على قبر مُحَّد علي؛ وهو معروف بمسجد المرمر بسبب كثرة استخدام حجر المرمر في بنائه؛ كما ويبلغ طول مأذنته حوالي مائتين وسبعين قدماً؛ ومن ساحته يستطيع الزائرون مُشاهدة منظر رائع للمدينة حتى أهرمات الجيزة؛ وقُبة المسجد مبنية على الطراز العثماني أيضاً ويبلغ ارتفاعها مائة وسبعين قدماً؛ والحاجز الموجود في الجنوب الغربي يُتيح منظراً رائعاً لمسجدي السُلطان حسن وابن طولون وللقاهرة نفسها؛ ويُعد هذا المسجد مزاراً معروفاً للسُياح. لكن إذا تكلمنا عن السياحة وحُب السُياح لأكثر المناطق الأثرية بالقاهرة؛ فإن أهرامات الجيزة تأتي في الصدارة؛ وذلك تُعتبر من أكثر الأماكن شُهرة بمصر كلها؛ بل في العالم أجمع؛ وذلك لما تتمتع به من شُهرة عالمية.



وتقع الأهرامات في مدينة الجيزة المجاورة للقاهرة؛ ولكنها لا تبعد عن القاهرة سوي عشر دقائق فقط؛ ذلك لأنه لا يوجد فرق بين مُحافظة الجيزة ومحافظة القاهرة فإنهما يمتزجان معاً ولا يفصل بينهما سوي نهر النيل؛ ويربط بين المُحافظتان عدد هائل من الكباري الكبيرة والمُنتشرة بالقاهرة؛ كما تحتوي منطقة الأهرامات على أشهر تمثال بالعالم وهو تمثال أبو الهول؛ والذي بناه الفراعنة ببراعة فائقة؛ كما إنه بُني على شكل فريد من نوعه؛ وذلك لأن رأسه رأس إنسان؛ ولكن باقي جسده هو جسد أسد؛ وهذا الأمر يرمز إلى قوة الفراعنة؛ وذلك لأنهم يرمزون للرأس إلي أنهم أذكياء؛ ولكن قوتهم كقوة الأسد.

وأهرمات الجيزة من أبدع ما قام به الفراعنة على مر العصور؛ كما يأتي السُّياح من كُل أرجاء الأرض ليُشاهدوا هذا الإبداع الأثري الذي عاش لأكثر من سبعة آلاف عام.

الإسكندرية

هي مركز هام من مراكز الثّقافة والسياحة والتّجارة والزّراعة والصناعة بجمهورية مصر العربية؛ كما تنتشرُ فيها المصانع العديدة التي تُنتجُ مُختلف الأنواع من السّلع الاستهلاكية الغذائية والزّراعية والتعدينيّة والكهربائية؛ وهي ثاني أكبر مُدن جمهورية مصر العربية بعد القاهرة العاصمة؛ وهي من أعظم موانئ البحر الأبيض المتوسّط على الساحل الإفريقي؛ كما تقع على خط عرض ٣١° شمالاً وهي بين مدينتي رشيد شرقاً ومرسى مطروح غرباً؛ كما تمرّ بها السكك الحديد الآتية من القاهرة فطَنْطَا لتصلها بالسلّوم على الحدود المصرية اللّيبية.



ووضع الإسكندر الأكبر حجر أساس المدينة العالمية عام ٣٣١ قبل

الميلاد وأوكل مُهمة تخطيطها إلى دينوكراتيس البارع في الهندسة؛ والذي قام بتخطيط المدينة مثل رُقعة من الشطرنج بحيث تكون شوارعها مُستقيمة من الشمال إلى الجنوب؛ وتقطعها شوارع مُستقيمة من الشرق إلى الغرب والعكس صحيح؛ وبين هذه الشوارع شارعان كبيران أحدهما من الشمال إلى الجنوب؛ وأغلب هذه الدراسات تُؤكد أنه شارع النبي دانيال الحالي؛ والثاني من الشرق إلى الغرب هو طريق كانوب القديم أو طريق أبو قير حديثاً؛ أو طريق الحُرية ثُم طريق جمال عبد الناصر؛ والشارع الأول الذي يحمل اسم النبي دانيال الآن شارع صغير مُريح به مجموعة من الآثار الرومانية مثل حمامات كوم الدكة القريبة؛ أو صهريج مسجد النبي دانيال؛ أو آثار البرديسي الواقعة بشارع البرديسي المجاور لسيدي عبد الرزاق الوفائي المُقابل للنبي دانيال؛ وسُمي هذا الشارع بذلك الاسم نسبة للشيخ مُحَّد بن دانيال الموصلي أحد شيوخ المذهب الشافعي الذي قدم إلى الإسكندرية في نهاية القرن الثامن الهجري واتخذ مسجد الإسكندر (هكذا كان اسم المسجد) مكاناً له يُلقي فيه دروسه حتى تُوفي عام ٨١٠ هـ؛ فحمل المسجد اسمه؛ وقامت العديد من الحفريات لكشف وجود قبر الإسكندر تحت هذا الجامع؛ ولكن للأسف لم يثبت صحتها؛ أما تحور الاسم إلى النبي دانيال فربما لقرب المكان من حي العطارين حيث تجارة اليهود والجاليات الأجنبية؛ والأغلب أن الحس الشعبي لا يُفرق مع الوقت بين ولي ونبي.

وأحيطت الإسكندرية القديمة بسور كبير زال واندثر مع الأيام؛ وهذا السور وقف أمامه أنطيوخوس الرابع ملك سوريا حين أراد غزو مصر عام ١٧٠ ـ ١٦٨ قبل الميلاد؛ ولم يدخل الإسكندرية؛ لكن الذي دخلها كان دقلديانوس الإمبراطور الروماني الشهير الذي تفنن في تعذيب المسيحيين والذي سُمي عصره

بعصر الشُهداء؛ وبإحدى مذابحه بدأ التقويم القبطي؛ فلقد استطاع دقلديانوس دخول الإسكندرية التي كانت قد أعلنت الثورة عليه وخلعته من حُكم روما؛ وأعلنت قائد ثورتها لوكيس دوميتيوس إمبراطوراً.

ووقف دقلديانوس ثمانية أشهر أمام السور بين عامي ٢٦٥ إلي ٦٦ ميلادية؛ ثُم نجح في دخول المدينة وحولها إلى حمامات دماء؛ وبعد أن استقرت الأوضاع لدقلديانوس ورفع عنهم جزية القمح التي كانوا مُضطرين لدفعها إلى روما قام السكندريون بتخليد ذكرى دقلديانوس الرهيب بإقامة نُصب تذكاري من أجمل ما حفظته لنا المدينة من آثار ألا وهو عمود السواري الذي يقف شامخاً على ربوة السيرابيوم بكوم الشقافة أو برقودة القديمة؛ أو كرموز الحالية.

والموقع الذي أقيم فوقه عمود السواري كان في نفس الهضبة معبد السيرابيوم الذي أسماه العرب قصر الإسكندرية؛ وكان عمود السواري يتوسط أربعمائة عمود ترفع القصر الذي تهدم؛ والأعمدة نفسها حملها الجنود أيام صلاح الدين الأيوبي وألقوا بها في البحر لتحصين الإسكندرية؛ والآن من يغطس في الميناء الشرقي بالإسكندرية يري هذه الأعمدة الغارقة.

وكان طولها في بدايتها خمسة كيلومترات وعرضها حوالي الكيلو متر والنصف؛ وبالنسبة لطولها فقد ازداد مع الزمن؛ أما عرضها فلم يزدد كثيراً بسبب بُحيرة مريوط التي تضغط على جنوبها؛ وبحيرة إدكو؛ والصحراء.

ومن أهم أسباب ازدهار الإسكندرية قديماً وجود فنار الإسكندرية الشهير والذي يُعد إحدى عجائب الدُنيا السبع القديمة؛ والذي شيده المُهندس سوستراتوس بن ديكسيانس في عهد بطليموس الأول لينتهي منه في عهد بطليموس فيلادلفوس حوالي عام ٢٨٠ ق. م.؛ كما كان الفنار يرتفع ١٣٥ متراً فوق سطح البحر؛ وكان يهدي السفن إلى الميناء. وكان أيضاً يُستخدم في

صرف سفن الأعداء بالمرايا الضخمة التي تعكس حزماً من أشعة الشمس مركزة عند اللزوم؛ ولقد أباد الزلزال الفنار العجيب.

والسبب الثاني المُهم لازدهار الإسكندرية قديماً كان وجود ترعة من المياه العذبة هي ترعة "شيدا"؛ ومكانها الآن سوق شيديا لاند؛ أو على الأقل مكان جزء منها؛ وكانت الترعة تربط بين النيل والميناء أي بين الإسكندرية وأعماق القارة الإفريقية؛ ولكن اندثرت الترعة؛ واضمحل شأن الإسكندرية؛ واحتاجت إلى ترعة أخرى في العصر الحديث شيدها مُحَّمد علي باشا؛ وهذه الترعة حملت اسم أحد أبنائه حيث سُميت بترعة المحمودية؛ وأدت هذه الترعة إلي ازدهار الإسكندرية في العصر الحديث؛ فقد مضى زمن طويل على الإسكندرية وهي مقطوعة الصلة بالقاهرة؛ وإبان العصر التركي والمملوكي كانت قلعة قايتباي التي أقيمت مكان الفنار القديم تُستخدم كسجن ومنفى للخصوم؛ وصدرت أوامر مُحَّمد علي باشا ببدء حفر الترعة عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٩م؛ وأن تُعمق حتى تجري فيها المياه صيفاً وشتاءً؛ وأمر حُكام الجهات بجمع الفلاحين للعمل (والكلام هُنا للجبرتي) فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم من المراكب؛ ومات الكثيرون منهم من البرد والتعب؛ وكُل من سقط أهالوا عليه تُراب الحفر.

وانتهي العُمال من حفر الترعة عام ١٨٤٠م؛ وبلغ سُكان الإسكندرية ستين ألفاً؛ وفي عام ١٨٤٨م بلغوا مائة وثلاثة وأربعين ألفاً؛ ومن هذا الإحصاء تعرف ما الذي أضافته الترعة للمدينة التي تسلمها مُحَّمد علي باشا وسُكانها لا يزيدون على الثمانية آلاف.

وقديماً كانت المساحة المُطلة على الميناء الكبير هي حي القصور الملكية المُمتدة حتى السلسلة؛ وفي هذا الحي الملكي شُيدت أروع معالم العاصمة؛ وإلى

جانب القصور شُيدت الحدائق والنافورات والمتاحف ودار الحكمة ومعبد بوسايدون إله البحار؛ ومعبد قيصرون ابن كيلوباترا؛ وفي هذا الحي الملكي شُيدت أيضاً مكتبة الإسكندرية الشهيرة؛ ودار القضاء؛ و"البانيون" ذلك التل الكبير الذي أقامه أهل الإسكندرية تكريماً للإله "بان" بحيث يطل من يقف فوقه على المدينة كُلها؛ وبقايا هذا التل هي ما يُعرف بكوم الدكة الآن؛ وهي تلك التي نصب عليها نابليون مدافعه؛ والتي كان على سفحها مُعسكرات قوات "بلوك النظام" قبل الثورة؛ ينطلقون منها لمقاومة المُظاهرات.



حي كوم الدكة هو الحد الفاصل بين الشمال والجنوب؛ فبعده يترامى الجنوب بأحيائه الفقيرة كُلها مُمتدة حتى كرموز؛ وتمتد بالطول تماماً كالإسكندرية؛ لتشمل مينا البصل وباب الكلاسة والقباري حتى المكس الآن بعد أن طالت المدينة واتصلت بالصحراء في الغرب حتى منطقة العامرية؛ وبالزراعة في الشرق حتى منطقة أبو قير؛ وكُما امتد الجنوب بأثر زحف أبناء الريف امتد الشمال

بأثر ازدياد الأجانب في الإسكندرية مُنذ تولي مُحَمَّد علي باشا حُكم مصر؛ وبعدما ازدهرت المدينة وزاد عدد سكانها قال علي مبارك في الخطط : .

. عندما كثر الإفرنج والأغراب في مدينة الإسكندرية واستوطنوها واستحوذوا على كثير من الفضاء الذي كان بداخل المدينة وضواحيها رغبوا في سُكنى الرمل وهي قرية شرق المدينة بينها وبين أبي قير؛ وأكثروا من شراء الأملاك لقلة ثمن الأرض آن ذاك.

ويقول أيضاً : في آخر زمن المرحوم سعيد باشا بدأ الناس في سكن جهة الرمل خارج المناطق العسكرية؛ فاتسعت المدينة وكثر سُكانها حتى بلغ عددهم عام ١٨٧٢ م ٢١٢٠٤٣ شخص؛ من ضمنها ٤٧٣١٦ من الأغراب من ملل مُختلفة (أي أجانب).

ونجد أن أسماء المحطات والشوارع في الشمال والجنوب تُريك إلي أي مدى كانت الإسكندرية مدينة العالم الحقيقة ابتداءً من "باكوس" إلى "سوتر" و"شوش" و"ستانلي" و"فيكتوريا" و"كامب شيزار" وغيرها من أسماء الشوارع المنتشرة هنا وهناك بالإسكندرية؛ وبصفة خاصة منطقة كرموز؛ والتي تُعد أصل الإسكندرية حيث تجد على رأس كُل شارع لافتة تحمل اسمه اليوناني القديم؛ ثم اسمه العربي الحديث.

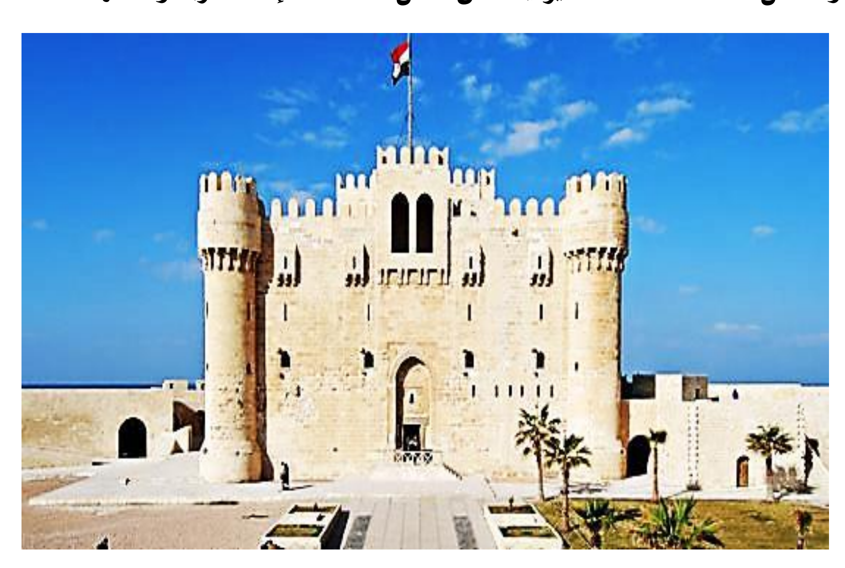
وأهم الصناعات القائمة بالإسكندرية هذه الأيام صناعة الغزل والنّسيج؛ والصناعات الكيميائية؛ وتكرير النفط؛ والأسمدة؛ والمُنظّفات والمُبيدات؛ وصناعة الإسمنت؛ والعطور؛ والأدوية؛ والزّجاج؛ والورق؛ والصّابون؛ والأسلحة؛ والذخائر؛ واستخراج الزيوت؛ وصناعة مواد البناء والطباعة؛ والخزف؛ والبورسلين؛ والبلاط والمفروشات؛ وبها الصّناعات التّحويلية؛ كصناعة البرّادات والغسّالات والجرارات الزّراعية.

وهي مركز سياحي مُهم يقصده السُياح والمُتنزّهون من أنحاء العالم كافّةً؛ وأهمّ معالمها السياحية مُتحف الأسماك الحيّة؛ والعديد من الآثار الرّومانية والعربية والإسلاميّة؛ وهي منارة العلم والتّخصص بجامعاتها ومعاهدها العلميّة المُختلفة؛ فهي مدينةٌ تاريخيّة ضخمة وقديمة؛ وكان يُطلق عليها اسم "الإسكندرية العُظمى"؛ وبناها الإسكندر المقدوني عام ٣٣٢ قبل الميلاد؛ ولما مات حُمِلَ إليها فدُفِنَ فيها.

وقيل عن الإسكندرية قديماً أنها كانت تُضيء بالليل بغير مصباح لشدّة بياض رخامها ومرمرها؛ وكانت أسواقها وشوارعها وأزقّتها مُقنطرة لئلا يُصيب أهلها شيء من المطر؛ وكان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المُختلفة الألوان؛ ومِن أهمّ معالمها منارتها المعروفة باسمها؛ وكانت إحدى عجائب الدّنيا السّبع؛ وقيل إنها بُنيت على كُرسيٍّ من الزجاج على هيئة السّرطان في جوف البحر؛ وعلى طرف اللسان الداخل في البحر من البر؛ وكانت أعلاها تماثيل من نحاس؛ منها تمثال يشير بسبابته نحو الشمس أينما كانت من الفلك؛ ومنها تمثال يشير إلى البحر بيده إذا صار العدو منه على نحوٍ من ليلةٍ؛ فإذا دنا وجاز أن يرى بالبصر؛ سُمِعَ لذلك التّمثال صوت هائل فيعلم أهل المدينة أنّ العدو قد دنا منهم؛ ومنها تمثال كلّما مضى من الليل والنهار ساعةً؛ سمعوا له صوتاً يختلفُ عن الصّوت في الساعة التي قبلها؛ كما اشتهرت بمكتبتها الغنية وبالمدرسة اللاّهوتية والفلسفية في القرنين الثاني والثالث للميلاد؛ ومن أشهر عُلمائها إكليفضوس وأثناسيوس وأفلطون؛ وفُتِحَت الإسكندرية سنه ٢٠ هـ أيام عُمر بن الخطّاب؛ على يد الصحابي عمرو بن العاص.

ومن أهم معالم الإسكندرية قلعة قايتباي؛ وهي التي بُنيَت فوق أنقاض منارة الإسكندريّة الشّهيرة؛ وما زالت القلعة تحتفظ بشكل قاعدة المنارة؛

وبداخل القلعة مسجد صغير يُعدّ من أجمل مساجد الإسكندرية وأقدمها.



و"جامع العطّارين" ولم يبق من هذا المسجد الفاطمي سوى لوحة مُسجّل عليها أمر إنشاء المسجد من "أبو النجم بدر المُستنصر"؛ وقيل إنّ المُستنصر؛ عند مشاهدته هذا الجامع خراباً رأى ضرورة تجديده زلفى إلى الله تعالى؛ وذلك في ربيع الأوّل عام ٤٧٧ هـ؛ وقد جُدِّد مرةً أخرى عام ١٩٠١م بأمرٍ من الخديوي عبّاس حلمي؛ وأخيراً في السّبعينات؛ ومأذنته الحالية من أجمل مآذن الإسكندرية؛ وهي من الطّراز الشائع في عصر المماليك الشّراكسة.



ومن أشهر مساجد الإسكندرية مسجد سيدي أبو العباس المرسى الذّي

كان مقبرةً متواضعةً؛ وبُنِيَ المسجد الكبير الحالي في الثلاثينات من هذا القرن؛ ويتمّ الآن تطوير الميادين المُحيطة به؛ وكَثُرَت المساجد الحديثة في الإسكندرية خلال حقبة الثّمانيات وأوّل التسعينات من القرن الفائت؛ ومن أحدث هذه المساجد مسجد المدينة الذي أُقيم عند مدخل الضاحية الجديدة غرب الإسكندرية في حيّ العَجَمي.

مكة المكرمة

كُلنا جميعاً نتوجه إلى مكة؛ ولكنها لا تتبدى لنا بسهولة؛ ولا نستطيع رؤيتها عن بُعد؛ وتبقى أشبه بمفاجأة كامنة وسط قفر من الأرض؛ تبدو أمامنا سلاسل من المُدرجات البُركانية التي تأخذ شكل السبحة؛ وترتفع تدريجياً لتتحول إلى سلسلة من جبال الجرانيت المتجهمة؛ ويمتد بينها طريق الأسفلت ناعماً كأنه نهر جاف؛ وهو نفس الطريق الذي سارت عليه القوافل مُنذ آلاف السنين؛ ووطئت عليه قدما الرسول الكريم ﷺ؛



ونعبر نفق (كدي) الذي يخترق حصار الجبال؛ لتبدو مكة أخيراً مُتألقة بالضوء؛ ومُفعمة بالحياة؛ وهاجعة في واديها الضيق تحيط به المرتفعات الجبلية من كُل جانب؛ ونتوقف لنلتقط أنفاسنا في انبهار؛ وها هي أم القرى حيث لا يُوجد مكان في تلك الأرض إلا وهُناك قلب يهفو إليها؛ ولا توجد مجموعة

بشرية غير معزولة؛ ولا يُوجد فيها من يتجه إليها وجداناً وعقلاً في كُل يوم ... ولا يمكن أن تكون إلا معجزة سماوية تلك التي قادت نبي الله إبراهيم إلى هذا الوادي الخفيض وسط جبال (السروات) بكُتلها السوداء التي تبعث الرهبة في النفس؛ ولابد أنه منطق المُعجزة نفسه الذي يتخطى المنطق البشري؛ وهو ما جعله يترك زوجته ورضيعها في هذا المكان المُقفر؛ رُبما لأنه المكان الوحيد الذي لا يطمع فيه أحد حتى الذئاب؛ إنما لحظات غريبة تعطلت فيها كل قوانين الصحراء؛ فالماء قد انفجر في عين سيالة من تحت قدمي الرضيع الباكي وأمام الأم الولهانة. كما أن قبيلة (جُرهم) المُهاجرة قد توقفت مذهولة أمام هذه المرأة الوحيدة؛ ولم تحاول أن تستولي على البئر بالقوة كما يقتضي منطق الوجود؛ ولكنها استأذنت لتبقى في جوارها؛ وكانت السيدة (هاجر) تتوق إلى حمايتهم بقدر ما هُم عطشى إلى مائها؛ وظلت قوانين الصحراء مُعطلة تاركة الفُرصة لحدوث المُعجزات والخوارق التي لم تتوقف في هذا الوادي الضيق؛ لذا لم يكن غريباً أن يقف الرسول عليه الصلاة والسلام فوق صخرة من صخور جبل أبو قبيس وهو يقول : ـ

ـ والله إنك لخير بلاد الله؛ وأحب أرض الله إلى الله؛ ولولا إنني أُخرجت منك لما خرجت.



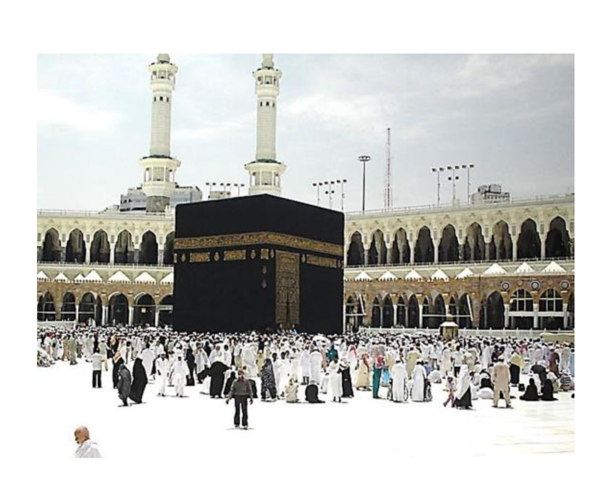
مكة المُكرمة من أشهر مدن العالم وفيها البيت العتيق الذي يحجّ إليه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها؛ وتُسمّى مكة وأم القرى؛ وهي مدينة ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠ متراً. وتعود عمارتها إلى عهد النّبي إبراهيم. وكان يعيش بنوه في الخيام والمضارب حتى عاد قُصي بن كلاب من الشّام في القرن الثاني من الهجرة فبنى فيها المساكن والبيوت حول الكعبة؛ ومن ثم أخذت تزيد عُمراناً إلى الآن.

تمتدّ هذه المدينة من الغرب إلى الشرق في وادٍ مائلٍ من الشمال إلى الجنوب؛ مُنحصر بين سلسلتي جبال تكادان تتّصلان ببعضهما من جهة الشرق والغرب والجنوب؛ أي على أبواب مكة الثلاثة؛ ولذا لا يُشاهد أبنيتها القادم عليها إلاّ وهو على أبوابها. والسّلسلة الشّمالية منها تتركب من جبل الفلج (الفلق) غرباً؛ ثُم جبل (قيقعان)؛ ثُم جبل (الهندي)؛ ثُم جبل (لعلع)؛ ثُم جبل (كداء)؛ وهو في أعلى

مكة؛ ومن جهته دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح.

أمّا السّلسلة الجنوبيّة فإنها تتركّب من جبل أبي حديدة غرباً يتلوه جبل أبي قبيس إلى شرقيهما ثم جبل خندمة. وكُل سفوح هذه الجبال من الحرم تراها عامرةً بالبيوت والمساكن التي تتدرّج إلى قلب الوادي. ضمن هذه المساكن بعض الدّور القديمة؛ فنرى دار ابن عباس في المسعى على يمين السالك إلى المروة.

وفي الشمال الشّرقي للحرم آثار دار أبي سفيان المشهورة. والحرم الشريف يقع بين هذه البيوت مائلاً إلى الجهة الجنوبية ممّا يلي جبل أبي قبيس. وفي هذه الجهة دار الخيزران؛ يتلوها شرقاً شعب بني هاشم ويُسمّى شعب علي ثم شعب



المولى ثم شعب بني عامر. وفي الجهة نفسها أيضاً كانت مساكن بني عبد المطلب؛ وسكن فيها أيضاً كثير من الأشراف. وأمّا باقي قُريش فكانوا في الجهة الأخرى من الحرم؛ ويقصد مكة زمن الحج المُسلمون من العالم الإسلامي أجمع؛ فترى فيها جميع الجنسيات والألوان المُختلفة. وقد أدت التوسعات الحديثة للحرم المكّي الشريف إلى جعل هذا الحرم قادراً على استيعاب أكثر من مليوني حاج في مُوسم الحج؛ وهي تؤمّن لكُل الحجيج جميع وسائل الراحة والعناية لإتمام مناسك حجّهم على خير ما يُرام.

وفي السنوات الأخيرة أيضاً بدأ الحرم المكي يشهد موسماً كبيراً مشابهاً

لموسم الحج؛ وذلك في شهر رمضان المُبارك؛ وبخاصّة في العشر الأواخر منه؛ حيث يؤم المسجد الحرام المُسلمون من أنحاء العالم كافةً لتأدية مناسك العُمرة.

جميع أهالي مكة من المُسلمين؛ ولا يدخلها غير المُسلم مُنذ العام التاسع للهجرة التي نزلت فيه الآية الشريفة : .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(سورة التوبة ٢٨) .

فكان عليّ ﷺ يُنادي في مُوسم الحج الذي أعقب نزول هذه الآية : . ألا لا يحجّ بعد عامنا هذا مُشركٌ.



وكان المُراد بذلك منع المُشركين من الحج وعدم دخولهم البلد؛ وفي اجتماع المجلس الوزاري لمنظمة العالم الإسلامي تم إقرار مشروع باختيار عاصمة ثقافية للعالم الإسلامي؛ وكان من الطبيعي أن تكون مكة هي أولى هذه العواصم؛ يُؤهلها لذلك مكانتها الروحية والتاريخية؛ التي لا يمكن أن تقارن بأي عاصمة أخرى؛ وفي الندوة التي عقدتها وزارة الحج السعودية بهذه المناسبة؛ أجمع المشاركون على أن تستمر الندوة للعام القادم وهي تحمل العنوان نفسه حتى يمكن استيفاء المزيد من الأبحاث حول تاريخ هذه المدينة الخالدة.

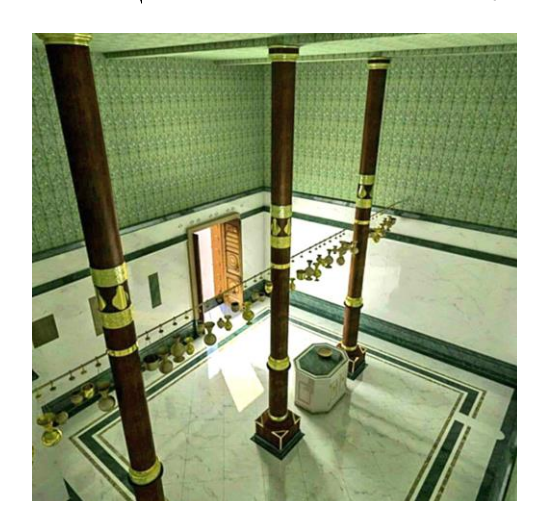


صورة قديمة للكعبة المشرفة أيام سيل شهدته مكة المكرمة

ولا يوجد بلد يحمل أسماء بقدر التي تحملها مكة؛ فقد أوردت لنا كتب التُراث حوالي أربعين اسماً لها منها : بكة؛ أم القرى؛ البلد الأمين؛ أم رحم؛ القادسية؛ سبوحة الحرم؛ المعطشة؛ الرتاج؛ أم المشاعر ... وغيرها أسماء كثيرة؛ وتحمل كُلها دلالات مُختلفة على الدور الذي قامت به مكة على المستوى المادي والروحي؛ ومنذ أن رفع سيدنا إبراهيم أعمدة البيت العتيق؛ وقد أصبح لكل حجر في هذه المنطقة تاريخ مذكور؛ وأصبحت أصغر الوقائع جديرة بالحفظ والتدوين؛ ولابد أمام تاريخ طويل كهذا أن يختلط خيال الأسطورة بمداد الواقع؛ ولكن المُؤكد أن هذا الوادي قد أصبح محوراً مُهماً تتصارع فيه القبائل للحصول عليه والظفر بسيادته؛ وكان الصراع ضارياً فالذين طردوا منه كانوا أكثر من الذين استقروا فيه.

كانت قُريش هي القبيلة التي طال استقرارها في شعاب مكة؛ وهي التي

أدركت الأهمية التجارية للبيت الحرام فأحاطته بالأصنام التي تمثل آلهة كل القبائل؛ واختارت موعداً مناسباً لموسم الحج؛ يكون في فصل الخريف في أعقاب الانتهاء من سوق عكاظ؛ بل إنها بدلت في طقوس الحج لتتناسب مع مصالحها وفرضت على الحجاج أن يلبسوا ملابس خاصة أعدتها لهم أو يطوفوا عرايا؛ فلقد مزجت قريش وفق عبقرية خاصة بين التجارة والطقوس الدينية؛ وصنعت لنفسها مكانة مميزة فوق كل القبائل؛ هذا إضافة إلى أنها وهبت أهم مقومات الثقافية؛ فلقد خرج منها رسول الله الذي أنار العالم بالإسلام؛ والعربية هي لُغة القرآن؛ ولُغة الحياة.

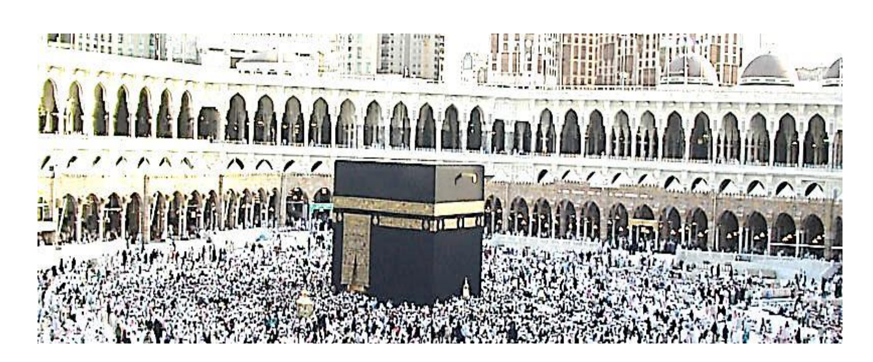


الكعبة المشرفة من الداخل

مع قدوم الإسلام تطهرت مكة من أدران الوثنية؛ واستعاد البيت العتيق قُدسيته؛ ولكن مكة عوقبت عقاباً قاسياً؛ فحتمية وقائع التاريخ التي لا ترحم لم تنس لها أنها أرغمت آخر الأنبياء على الهجرة منها؛ لذا تحول مركز الثقل السياسي منها إلى المدينة المنورة رغم أن الأمراء

والخلفاء كانوا من قريش؛ ورضيت مكة مؤقتاً على مضض؛ ولكن هذا المركز العنيد وأصل الابتعاد عنها؛ اتجه شمالاً إلى دمشق ثم شرقاً إلى بغداد ثم غرباً إلى القاهرة؛ ومكة شهدت العديد من الثورات وحركات التمرد فإنه قد تم سحقها بعنف؛ ولعل أبلغ دليل على ذلك هي حركة ابن الزبير الذي ثار على سلطة بني أمية ونادى بخلافته في دولة عاصمتها مكة.

كان ابن الزبير طفلاً سماوياً؛ متديناً مثالياً؛ لا أحد يدري إن كان يصلح ليكون حاكماً؛ أم لا ولكن الزمن لم يكن صالحاً؛ كانت أمه هي أسماء بنت أبي بكر؛ وكان هو أول مولود للمهاجرين بعد أن استوطنوا المدينة؛ وكانت اليهود قد أشاعوا أن المسلمين قد أصابهم العقم ولن يستطيعوا الإنجاب بعد اليوم.



المعتمرين يُؤدون منسك الطواف حول الكعبة

وعندما ولد عبد الله بن الزبير بدا كأنه بشرى من السماء؛ وحمله الرسول عليه الصلاة والسلام وظل يطوف به كل أرجاء المدينة؛ ولكن جيوش بني أمية لم تعامل ابن الزبير بهذا الدلال؛ لقد حاصرته داخل البيت الحرام؛ ورمته بالمنجنيق حتى دمرت الكعبة على رأسه؛ ولم يكتفوا بقتله ولكنهم مثلوا بجثته؛ وعندما انتهى المحاربون من ذلك طافوا جميعاً حول بقايا البيت الحرام شاكرين الله لأنه نصرهم على عدو الله؛ ترى من كان عدو الله ومن كان نصيره؟

ربما عادت هذه الفاجعة بالخير على دور مكة ومكانتها؛ فقد أبعدتها تماماً عن معترك السياسة بكل ما فيها من دسائس وألاعيب؛ وأصبحت كما قدر الله لها مدينة خالصة للعبادة؛ على حد تعبير الأديب السعودي حسين بافقيه؛ وأصبح الحرم هو الملاذ الحقيقي للفقهاء والشعراء وعلماء اللغة والمنطق والفقه والشريعة ورواة الأحاديث وجوابي الآفاق والزُهاد والتائبين والرُكع السجود.

وكان من عادات أهل مكّة أن كبراءهم يرسلون أولادهم وهم في نعومة أظفارهم للبادية؛ فينشأون فيها على البداوة التامة دون شظف البشر حتّى إذا ترعرعوا عادوا لمكة وقد تعلّموا العربية الصحيحة مع بعض لهجات القبائل؛ وحفظوا أشعارهم وأحسنوا ركوب الخيل والرّماية. ومن عادة أهل مكة التّأنق في المأكل والمشرب واللّباس. وترى في مساكنهم كثيراً من أدوات الزّخرف والزّينة والرياش الثّمينة وخصوصاً البسط العجميّة نادرة المثيل. ومن عاداتهم تقديم الشّاي في أي وقتٍ تحيةً للقادم عليهم وإقامة المآدب ويتفاخرون بكثرة صنوف الطعام المتغايرة في شكلها وطعمها؛ فمنها الهندي والعربي والشّامي والمصري والتركي.



محراب بمكان استقبال الوفود
في بيت خديجة والرسول (ص)

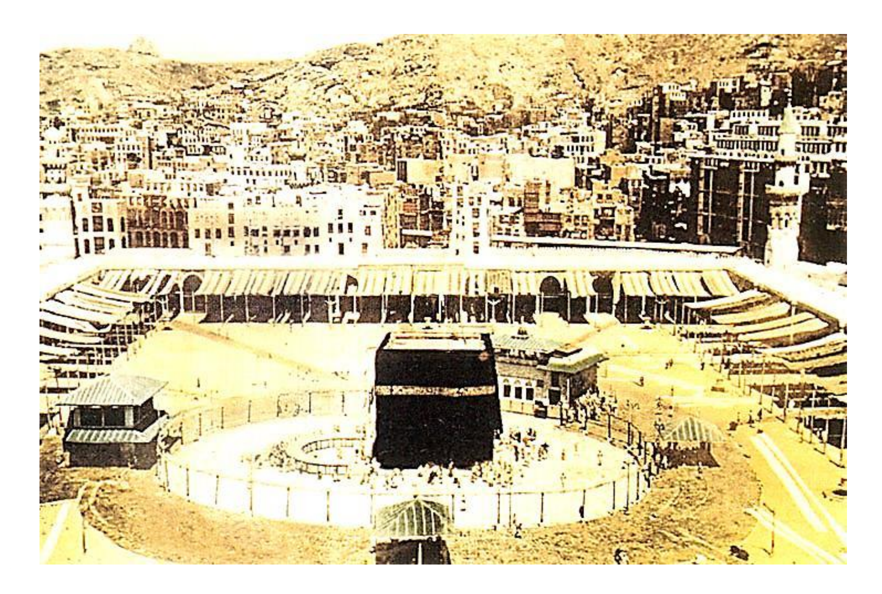
أفراح أهل مكة ومآتمهم غايةً في البساطة. فمن عاداتهم في زواجهم أنهم يدعون الأهل والأصدقاء؛ فيأتي الرجال ويجلسون في الأماكن المُعدّة لهم خارج البيت. أمّا النساء فيدخلن المنزل فيجدن على باب قاعة الجلوس قصعةً كبيرةً مملوءةً بمعجون الحنّاء فتحن المرأة يدها ثم تدخل وتجلس مع باقي النسوة؛ ثم يزففن العروس إلى عريسها ويعدن إلى بيوتهنّ. ومن عاداتهم الاصطياف بالطائف والهدى فوق جبال كرا التي ترتفع عن سطح البحر ١٧٦٠ متراً وفيه جنات كثيرة.

تحظى مكة المُكرّمة بمكانةٍ ساميةٍ ومقدّسةٍ لدى المسلمين. فهي قبلتهم جميعاً وفيها الكعبة المشرّفة والمسجد الحرام. وفيها تقام مناسك الحج فيقبل عليها الحجّاج من مختلف بقاع الدّنيا وتقام فيها مناسك العُمرة. وبالقرب منها غار حراء الذي شهد نزول الوحي لأوّل مرةٍ على النّبي مُحَمَّد ﷺ.

لقد تطورت شخصية أهالي مكة على مر العصور؛ مثلما تطور عمرانها؛ فمُفتاح مدينة مكة المكرمة هو الحج؛ كما أنه مفتاح شخصية المكيين؛ ويتمثل ذلك في قبول الآخر والانفتاح عليه؛ والدعوة إلى حواره؛ بدرجة رفيعة من (التسامح والتعددية)؛ ويُقسم أهل مكة العام لفترتين (المُوسم) أي موسم الحج؛ و(البصارة) وهي تشمل بقية أيام العام؛ وما يصدم الحاج في الموسم في هذه المدينة التي يتخيل أنها مثالية هو سعي أهلها إلى الربح من ورائه بأي وسيلة؛ فقد ظل الموسم لسنوات طويلة مصدر الدخل الحيوي لأهل مكة؛ ينتظرونه من العام للعام؛ وأهم المهن التي كان يُفضل أهل مكة امتهانها دوماً هي مهنة الطوافة؛ ولكن من المؤكد أن الذي يرى أهل مكة خارج موسم الحج يجدهم عذبي المعشر؛ مولعين بالمرح؛ كرماء لدرجة التبذير؛ يكرسون جهودهم لحياتهم الاجتماعية؛ وإن الذي يراقب حياتهم عن كثب يجد بجانب الخشونة والفظاظة

التي عند بعضهم أناساً نبلاء المعشر؛ كريمي الصفات أتقياء ذوي ورع وصلاح.

ومن الصعب أن تعثر على أهل مكة خلال موسم الحج؛ فهم يتحولون إلى قطرات غير مُميزة وسط الزحام العظيم؛ ولا تخلو مكة أبداً من الغُرباء؛ فالزوار لا يكفون عن رحلات العمرة طوال العام؛ كما أن العاملين والمقيمين فيها هُم عينات واقعية لكل العالم الإسلامي؛ وقبل أن يسود مُصطلح العولمة كانت مكة هي المثل الحقيقي للقرية العالمية التي تتشارك فيها كُل الملامح البشرية؛ ومن المُؤكد أن أهل مكة قد تأثروا بكُل هذه الطبائع الوافدة عليهم.



صورة قديمة لمكة المكرمة

لقد تداخل هذا الفسيفساء البشري في تلك الملامح المكية المؤتلفة على حد تعبير؛ وعلى الرغم من تكونها من عناصر مُختلفة فإنها تصب في النهاية في جِماع الشخصية المكية؛ وخليط في خلقهم؛ وتراهم قد جمعوا إلى طبائعهم وداعة الأناضولي؛ وعظمة التُركي؛ واستكانة الجاوي؛ وكبرياء الفارسي؛ ولين المصري؛

وصلابة الشركسي؛ وسكون الصيني؛ وحِدة المغربي؛ وبساطة الهندي؛ ومكر اليمني؛ وحركة السوري؛ وكسل الزنجي؛ ولون الحبشي؛ بل تراهم جمعوا بين رفعة الحضارة وقشف البداوة.

ربما كانت رحلة الحج إلى مكة من أصعب الرحلات في تاريخ البشرية؛ ولعلها مُعجزة حقيقية أنها استمرت وتواصلت خلال مئات من السنوات بالرغم من الموت والقحط والحروب وانتشار الأوبئة وقلة المياه وهجوم البدو؛ ولقد ظل توافد الحُجاج على هذه المنطقة مُتواصلاً؛ بل إن الأعداد كانت في ازدياد رغم شدة المخاطر؛ ولقد كان الرحيل إلى مكة حلماً أقوى من مخاوف الموت؛ بل إن الموت نفسه عُد ثمناً رخيصاً من أجل الوصول والتعلق في أستار الكعبة؛ فلقد كانت رغبة الجميع في التوبة والغُفران حارقة. ولم يتصور أحد أن تُوهب له هذه الأشياء دون القيام برحلة الحج.

لم يكن جوزيف كونراد يدري بالضبط ماذا يعني الحج؛ فقبل أن يكون كاتباً من أشهر الروائيين الذين كتبوا باللغة الإنجليزية كان بحاراً ونصف قرصان يعمل في بحار آسيا الجنوبية على ظهر سُفن ضخمة ومُتهالكة تمخر وسط بحار العواصف؛ سفينة أشبه بالتوابيت العائمة؛ يصف كونراد في روايته الشهيرة (لورد جيم) كيف تتحول هذه السُفن في موسم الحج إلى شاحنات للبشر؛ آلاف من البشر الفقراء يخرجون من كُل موانئ آسيا المُسلمة ليتكدسوا في القيعان المُظلمة وسط البضائع والفئران دون نسمة من الهواء النقي أو وجبة حقيقية من الطعام؛ ولا تنتهي الرحلة إلا وقد ماتت منهم أعداد كبيرة؛ وبعد ذلك يبقى الجزء الأكبر رعباً في هذه الرحلة داخل الصحراء العربية نفسها. فلقد ظل الطريق إلى مكة والمدينة على حالته البدائية مُنذ ظهور الإسلام حتى وقت قريب من أوائل القرن الماضي؛ ويبدو أن كُل الحُكام المُسلمين على اختلافهم قد اتحدوا على إبقاء

الحجاز منطقة بعيدة ومعزولة من الصعب الوصول إليها أو الخروج منها؛ وكانت مُهمة الولاة ـ أمويين وعباسيين وفاطميين وعثمانيين ـ هي تحويل الصحراء بينهم وبين الحجاز إلى حجاب عازل؛ ولم يكن أحد منهم يتذكرها إلا في مناسبتين؛ عندما تهب ثورة أو تمرد فيقمعونه بمُنتهى العُنف؛ أو عندما يخطر لأحد الأمراء أو الخُلفاء أن يقوم بالحج؛ وفي هذه المُناسبة تحفر بعض الآبار المُؤقتة التي سُرعان ما تردمها الرمال؛ أو يسترضون بعضاً من القبائل التي ما تلبث أن تعود لدأبها السابق من السرقة والنهب؛ لم يتذكر مكة والمدينة إلا فُقراء المُسلمين والعُلماء بقلوبهم المتوهجة التي تُرى في مجاورة الحرم عودة إلى منابع العلم الأولى.

ولكن ظل الحرم بعيداً ونائياً؛ لا توجد حوله إلا قبائل جائعة لا تجد في موسم الحج إلا فُرصة كُبرى للاستغلال؛ ولا تجد في الحجاج إلا ضحايا يجب مص دمهم وقتلهم إذا لزم الأمر. وقد زادت حدة هذا الأمر في عهد الأشراف؛ وهُم من سُلالة آل البيت؛ وقد توالوا على حُكم مكة والمدينة بتشجيع من الحكام الفاطميين وأصبح لهم نوع من الاستقلال الذاتي؛ وقد قاموا ببعض الإصلاحات العمرانية والإدارية؛ إلا أنهم كانوا شديدي القسوة على حُجاج بيت الله فقد فرضوا الضرائب لا على رأس الحاج فقط ولكن على متاعه وعلى الدابة التي يركبها؛ وفي عهد صلاح الدين الأيوبي بلغ من جشع أحد هؤلاء الأشراف أنه كان يفرض على رأس كل حاج سبعة دنانير ذهبية كاملة؛ وكان يحبس الحُجاج وجِمالهم في حظائر ضيقة في ميناء جدة؛ وبالرغم من سطوة صلاح الدين فإنه أدرك أن القوة لن تجدي نفعاً مع هذا الشريف؛ لذا فقد اتفق معه على أن يرفع هذه الضريبة الجائرة في مقابل شحنات من القمح يُرسلها له كُل عام؛ وأوقف صلاح الدين خراج عدة قرى في مصر من أجل هذا الغرض؛

بل ويُقال أيضاً إن صلاح الدين أبطل ثمانين نوعاً من الضرائب والمكوس كانت تُفرض على الحجيج؛ ولابد أنه حتى سيور نعال الحاج لم تكن تنجو من الضريبة. وعلى أية حال فلم يستمر هذا الاتفاق طويلاً؛ فما إن مات صلاح الدين وكف خُلفاؤه عن إرسال القمح إلى الشريف حتى عاد إلى سيرته في حبس الحجيج وسلب أموالهم.

يصف لنا إبراهيم رفعت باشا أمير الحج المصري في مذكراته الشهيرة كيف كان العُربان يُحاصرونه ويفرضون عليه الرسوم والإتاوات رغم أنه كان رجلاً عسكرياً وبصحبته حامية من العساكر؛ ولكنه كان يُدرك أن المُقاومة لن تتسبب إلا في خسارة المزيد من الأرواح؛ ولكنه ما إن ينتهي من التفاوض مع قبيلة حتى تظهر له قبيلة أخرى تُطالب بإتاوات جديدة؛ بل إن دلائل القوافل أنفسهم كانوا يتعمدون تضليل القوافل بعيداً عن الطرق المألوفة حتى يتركوها فريسة للصوص الذين سبق الاتفاق معهم.

وكان الأمر يتحول إلى مذبحة حقيقية إذا ظهر من القافلة أي نوع من المقاومة؛ وعلى حد تعبير الإمام مُحَمَّد رشيد رضا فإن الحُجاج الوحيدين الذين كانوا يشعرون بالأمان هُم الحجاج الأفارقة لأنهم كانوا يسيرون على أقدامهم دون أن يملكوا من حُطام الدنيا شيئاً يُمكن أن يُسرق؛ وقد كتب الشاعر أحمد شوقي قصيدة طويلة بعنوان (ضج الحجيج) يستصرخ فيها السلطان العثماني عبد الحميد أن ينقذ رعاياه المسلمين من سطوة العُربان؛ ولم يكن الشاعر يُدرك أن السلطان قد بات عاجزاً عن صيانة عاصمة مُلكه؛ بل وحياته نفسها من سطوة الإنكشارية؛ وأن الأقدار كانت تعد العدة لخروج رجل آخر من عُمق الصحراء هو الذي سيُعيد الأمان المُفتقد لحُجاج بيت الله؛ ويضع الأساس لإنشاء أول دولة حديثة هو سمو الملك عبد العزيز بن سعود رحمه الله.

كانت المُشكلة الأخرى التي تواجه الحجيج في تلك الصحراء الجافة هي الماء؛ فقد كان سعره في موسم الحج يرتفع إلى أسعار مضاعفة؛ وربما ندر وجوده تماماً؛ فبئر زمزم وغيرها من عيون مكة لم تكن في متناول الجميع وكان يتولى أمرها من يتحكم فيها ويفرض السعر الذي يراه؛ كما أن معظم الماء الذي كان متوافراً كان مالحاً ومتسخاً ومليئاً بالرمل؛ وكان الحمالون يأخذون الثمن مضاعفاً إذا كانت خيمة الحاج بعيدة بعض الشيء؛ بل إن الحجاج كانوا يتوضأون من نفس الحوض الذي تشرب منه الدواب.

وقد كتب ميرزا داود وزير الوظائف في إيران عن الحج :

. لا أستطيع أن أنسى منظر تلك المرأة المصرية التي يبس لسانها من العطش؛ وعرضت عليَّ سواراً في يدها مُقابل جُرعة ماء؛ فلما أعطيتها الماء ورفضت أخذ السوار منها عمدت إلى يدي فقبلتها؛ وأرادت السجود أمام شخصي الحقير؛ ولقد وهبت اليوم كل ما لدي من ماء فلم يبق لدي شيء منه حتى للوضوء.

ولكن هذا لا يُعد شيئاً أمام انتشار الأوبئة؛ فلم تكن تقتصر على موسم ومكان الحج؛ ولكنها كانت ترحل مع الحجاج إلى بلادهم؛ أي أنها تخرج من مكمنها الضيق إلى عالم واسع حيث تصبح الكارثة محققة؛ وإنصافاً للحقيقة فإن مكة بريئة من تخليق هذه الأوبئة؛ فهي منطقة جافة؛ مرتفعة الحرارة دوماً بصورة لا تسمح للجراثيم بالنمو والتكاثر؛ ولكن الالتقاء السنوي للحجاج هو الذي كان يخلق هذه المشكلة؛ وإذا أضفنا إلى ذلك قلة المياه وندرة النظافة الشخصية؛ كما أن نحر الذبائح وتركها في العراء أياماً طويلة حتى تتعفن؛ كل هذا يقلب موازين البيئة في هذه البقعة الضيقة؛ وقد كانت المشكلة دوماً تأتي مع حجاج الجنوب من الهند وجاوة وماليزيا وإندونيسيا الذين يحملون أمراضاً

مثل الكوليرا والطاعون كانت تستوطن في بلادهم بشكل دائم؛ وعندما يحدث الاحتكاك بينهم وبين المسلمين القادمين من الشمال مثل حجاج الشام ومصر والمغرب العربي يحدث الانتقال لهذه الأمراض المميتة. ويُعد الوباء الذي حدث عام ١٨٦٥م هو أكبر الأوبئة التي شهدها العالم والذي استمر فترة طويلة؛ فقد عادت الباخرة البريطانية (سيدني) من جدة وهي محملة بأكداس من الركاب المرضى بالكوليرا؛ ورغم أن القبطان الإنجليزي كان قد ألقى في البحر عشرات من الجثث إلا أنه كذب عندما وصل إلى ميناء السويس وقال للسلطات إن كل شيء على ما يرام؛ وبعد يومين فقط انتشر الوباء في مدينة السويس؛ وكان أولى ضحاياه هو الربان وزوجته.

ثُم بدأ انتشار الوباء إلى كُل بلدة عاد إليها الحجاج بواسطة القطار؛ وفي خلال ثلاثة أشهر فقط كان قد حصد ٦٠ ألف شخص؛ ومن الإسكندرية تسلل الوباء إلى أوربا فاجتاحها؛ كما اجتاح آسيا الوسطي؛ بل إنه عبر المحيط الأطلسي ليستقر في مدينتي نيويورك وجودالوب؛ ولم يختف الوباء إلا بعد تسع سنوات كاملة.

أما المُعجزة الثانية بحق فهي أن مُعظم هذه المشاكل قد انتهت وأغلقت الفخاخ أفواهها؛ وتقلصت أعداد الموتى إلا بسبب التدافع والزحام؛ إن من يشاهد تلك الأعداد الغفيرة من الحجيج التي تنام على الأرصفة والشوارع والأنفاق وحتى في المناطق الجبلية المُنعزلة دون خوف يُدرك مدى الأمن والسكينة اللتين تسودان مكة الآن؛ كما أن مصادر المياه مُتوافرة ومجانية في كُل مكان؛ وقد تحولت الدّواب التقليدية إلى أساطيل من الحافلات والسيارات؛ وارتفعت نسبة الرعاية الصحية إلى درجة مُذهلة؛ ورغم أن مكة واحدة من أكثر مُدن العالم ازدحاماً فإنها من أكثرها نظافة؛ ومن يعرف التاريخ ويتأمل

الحاضر يُدرك أن ما يحدث اليوم هُو مُعجزة حقيقية. ولا يُوجد منظر أشد وقعاً في النفس من مشهد الكعبة المشرفة وهي مكسوة باللون الأسود الذي أصبح لونها التقليدي منذ عشرات السنين؛ وفي موسم الحج تُرفع هذه الأستار قليلاً حتى تبتعد عن الأيدي المُتدافعة التي يُمكن أن تُمزقها؛ وحتى يرى الجميع أيضاً أحجار البيت المُتواضعة الخالية من أي زينة؛ وتعود بهم الذكرى إلى أصله الصحراوي.

ومع صعود الدولة الفاطمية وفي ظل العلاقة المميزة التي أقامتها مع أشراف مكة انتقلت مسئولية صُنع الكسوة إلى مصر؛ وفي عهد المماليك أنشئت أول دار لصنع الكسوة في مصر وضمت خيرة الخياطين والمطرزين والخطاطين في مصر؛ ولذلك فقد أوقف المماليك على هذه الدار ريع خمس قرى ما لبثت أن زيدت إلى سبع منها سنديس وسنتريس وغيرهما؛ وكان العمال قبل أن يدخلوا هذه الدار يتوضأون بالماء المعطر بالورد ويأخذون في التكبير طوال وقت العمل؛ وبواسطة هؤلاء (الأسطوات) أخذت الكسوة شكلها الأساسي : اللون والنقشة والحرف المكتوب؛ وكان خروج الكسوة من مصر مُتجهة إلى مكة يوماً مشهوداً في كُل عام؛ إذ يتقدمها الجند وأمير الحج المصري والمحمّل على ظهره الهدايا إلى أهل مكة وتخرج القاهرة كلها لتراقبه وسط الموسيقى والتكبيرات والابتهالات حتى تأخذ القافلة وجهتها الأخيرة للرحيل.

وفي عام ١٩٦٥م تصاعدت الخلافات السياسية بين السعودية ومصر بسبب حرب اليمن ورأت السلطات السعودية أن الكسوة قد تُستغل بشكل سياسي؛ كما أن التطور الغامر الذي شهدته المملكة كان قد أصبح يوفر لها القدرة على القيام بصنع الكسوة؛ وكان أن رفضت تسلم الكسوة المصرية وأبقت الكسوة القديمة على الكعبة عاماً كاملاً حتى استطاع مصنعها الخاص أن

يصنع الكسوة الجديدة وأن يضيف إليها مع تراكم السنوات المزيد من النقوش والتجديدات.

كانت مكة ومازالت مُحرمة على غير المسلمين؛ ولكن هذا لم يمنع المُستكشفين الأوربيين من مُحاولة دخولها؛ فقد كان لديهم نوع من الإصرار والهوس الذي جعلهم يدفعون بحياتهم إلى حافة الخطر وإلى أن يغيروا مصائرهم؛ كان فيهم لصوص وأفاقون ومُغامرون وعُلماء وقساوسة وجواسيس محترفون خرجوا من كُل بُلدان أوربا؛ دافعهم واحد هو الرغبة في معرفة المنابع الأولى لهذا الدين والتأكد من أن تلك القوة لن تعود للانبعاث من جديد؛ تتفاعل داخلهم مشاعر تختلط فيها النظرة الرومانسية لاكتشاف الصحراء مع الدوافع الاستعمارية والتحدي الديني في أرض الدين الذي طالما تحداهم؛ وبعضهم كان مُنصفاً مثل الدنمركي كارستان نيبهور الذي يقول : ـ

ـ ما إن تقترب من هؤلاء العرب حتى تُدرك أن تاريخهم يعود مُباشرة إلى العصور السحيقة التي تلت الفيضان؛ إننا في أوربا مُغرمون بتخيل أنفسنا كآباء للبشرية؛ معجبون بالمغامرات الساذجة التي نقوم بها؛ حتى اللغة التي نتحدث بها مازالت خاضعة للتشكل اليومي؛ ماذا يُمثل هذا كُله أمام العراقة العربية ؟

بدأ فارس صليبي يُدعى رينارد دي شتالو رحلة التسلل للأراضي المقدسة في عام ١١٨٠م؛ كان يريد هو وجيشه أن يصلوا إلى المدينة المنورة ليهدم مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام وفي حقيقة الأمر كان يُريد أن يسرق الكنوز التي كانت الأساطير تقول إنها مدفونة في قبر الرسول عليه الصلاة السلام؛ ولكن ما إن هبط بجنوده على شاطئ البحر الأحمر؛ حتى وجد فُرسان الصحراء العربية في انتظاره؛ كان مُعظمهم عُزَّل وعرايا ولكنهم دافعوا باستماتة أمام الجنود الصليبيين المتحصنين بالدروع الحديدية؛ وسقط الفارس دي شتالو؛

وسيق أتباعه إلى منى حيث تم قتلهم جميعاً. ولم يجرؤ جيش صليبي بعد ذلك على عبور الصحراء؛ ولكن محاولات المغامرين لم تتوقف؛ فقد خرج أفاق إيطالي يدعى لودفيكو فارسيما من فينسيا عام ١٥٠٢م؛ وسافر إلى سوريا واستطاع أن يتنكر كحاج وأن يلتحق بإحدى القوافل التي خرجت من دمشق؛ كان رأس فارسيما مملوءاً بخرافات عصر النهضة؛ لذا فقد قدم وصفاً غير واقعي للأماكن المقدسة؛ بحيث يُرضي تصورات العقل الأوربي عن غرائب هذه الأرض؛ فقد أكد مثلاً أن هُناك حيواناً يُشبه وحيد القرن يعيش داخل الحرم المكي ويختار فرائسه كُل يُوم من بين الحجيج؛ وبعد أن انصرف الحجيج اختبأ فارسيما وظل يتجول في الصحراء لمُدة سبعة أشهر كاملة حتى ذهب إلى عدن وتم القبض عليه بوصفه جاسوساً.

وتوالت محاولات المغامرين؛ بعضهم أصابه الفشل؛ والبعض الآخر استطاع التسلل بالفعل؛ وقدموا شهادات متفاوتة القيمة؛ ولكن أهمهم كان كارسن نبيهور الذي استشهدنا بقوله من قبل؛ فقد كان الشاهد الأخير على رحلة الموت التي شملت البعثة التي كان هو عضواً من أعضائها؛ كانت البعثة مكونة من ستة أفراد؛ طبيب وعالم نبات ولغوي وجيولوجي وعالم طبيعة ورسام هو نيبهور؛ وقد أرسل البعثة ملك الدنمارك فريدريك الثاني وكانت مهمتها اكتشاف الصحراء العربية؛ أو بالأحرى الأماكن التي حدثت فيها وقائع الكتاب المقدس؛ وتجول نبيهور كثيراً في الصحراء العربية بعد أن حطت بعثته في اليمن؛ ومات أفرادها واحداً بعد الآخر؛ وواصل هو السفر شمالاً حتى وصل إلى منطقة الحجاز؛ ولكنه لم يستطع الاقتراب من مكة؛ فقد أخبره الأهالي أن هناك قوى سماوية تحرس هذه المنطقة من دنس الأغراب؛ فما إن يقترب أي كافر حتى تخرج عليه كلاب مسعورة جائعة تنهشه نهشاً؛ وأخاف ذلك نبيهور فاكتفي برسم معالم

منطقة الحجاز بما فيها من وديان وجبال؛ ولكن الصحراء العربية لم تعرف مغامراً مثل بورخارت زعم أن الرحيل إليها لم يكن هدفه الأول؛ كان ما يريده هو الذهاب إلى إفريقيا واكتشاف منابع النيل؛ ولكنه ذهب أولاً إلى سوريا ليتعلم اللغة العربية؛ وعاش في حلب بين السكان المحليين؛ وتطبع بطبائعهم وأجاد لغتهم؛ حتى أصبح حجة في علوم الدين وقيل إن والي مكة نفسه لم يكن يستطيع أن يكتشف أنه ليس مُسلماً؛ وكانت خطته هي أن يذهب إلى الحج ثم يعود مع إحدى القوافل الإفريقية إلى مدينة تمبوكتو حيث يبدأ رحلة عُمره؛ وبمعونة والي مصر الذي كان في هذا الوقت مُحَمَّد علي باشا استطاع بورخارت أن يلتحق بقافلة الحج المصرية؛ ولكن كُل شيء تغير عندما وصل إلى مكة؛ فلقد وقع في عشق المكان وقال : .

. إذا سئلت عن مكان أتمنى فيه الإقامة إلى الأبد فإن هذا المكان هو مكة.

وقد تُرجم هذا العشق في حوالي ٣٥٠ صفحة من الكلمات الحارة ووصف مكة بطريقة لم يُدع فيها مجالاً لمستكشف آخر.

أما الرحالة الذي لم يهدأ فقد كان ريتشارد بيرتون؛ ويمكن القول إنه كتب عن الصحراء العربية موسوعة كاملة؛ تحدث فيها عن الصقور والطقوس الدينية والآثار والثعابين والجبال والغناء؛ كان يملك مهارة فذة في تعلم اللغات؛ وقيل إنه كان يستطيع التكلم بحوالي ٢٩ لغة؛ وسافر إلى القاهرة حيث أجاد اللغة العربية؛ وتردد على الأزهر ليعرف المزيد عن تعاليم الإسلام؛ ثم سافر متنكراً مع قافلة الحجاج إلى مكة؛ وقدم وصفاً دقيقاً لهذه الرحلة وبخاصة المدينة المنورة؛ وعندما وصل إلى مكة كان قد أكمل اندماجه حتى أنه استطاع أن يدخل الكعبة؛ وأن يدفع الحجاج ليُقبل الحجر الأسود وهو يقول : .

. لقد رأيت احتفالات دينية في أماكن عديدة؛ ولكنها لم تكن بكل ذلك الجلال والرهبة مثل مشهد الطواف حول الكعبة.

ولا تنتهي المحاولات؛ ولا يتوقف الرحيل لذلك الوادي الضيق وسط جبال مكة؛ كأن هناك أواصر قوية تشدهم إلى هذا المكان؛ إنه قلب العالم؛ وستظل الدعوة التي أطلقها أبونا إبراهيم لزيارة البيت شوقاً كامناً في أصلاب الأرحام؛ وفي خلايا الأجنة؛ حتى يقبض الله الأرض ومن عليها.



المدينة المنوّرة

المدينة المنورة هي مدينة النّبي ﷺ واسمها "طيبة"؛ وكانت تُسمّى قبل الهجرة بيثرب؛ وترتفع عن سطح البحر نحو ٦١٩ متراً؛ ودرجة حرارتها بالصيف تصعد إلى ٣٨ درجة؛ وتهبط في الشتاء إلى عشر درجاتٍ فوق الصّفر نهاراً. ويرى البعض أنّ كلمة "يثرب" مُحرّفة عن الكلمة المصرية "إتربيس" وأنّ العمالقة قد بنوها بعد خروجهم من مصر. وذهب غيرهم إلى أنّ موسى في طريقه إلى فلسطين؛ وأرسل فرقة من قومه لتكتشف له تلك الجهة؛ فساروا إليها؛ وبلغهم موته فبنوا مدينة إتربيس وأقاموا فيها. وعليه فعمران المدينة يبتدىء من عام ألف وستمائة قبل الميلاد أو ألفين ومائتينٍ واثنتينٍ وعشرين قبل الهجرة.



كانت المدينة مركز لواء مُلحَق بولاية الحجاز ثم جُعِلت متصرفة قائمة بنفسها. وكان فيها عاملان كبيران يقومان بإدارة شؤونها وهما شيخ الحرم والمحافظ؛ وهذا الأخير في يده السّلطة العسكرية التي هي أهم السّلطات. ويتبع

المدينة قضاء الوجه أو قضاء ينبع والكور وتيماء. ودومة الجندل والفرع وذو الرمة ووادي القرى وقرى عرينة والسيالة والرهط وكحل ومدين وفدك وخيبر.

المدينة مبنية في وسط وادٍ شاسعٍ يمتدّ إلى الجنوب. وأغلب مبانيها من الحجر المجلوب إليها من المحاجر القريبة؛ وحارات المدينة نظيفة وضيّقة. وكان سوق المدينة يبتدىء من الباب المصري إلى الحرم الشّريف في شارعٍ ضيقٍ طوله ٥٠٠ مترٍ تقريباً والحركة فيه تكاد تنحصرُ في مُدّة الحج والموسم الرّجبي وهو موسم الزيارة الرّسمية في بلاد العرب. وتجارة المدينة مدارها على وارداتها الخارجية؛ لا سيّما واردات جاوة والهند والشام؛ وعلى الخصوص في الأقمشة القطنية والصوفية والحريرية والسجاجيد وغيرها. وتجارة البلح فيها هي أكبر التجارات وأوسعها لأن ضواحيها بها كثير من البساتين وفيها نخيل كثير؛ فإنها تُنتج نحو سبعين صنفاً من التّمر.



وكان بالمدينة سابقاً مكتباتٌ كثيرةٌ أحسنها مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت؛ وهي قريبةٌ من باب جبريل إلى جهة القبلة. وهذه المكتبة آية في نظافة مكانها وحُسن تنسيقها وترتيب كُتبها وأرضها المفروشة بالسجاد العجمي

الفاخر. وفي باب السلام مكتبة للسُلطان محمود ومقدار الكتب التي فيها **٤٥٦٩** كتاباً. وفيها مكتبة للسلطان عبد الحميد الأول تضم **١٦٥٩** كتاباً. وفيها أيضاً مكتبة بشير أغا في زقاق الخياطين؛ وفيها **٢٦٠٣** كتاباً؛ ويُقدّر مجموع هذه الكُتب بثلاثين ألف كتابٍ من الكُتب النّادرة المثال.

كان في المدينة حمامان تُركيان أحدهما داخل المدينة وهو من عمل السّلطان سليمان القانوني والثاني بالمناخة. وفيها خمس تكايا أهمّها التكية المصرية والباقي يسمّونها رباطات. وللمدينة المنوّرة حرم مثل حرم مكّة كان يبلغ قطر دائرته قبل التوسعات الحديثة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد وسلفه الراحل الملك خالد نحو كيلومترين.



في المدينة وضواحيها مزارات كثيرة أشهرها مسجد قباء ومسجد سيّدنا حمزة والبقيع. أمّا مسجد قباء فيبعد عن المدينة مسافة خمسة كيلو متراتٍ. وهو أوّل مسجدٍ بُنِيَ في الإسلام؛ وبناه رسول الله في الجنوب الغربي للمدنية عند دخوله إليها في هجرته؛ وقد جدّد بناءه السلطان عبد الحميد الأول. وبوسط

صحنه قبة أُقيمَت على مبرك ناقة النّبي ﷺ حين قدومه إليها في هجرته من مكة. وأما مسجد سيّدنا حمزة فإنه يُوجد في شمال المدينة في وادي أُحد.

وهذا الوادي مشهور بالواقعة التي حصلت بين المُسلمين والمُشركين في ١٥ شوّال عام ٢ للهجرة؛ وأبلى فيها المسلمون بلاءً حسناً واستشهد فيها سيدنا حمزة عم النبي وذُفن فيها؛ شرقي مسجده الحالي. ومن حول قبره أُقيمَت قبور الشّهداء الذين قُتِلوا في هذه الواقعة وعددهم نيّف وسبعون. وفي نهاية الوادي إلى الشمال جبل أحد. وهو جبلٌ صخريٌ من الجرانيت؛ وهو وإن كان من السلسلة الجبلية التي تخترق بلاد العرب إلاّ أنّه يكاد يكون منفصلاً عنها وطوله من الشرق إلى الغرب نحو ستة كيلومتراتٍ.

والبقيع له عند المسُلمين مكانة عظيمة ويُقال له بقيع الغرقد لأنّه كان يكثر فيه هذا النوع من الشجر؛ وبه دُفِنَ نحو عشرة آلاف من الصحابة الكرام؛ وكثير من آل بيت النّبوة منهم سيّدنا علي زين العابدين بن الحسين وولده مُحَمَّد الباقر وولده جعفر الصّادق. ومن مساجد المدينة المباركة مسجد الرّاية ومسجد الفتح ومسجد القبلتين ومسجد السقيا ومسجد الغمامة ومسجد علي في طريق قباء؛ ومسجد المائدة أمام البقيع من جهة الشرق ومسجد الأحزاب وراء جبل سلع الذي هو على يسار الخارج من الباب الشامي؛ ثم مسجد عروة. كان أهل المدينة يشربون من آبار كثيرةٍ منها: بئر الأعواف وبئر أنس بن مالك وبئر رومة التي اشتراها عثمان بن عفان ليُشرِب المسلمين منها في صدر الإسلام. وفيها بئر القويم وبئر العبّاسية وبئر صفية وبئر البويرة وبئر فاطمة وبئر عروة.

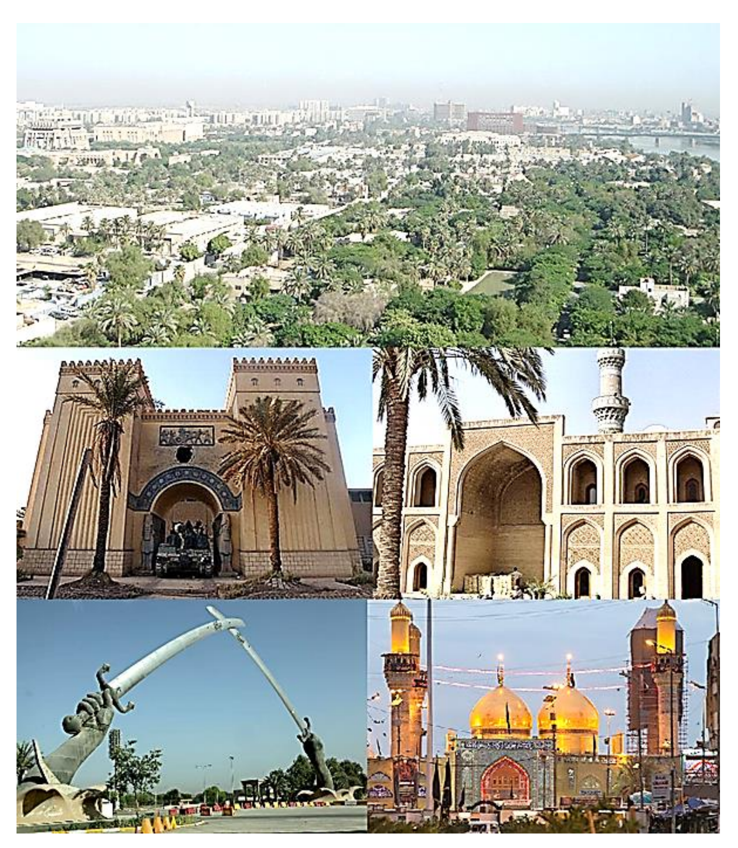
بالمدينة عيون ماء عذبةٍ منها عين الزرقاء نسبةً إلى مروان بن الحكم الذي أجراها بأمر مُعاوية وقتَ أن كان عاملاً له على المدينة؛ وكان يُسمّى الأزرق

لزُرقة عينيه. ويمدّ ماء هذا العين مجرى مأخوذ من عينٍ في قباء أيضاً يسمّونها "عين النبي"؛ وماؤها يسير إلى المدينة. وفي ضواحي المدينة؛ عدا العين الزرقاء؛ عين كهف غربي جبل سلع؛ وعين الخيف وتجري من عوالي المدينة؛ وعين الوادي بجوار قبر حمزة ثم عين السلطان وهي مالحة وتجري من قباء إلى المدينة.

كان في المدينة بالجهة الشّمالية حدائق كثيرة بالقرب من السّور. كما كانت توجد حدائق رومية داخل السّور. وفي الجهة الشرقية بساتين وكروم كثيرة من النّخيل. وحول المدينة أودية كثيرة ينزل فيها كثير من مجاري السّيول التي تروي البساتين خصوصاً في الجهات المُنخفضة منها.

بغداد

يعود تاريخ بغداد؛ عاصمة العراق؛ إلى النّصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد؛ حيث ازدهرت فيها مستوطناتٌ بشريةٌ عديدةٌ؛ منها مدينة "شادوبم" التي تُعرَف اليوم باسم "تل حرمل" والتي بيّنت الدراسات عن وجود جامعةٍ فيها. وبالقرب من شادوبم كان هناك مركزٌ حضريٌ آخر يُعرَف بإسم زارلو.



وفي الجانب الغربي من دجلة كان العديد من المراكز الحضرية الرّئيسية؛

منها مدينة دوركوريكالزو التي زخرت أبنيتها بقصورٍ مُزيّنةٍ وبرج مدرج ومعابد ودور سكن وشوارع. وتوصّلت التنقيبات إلى أنّ زمن تأسيس المدينة يعود إلى عهد الملك كوريكالزو (القرن الخامس عشر ق.م.) كما اكتُشِفَ في بغداد عددٌ من الآثار التي تمثّل مراكز حضارية من العصرين الآشوري والبابلي؛

أمّا تأسيسها الجديد فيعود إلى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور؛ الذي أسّس أولاً مدينة المستديرة؛ وكانت خالية من كل المنشآت الترفيهية. ولمّا قرّر الخليفة المنصور بناء العاصمة الجديدة واختار لها الموقع الصالح؛ أمر بتخطيطها على الأرض بمادةٍ قابلةٍ للإشتعال؛ فأشعل فيها النّار ليلاً؛ فظهر له شكل مدينته؛ فاختار لها المُهندسين الذّين أشرفوا على بنائها. هكذا شُيّدت المدينة التي دعاها المنصور "دار السّلام"؛ وأحيطت بخندق وأسوار تحميها من الأخطار.



شهدت بغداد خلال سنواتٍ قليلةٍ تطوراً حضارياً واسعاً؛ ممّا دفع بالخليفة المنصور إلى تشييد مدينةٍ في الجانب الشّرقي من نهر دجلة سمّاها الرّصافة. ومنذ ذلك الحين صارت بغداد رائدة في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثّقافية والعلمية. وقد بلغت أوجهاً في عهد الخليفة هارون الرّشيد حيث بلغ فيها العمران ذروته؛ فأُقيمَت الجوامع والمساجد؛ ودور العُلماء والقصور الفخمة الفارهة.

وبعد أن نقل الخليفة المُعتصم بالله العاصمة إلى سامراء عَرَفت بغداد فترة انحطاطٍ؛ لكنّ سرعان ما عادت لتكون هي العاصمة من جديدٍ.

في عهد الخليفة المُعتمد تركّز التّوسع الحضاري في الجانب الشرقي؛ أي في الرّصافة التي أحاطها الخليفة المُستظهر بسورٍ ضخمٍ؛ وتمّ ربط دفتيّ دجلة بثلاثة جسورٍ أساسيةٍ؛ واستُعمِلَت الزّوارق والقوارب في دجلة كوسائط للنقل بين الرصافة والكرخ. وبذلك صارت بغداد بمنشآتها ومرافقها تضمّ أكبر تجمّعٍ سكانيٍ باعتبارها عاصمةً من عواصم العالم الإسلامي.



أخذ النّهوض الحضاري المتميّز الذي شهدته بغداد يتآكل بعد استحواذ جماعاتٍ غير عربيةٍ على السّلطة؛ مُمهِّدةً بذلك للغزو المغولي؛ فبدأ بريق الحضارة يخبو حتى صارت مركزاً لولايةٍ في أطراف الدولة العثمانية بعد أن كانت عاصمة العالم. وقد ظلّت محصورةً داخل أسوارها القديمة طيلة عدّة قرونٍ من القهر والاستعباد الأجنبي.

في القرن التّاسع عشر شهدت بغداد بوادر نهوض الصّراع السّياسي بين أحزاب الدّولة العثمانية الذي أدّى إلى استحداث بعض الإصلاح في بغداد؛ كذلك فإنَّ فتح قناة السويس قد أدّى إلى تفكّك اقتصاد المقايضة في العراق وربطه بالاقتصاد العالمي. وبعد هزيمة العُثمانيين في الحرب العالمية الأولى وسقوط العراق تحت النّفوذ البريطاني؛ عادت لتصبح عاصمةً لدولة العراق الحديث.

كان أوّل تطويرٍ عُمرانيٍ خارجَ المدينة القديمة استيطان القوات البريطانية المُحتلّة في منطقتي الهنيدي والوشاش؛ ثمّ أعقبه التوسع العمراني في منطقة حزام دجلة. وكان صدور نظام الطّرق والأبنية عام ١٩٣٥م مؤشّراً على اهتمام السّلطات على التّوسع العمراني. وكانت أوّل خطةٍ عمرانيةٍ لبغداد في عام ١٩٣٩م؛ أعدّها فريقٌ ألمانيٌ تمّ بموجبها توسيع خدمات الماء والكهرباء وفتح شارع الكفاح وشارع الشّيخ عُمر في الرّصافة. وفي أوائل الخمسينيّات بات الامتداد الشّريطي في حزام نهر دجلة يُغطّي المنطقة الممتدّة من مدينة الكاظمية في الشمال حتّى معسكر الرّشيد في الجنوب. وقد ساعد إنجاز سدّ الثرثار وانحسار خطر الفيضان إلى حدٍ كبيرٍ في هذا التّوجه.

كان لفتح الطُّرق السّريعة في جانبي الكرخ والرصافة الأثر الكبير في التحضر العمودي على النهر؛ وركنت بغداد إلى إعداد تصميمٍ أساسيٍ تمّ تحديثه في التّصميم الإنمائي الشامل لعام ١٩٧٣ الذي شرّع بقرار مجلس قيادة الثّورة.

وأولى تنفيذ هذا التّصميم أهميةً بالغة المتنزهات والمناطق الترويحية والمساحات الخضراء والعديد من الملاعب الرياضية والمسابح ومراكز التّرفيه والتسلية؛ وفي مقدّمتها "جزيرة بغداد" السياحية التي تشملُ كازينوهات ومطاعم ومسابح ومرافق رياضية ومسرحاً مفتوحاً وبرج الماء المُشيّد بارتفاع ٦٥ متراً. ومع هذا فقد فَقَدَت بغداد البعض من منشآتها خلال حرب الخليج الأولى؛ ثم ما حصل بعده من القصف المُتتابع للمدينة من طرف أميركا وحلفائها أثناء حرب الخليج الثانية. وما زالت المدينة تعيش تحت بؤرة التوتر والاحتلال.

المُوصل

الموصل هي ثالث أكبر المدن العراقية وتقع في شمال العراق على نهر دجلة. وهي مركز محافظة نينوى وإحدى أهمّ المدن العراقية التي تلعب دوراً مميّزاً في قطاعيّ التجارة والصّناعة. وأهمّ صناعاتها صناعة المُوسلين (نُوع من الثياب المصنوعة من خيوط الحرير؛ وكلمة "موسلين" مُشتقّةٌ من كلمة "موصل") وإنتاج السُّكر وصناعة الكبريت.



وتشتهر الموصل بحقول النّفط الأهم في العراق؛ وفيها مصافي عين زالة المشهورة. وبالقرب منها توجد آثار نينوى المدينة التّاريخية القديمة. وفيها مطار مدنيّ؛ وتنشط فيها حركة التّجارة كونها على الخط الحديديّ العريض الذي يصل بغداد بالمُدُن السّورية الشّمالية كالقامشلي ودير الزور وحلب.

وهي تتّصف بصحة هوائها وعذوبة مائها؛ وعلى العموم؛ فهي حارّة صيفاً

وباردة شتاءً.الموصل مدينةٌ قديمةٌ اعتُبِرَت ذات يومٍ باب العراق ومفتاح خُراسان؛ ومنها كان يُقصد إلى أذربيجان؛ وقديماً قالوا : .

. بلاد الدّنيا العظام ثلاثة : نيسابور باب الشّرق؛ ودمشق باب الغرب؛ والمُوصل لأنّ القاصد إلى الجهتين قلّما لا يمرّ بها؛ حتّى أنّها سُمّيَت بالموصل لأنّها وصلت بين الجزيرة والعراق؛ وقيل أيضاً لأنّها تصل بين دجلة والفرات؛ وقيل لأنّ الملك الذي بناها اسمه الموصل؛ وهو راون بن بيوارسف؛ وأوّل من ساوى طرقات الموصل في العهد العربي الإسلامي وبنى عليها سوراً كان مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم؛ المُلقّب بالحمار؛ وهو آخر خُلفاء بني أميّة.

وكان هذا السّور فيما بعد يشتمل على جامعين اثنين : أحدهُما بناه نورالدين محمود في وسط السوق؛ وهو طريق الذّاهب والآتي؛ والآخر نشز من الأرض في صقعٍ من أصقاعها قديم؛ وهو الذي بناهُ من قِبَل مروان بن محمّد؛ ومن مشاهير الموصل في القديم السرّي بن أحمد الرّفاء؛ وهو شاعرٌ ذكَرَ المُوصل كثيراً في أشعاره. ومن أهل الموصل الذين عُرِفُوا بالعلم والفضل : عبد العزيز بن حيان بن جابر بن حريث أبو القاسم الأزدي الموصلي المُتوَفّي عام٢٦١ هـ.

ومن أبرز معالم الموصل اليوم مئذنة الجامع النّوري المائلة؛ وتُعرَف بإسم الحدباء؛ وهي من أشهر معالم المدنية؛ ومن أقدم المآذن في العالم الإسلامي؛ وسور نينوى القديم وقد أُعيد بناؤه من جديدٍ وهو من بقايا مدينة نينوى الآشورية؛ وباب السّراي؛ السّرج خانة؛ ودار التوتنجي التي أعيد ترميمها من جديدٍ وهي من أقدم الدُّور الموصليّة؛ وقباب جامع النبي يوسف المخروطية الشّكل؛ والملاك المجنّح حكيم آشور وطبيبها الذي يعود تاريخه إلى آلاف السّنينح ومعبد آلهة الشمس حيث الأعمدة والتّماثيل الآشورية؛ وآثار النّمرود؛ وجنوب غرب الموصل كانت عاصمة الأمبراطورية الآشورية الثّانية.

سامُراء

سامراء من المدن العراقية القديمة والمُقدّسة؛ وكانت يوماً عاصمةً للدّولة العباسية لمدّة ستين عام؛ وتقع المدينة على الضّفة الشّرقية لنهر دجلة وتبعد نحو ١١٨ كم إلى الشّمال من العاصمة بغداد. ويحدّها من الشمال تكريت؛ ومن الجنوب بغداد؛ ومن الغرب الرّمادي؛ ومن الشّمال الغربي الموصل؛ ومن الجنوب الشّرقي ديالى.

بُنيَت مدينة سامراء لتكون عاصمة الإمبراطورية العبّاسية. وكان المكان الذي شُيّدَت عليه المدينة مستوطناً منذ أقدم العصور؛ وكان لسكّانه نصيب من الحضارة؛ تمتّد إلى عصورٍ سحيقةٍ.



ولمّا انتقل المُعتصم العبّاسي من بغداد إلى سامراء؛ راح يفتّش عن موضعٍ لبناء عاصمته الجديدة. فلمّا كان يتحرّى المواضع؛ وصل إلى موضعٍ يبعد عن بغداد ١١٨ كم؛ فوجد فيه ديراً للمسيحييّن؛ فأقام فيه ثلاثة أيّامٍ ليتأكّد له مُلاءمة المحل؛ فاستحسنه واستطاب هواءه؛ واشترى أرض الدير بأربعة آلاف دينار. وأخذ في عام ٢٢١ هـ بتخطيط مدينته التي سُمّيت "سُرّ مَن رأى"؛ وعندما تمّ بناؤها انتقل مع قادته وعسكره إليها. ولم يمض إلاّ زمنٌ قليلٌ حتّى قصدها الناس وشيّدوا فيها مباني شاهقة وسُمّيَت بـ"العسكر"؛ واشتهرت بسامراء؛ وهي كلمة مُشتقة من "سُر مَن رأى" يوم كانت المدينة عامرة وُمزدهرة؛ ثم أصبحت "ساء من رأى" لمّا تهدّمت وتقوّضت عمارتها. كان يُحيط بالمدينة سور مُضلّع على شكلٍ يميل إلى الإستدارة؛ يبلغ طول محيطه ٢كم؛ ولايتجاوز قطره ٦٨٠م؛ مبني بالجصّ والآجر ويصل ارتفاعه إلى ٧ م؛ وكان له ١٩ بُرجاً؛ وأربعة أبوابٍ هي : باب القاطول؛ وباب الناصرية؛ وباب الملطوش؛ وباب بغداد. وظلّ هذا السور ماثلاً للعيان حتى عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٦م.

وأكثر بيوت المدينة مبنيّة بالآجر؛ وتنتشر في أرجائها الحدائق العامة والخاصّة. وفُتِحَ فيها مُتحف وُضِعَت فيه المخطوطات والمصوّرات المهمّة عن آثارها؛ وفي مدخل المدينة يقع مشروع الثّرثار الذي يقي بغداد من الغرق؛ وتنتشر المحلاّت في سامراء في محلّة العابد؛ محلة البوجول؛ محلة البوبدري؛ محلة البونيسان؛ المحلة الغربية؛ محلة القاطول؛ محلة القلعة؛ المحلة الشّرقية.

أمّا شوارعها فأهمها : شارع الخليج؛وشارع السّريجة (يُعرَف بشارع الأعظم). وشارع الحير الأوّل؛ وشارع أبي أحمد بن الرشيد؛ وشارع برغمش التّركي. ومِن أهمّ جوامع المدينة جامع سامراء الكبير الذي شيّده المُعتصم عند بداية بناء المدينة عام ٢٢١ هـ؛ وجامع القلعة؛ ومسجد حسن باشا؛ ومسجد

حميد الحسون؛ ومسجد سيد درويش؛ ومسجد البورحمان؛ ومسجد علي بن أبي طالب؛ ومسجد الحاج صالح الرّحماني؛ ومسجد الأرقم؛ ومسجد أولاد الحسن؛ وجامع الفاروق. كما ويُعتَبر جامع أبي دلف وملويته والذي يبعد نحو ١٥ كم عن شمال المدينة من الآثار العبّاسية المُهمّة في المدينة.

من معالمها الأثرية : المأذنة الملوية؛ والنافورة؛ وقصر بلكوارا (شيّده المُعتزّ عام ٢٤٧ هـ)؛ وقصرالعاشق والمعشوق (شيده المُعتمد العبّاسي عام ٢٦٤هـ)؛ قصر المُعتصم (الجوسق الخاقاني)؛ وقصر المُختار؛ والقصر الوزيري؛ وقصر العروس؛ والقصر الجعفري؛ ومدينة المتوكّلية (على بُعد ١٠ كم شمال مدينة سامراء)؛ وقصر الجص؛ وبركة السّباع؛ والقبة الصّليبية؛ ودار العامة؛ وتلّ الصّوان؛ وسور سامراء.

الكُوفة

مدينة عراقية. سُمّيت الكوفة لاستدارتها أو لاجتماع النّاس بها؛ وقيل سُمِّيَت "كوفة" لموضعها من الأرض؛ وذلك لأنّ كل رملةٍ يخالطها حصى تُسمّى كوفة؛ وقيل غير ذلك.



قال ابن حوقل: مدينة الكوفة قريبةٌ من مدينة البصرة في الكبر؛ وهواؤها أصحّ؛ وماؤها أعذب؛ وهي على الفُرات. وبناؤها كبناء البصرة.

وقال القزويني : . هي التي مَصَرَها الإسلاميّون بعد البصرة بسنتين يأتيها الماء بعذوبةٍ وبرودةٍ؛ وأمّا البصرة فيأتيها الماء بعد تغيّره وفساده.

يُنسَب إلى الكوفة الإمام أبو حنيفة؛ وسُفيان الثوري؛ وأبو أميّة شريح القاضي؛ وأبو عبد الله سعيد بن جُبير؛ وأبو الطّيب المُتنبي أمير الشُعراء.وفيها جامعٌ معروفٌ بمشهد علي وولده الحسين عليهما السّلام؛ وإليه يحج الشّيعة.

الدّوحة

الدّوحة هي عاصمة دولة قطر؛ وأكبر مدينةٍ فيها؛ وتقعُ في واحةٍ خصبةٍ واسعةٍ على السّاحل الشّرقي للخليج العربي؛ وفيها مطارٌ دوليٌّ متطوّر؛ ويستقبل المُسافرين من أنحاء العالم كافّةً؛ ومرفأ الدّوحة البحري مُهمٌّ إذ يُصدَّر منه النّفط. وبالقُرب من الدّوحة تقوم المصانع المُهمة؛ وهي مصانع تكرير النّفط والصّناعات البتروكيميائيّة؛ ومعامل لتحلية المياه.



ومن الدوحة تتفرّع الطّرق الرّئيسة المُعبّدة المُتّجهة إلى الرّويس وأبي الظّلوف شمالاً؛ وإلى رخان في الشّمال الغربي؛ وإلى غار البريد وأبي سمرة في الجنوب الغربي؛ على حدود المملكة العربية السّعودية؛ وإلى مُسَيعيد على شاطىء الخليج العربي.

تتحلق الدوحة خليجاً مُستديراً صغيراً يقع في المنتصف من الشاطيء

الشرقي لشبه جزيرة قطر. ويبتدىء قوس هذا الخليج بميناء الدوحة وينتهي بفندق شيراتون الدوحة الذي يبدو كأنه هرم عصري يرتفع على مرسى يطفو فوق المياه! وتواجهه جزيرة صغيرة تسمى جزيرة النخيل. وعلى امتداد الكيلومترات السبعة التي يجري خلالها نهرا الشارع الواسع المطل على فيروزية الماء! لا ينقطع النخيل عن تسييج الضفتين والسموق في الجزيرة الفاصلة بين نهري الشارع. وتتواصل حدائق الشاطيء على امتداد شارع الكورنيش! وتتواصل أيضاً ملامح الإصرار القطري على صون التراث المعماري العربي الخليجي القديم برغم الانخراط في التحديث. وفي هذا الشأن تعد الدوحة من أكثر العواصم الخليجية احتفاظاً بملامحها التراثية معمارياً. سواء بالحفاظ على القديم وترميمه أو بدمج الطراز العربي الخليجي في تصميم الأبنية الحديثة ابتداء من مبنى الديوان الأميري حتى مساكن موظفي الدولة الكبار والصغار على حدٍ سواء.

ولا تكتفي الدوحة بصون تراثها المعماري البديع والمريح للعين والنفس عند واجهة الكورنيش فحسب! فهي تفعل ذلك حتى أعمق أعماقها. يتمثل ذلك في حي الريان الذي يبعد سبعة كيلومترات عن مركز المدينة! وفي الضاحية الشمالية التي تبعد عن المركز ستة كيلومترات.

اللون الأبيض الناصع لأبنية أليفة تتنفس بارتياح في المساحات الشاسعة وسط النخيل! والسمات واضحة: نقوش الجص العربية حول الأقواس والأسوار والأبراج تأخذ شكل القلاع الخليجية القديمة! والأبواب من الخشب الثقيل المصفح والمحفورة صفحته بالنقوش! والسقوف القديمة من الخشب وسعف النخل مازالت تحيا في قمة الحداثة. بينما الباجادير (أو ملقف الهواء)؛ ولا يزال يرفع رأسه فوق الأبنية الحديثة بواجهاته الأربعة المفتوحة تستقبل الهواء من أي

اتجاه يكون وتحيله إلى داخل الأبنية لتبترد أجوافها بلا أجهزة تكييف ولا مراوح.

شيء إنساني جميل تحس به في الأبنية الرائعة المطلة على الكورنيش وهو المقهى الشعبي المؤسس على نمط قلعة تتناسق داخل أسوارها البنية الحمراء عدة كتل معمارية ذات قباب وأبراج وأقواس! وباجاديرات .. بالطبع.

الدوحة مدينة تصر على ألا تتنازل عن شخصيتها أمام ضرورات وصراعات التحديث؛ وهي مُعادلة صعبة لكن العناد القطري الجميل يقوى على حمل شقي المُعادلة؛ وأمام هذا التطور السريع والمُتغيرات المتوالية في فكر الإنسان وتوجهاته يجد هذا الجيل المُخضرم مُحاولة الموازنة بين الماضي والحاضر وتطلعات المستقبل.

المُهم أن تعرف كيف تقدم الماضي لجيل الحاضر والمُستقبل؛ هذا الماضي يجب ألا يُقدم بجمود ودون أخذ المتغيرات بعين الاعتبار. وفي تصوري أن هناك شقين لكيفية طرح الماضي. أولهما تاريخي يعتمد على التدوين وعلى الذاكرة والتسجيل؛ والثاني آداب وسلوكيات؛ وحرف وصناعات وفنون؛ وهذه يجب أن نُحافظ عليها ويعطيها الجيل الحاضر لجيل المستقبل حتى يكون هُناك تواصل بين الأجيال على أن يطوّع الجيد والجميل ليبقى مُستمراً؛ وليربط هذا الجيل بجذوره وأصالته العريقة.



بيت التقاليد الشعبية الذي يُعد هو نفسه كمبنى أحد نماذج العمارة الخليجية النادرة القديمة؛ حيث يُعتبر البُرج الهوائي (باجدير) مفتوح على الجهات الأربع؛ وذلك كي يُؤمن تياراً مُستمراً من الهواء اللطيف للغُرف الداخلية خلال الصيف الطويل الحار؛ كما أن مُحتويات البيت هي ذاتها محتويات البيت القطري القديم؛ أما الأسواق القديمة فهي على حالها؛ ومنها سوق "الواقف" الذي سُمي هكذا رُبما لصغر حوانيته وتفرعات دروبه الضيقة الظليلة؛ والتي يدور فيها المتسوق وسط الزحام دُون أن يُفكر في الجلوس.

وفي منطقة الشحانية في الجهة الغربية بمدينة الريان التي تبعد ٤٥ كيلومتراً عن قلب الدوحة كانت قطعان المها (أو الوضيحي) تسرح آمنة في هذه المحمية التي تستهدف المحافظة على هذا الحيوان الذي أوشك على الانقراض من الجزيرة العربية لولا جهود دول الخليج البيئية ومنها قطر. وإذا كان الغزال العربي تراثاً برياً عربياً تصر على استعادته قطر في محمية الشحانية! فالشحانية أيضاً هي موضع عالمي معروف في دنيا الخيول العربية الأصيلة إذ يتم في مزارعها استيلاد أصفى السلالات من الحصان العربي! وفي هذه المزارع يوجد ٩٠

حصاناً من أثمن خيول العالم ترتع في رحاب ٣٠٠ هكتار من الأرض الخضراء المحفوفة بالنخيل والأسوار والبوابات المشيدة من الحجر الأبيض على النمط الخليجي القديم.

إنَّ التُراث البري للبادية العربية يجد في قطر رعاية كبيرة تصل إلى درجة العشق ابتداء من التصقير (أي القنص باستخدام الصقور) وحتى سباق الإبل! أما البحر الذي تحيط مياهه بشبه جزيرة قطر من كل ناحية! فإنه يشغل موقعه من قلب الحنين القطري للقديم! وثمة رحلة قصيرة جميلة بالقوارب التقليدية تنطلق من شاطىء خليج الدوحة الشمالي إلى جزيرة صغيرة تتمركز في الوسط واسمها جزيرة النخيل.

وحتى لا تنقرض صناعة السفن وقوارب الصيد التقليدية في قطر أنشئت ورشة أميرية لصناعة وصيانة السفن التقليدية من أبرز إنجازاتها صناعة سفينة تسمى البتيل على يد "قلاف" (أي بنّاء سُفن) قطري مشهور من جيل الآباء الذين عاصروا زمن الغوص والصيد! وطول هذه السفينة الكبيرة يبلغ ١٢٥ قدماً وعرضها ٣١ قدماً! وتتسع لنحو ٢٠٠ شخص! وهي لا تزال تنقل القطريين للقيام برحلات بحرية ذات طابع تقليدي! رغم أنها مزودة بكل إنجازات الملاحة البحرية الحديثة حفاظاً على أرواح الأجيال الجديدة التي يشغلها الحنين إلى البحر بينما بعد بها عهد مصارعته.

الدوحة ... هي كل خليج ملتف في بلاد العرب ... وهي شجرة وارفة الظل... ومن ثم تتعدد الدوحات فهناك دوحة في عمان وأخرى في الكويت... لهذا كثيراً ما يشار إلى العاصمة القطرية باسم "دوحة قطر"... وهي دوحة يلتف فيها الخليج وتتفيأ بظلالها ملامح تراث يقاوم الاندثار ... ولكنني أعتقد أن الدوحة إذ تحمل اسم قطر لتمييزها ... فإن قطر يصح أن تحمل بكاملها معنى

الدوحة ... وذلك وبخاصة من زاوية التاريخ.

لقد سُجلت أوضح الهجرات البشرية العربية إلى قطر فيما قبل الغزو الأوربي حيث كانت بلاد العرب مفتوحة لارتحال أهلها. وفي هذا السياق "ارتحل المعاضيد من بني تميم من مشارف واحة جبرين في نجد إلى شبه جزيرة قطر ... وكان أبرز هؤلاء المعاضيد الشيخ ثاني بن مُحَمَّد الذي وجد في المشارف الشمالية لشبه جزيرة قطر منتجعاً طيباً حيث تقع مظان اللؤلؤ الذي كان آنذاك عصب الحياة الاقتصادية في الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب.

ويُعتبر بهو فُندق شيراتون الدوحة جزيرة فضائية؛ حيث يدفع الإنسان لأن يرفع وجهه كثيراً نحو الأعالي؛ فالفندق مشيد على شكل هرم من أحد عشر طابقاً فوق لسان من الأرض امتد في عرض الماء بإرادة الفعل البشري؛ وهي عملية تُسمى (دفن البحر) إذ يتم عبرها زيادة مساحة اليابسة عن طريق ردم مساحات من مياه الساحل؛ وأحياء شاسعة من الدوحة لم تكن في السابق غير مساحات من البحر.

ولقد لعبت الريح لعبتها بالفعل مع هذه الأرض وهؤلاء الناس لكن رحمة الله ظلت واسعة ففي زمن الغوص كانت الريح مُواتية لتجارة اللؤلؤ الطبيعي في الخليج عامة؛ وقطر خاصة؛ وما إن استتب الأمر للؤلؤ المُستزرع الذي توصل إليه العالم الياباني ميكيمو توكوكيشيو عام ١٨٩٠م؛ حتى بدأت تجارة اللؤلؤ الطبيعي في الكساد أمام غزو اللؤلؤ المُستزرع الرخيص؛ وراحت الأزمة تشتد في الخليج وتقسو على قطر؛ وعند ذروة الأزمة أدركت رحمة الله الناس.

فالنفط المخبوء في طبقات العصر الجوروي العائد إلى ١٨٥ مليون عام خلت أعلن عن وجوده؛ ولحكمة قدرية تماماً لم يستطع المنقبون اختراق طبقات الصخور إليه إلا عام ١٩٣٩م ليتدفق "زيت الصخر" ويعوض كساد لؤلؤ

البحر؛ وإن أرجأت الحرب العالمية الثانية وتداعياتها تصدير أول شُحنة نفط قطرية إلى أواخر عام ١٩٤٩م.

ومع ذُروة العطاء النفطي كان طبيعياً أن يكثر الحديث عن مخاوف النضوب؛ ولكن الأرض والبحر عاودا فتح باب الأمل للقطريين باتساع قرنين قادمين من الزمان؛ فطبقات العصر البرمي من الأرض في يابسة قطر وتحت سطح مياهها الإقليمية والتي يعود تاريخها إلى ٢٧٠ مليون عام تحتوي على مخزون هائل من الغاز الطبيعي المُنفرد يجعل من قطر ثاني أكبر مُمتلك للغاز في العالم وذلك يتمثل في حقل رأس لفان ، حيث يقع حقل غاز الشمال الذي بدأ اكتشافه عام ١٩٧١م في المياه القطرية شمال شرق شبه جزيرة قطر ويمتد جُزء صغير منه تحت اليابسة؛ ويُغطي في مُجمله مساحة قدرها ستة آلاف كيلومتر؛ أي ما يُعادل نصف مساحة الأرض القطرية كُلها؛ وتبلغ احتياطيات الحقل من الغاز القابل للاستخراج نحو ٢٥٠ تريليون قدم مُكعب؛ وتزيد احتياطياته الإجمالية على ٥٠٠ تريليون قدم مُكعب.

حقل هائل هذا شأنه كان لابد له من مشروع طموح للتطوير؛ حيث تتدرج مراحله صعوداً إلى المرحلة الأولى؛ حيث ظهرت الحاجة إلى استغلال غاز حقل الشمال خلال عقد الثمانينيات لدعم الطلب المحلي من الغاز! والذي لم يف به مكمن الخف البري بدخان! وبدأ تنفيذ المرحلة الأولى من التطوير في منتصف عام ١٩٨٧م؛ وتم إنجازها وتشغيل مُنشآتها في مطلع عام ١٩٩١م بطاقة إنتاجية قدرها ٨٠٠ مليون قدم مُكعب يومياً من غاز حقل الشمال؛ وينتج عنها ٧٥٠ مليون قدم مُكعب من الغاز الخفيف؛ ونحو ٥٠ ألف برميل من سوائل الغاز الطبيعي والمُكثفات للتصدير.

في هذه المرحلة كان لابد من استحداث منشآت وإقامة شبكة أنابيب

خاصة بالمشروع ومحطات ضخمة لمُعالجة الغاز؛ وهي تنقسم إلى منشآت بحرية تتألف من محطة إنتاج بحرية تقع على بُعد ٨٠ كم شمال شرقي الساحل القطري في مياه يبلغ عُمقها ٥٢ متراً؛ وتضم هذه المحطة منصتي آبار؛ وقد تم حفر ٨ آبار من خلال كُل منصة؛ ومنصة مُعالجة وتتم بها معالجة الغاز المستخرج من الحقل قبل نقله إلى مسيعيد عبر خطي أنابيب مُنفصلين؛ ومنصة المرافق العامة وتضم جميع الأنظمة الداعمة والمساندة للمنشآت البحرية كتوليد الكهرباء ومكافحة الحريق ومياه التبريد وغاز الوقود؛ ثُم منصة السكن وتُوفر سُبل إقامة مشمولة بكُل الخدمات اللازمة لإقامة ٧٥ شخصاً؛ وأخيراً منصتان لدعم الجسور بين كُل هذه المُنشآت.

إنها مدينة لكن هذه المدينة الصناعية العائمة وسط الخليج في مياه قطر الإقليمية لا تبقى معزولة في البحر فثمة شبكة هائلة من الأنابيب توصلها بالبر لاستكمال معالجة الغاز تمتد بعد المعالجة الأولى في المحطة البحرية ٨٠ كيلومتراً حتى رأس لفان عبر خطي أنابيب مُعتمدين قطرهما ٣٤ بوصة للغاز الجاف؛ و ٢١ بوصة للمُكثفات؛ ويُواصل خطا الأنابيب سيرهما على البر.

ولن ينتهي دور مسيعيد في المُستقبل؛ بل يتعزز برغم بروز نجم جديد يتألق لطاقة الغاز في منطقة رأس لفان التي تبعد ٧٠ كيلومتراً عن الدوحة؛ ولا شك أن رأس لفان هي إطلالة البر القطري على حقل الشمال الواقع في البحر؛ وهي إطلالة عالمية الطموح أسست لإقامة مدينة صناعية جديدة ضخمة على مساحة ٤٠ كيلومتراً مُربعاً؛ ولتضم عدداً كبيراً من المُجمعات الصناعية التي تعتمد على الغاز من منشآت مُعالجة وتسييل وتصدير الغاز وتصنيع البتروكيماويات وتكرير المُكثفات؛ وإنشاء ميناء حديث لخدمة هذه الصناعات؛ وتم إرساء عقد عالمي لتصميم وبناء رأس لفان في ٧ سبتمبر عام ١٩٩١م؛

وكانت السنوات الست التي مضت مُنذ ذلك الحين ساحة محدودة لإنجاز كبير بين مُنشآت المُعالجة والتخزين وجسور وأوناش التصدير؛ ثمة قناة ملاحية بطول ٥ كم وعرض ٢٨٠ متراً وعمق ١٥ متراً تحت سطح البحر تم حفرها وتعميقها؛ وحوض للسُفن مساحته ٢ كم٢ وبعمق ٣١.٥ متر تم استكماله؛ وحاجز أساسي للأمواج بطول ٦ كم؛ وآخر خلفي بطول ٥ كم مُكتملاً مع مرسيين لتحميل ناقلات الغاز المُسال؛ ومرسيين آخرين لتحميل المُنتجات السائلة والبتروكيماويات.

كذا أرصفة تحميل ناقلات البضائع الجافة وشحن المعدات الثقيلة. هذا غير مرافق الميناء المُختلفة من مبانٍ؛ وطُرق وشبكات صرف وإنارة ومياه وإدارة العمليات البحرية والمستودعات وكافتيريا ومباني الشرطة والجمارك والمسجد ومحطات الإطفاء. هذا غير مدينة العاملين في رأس لفان بكل خدماتها المعيشية والترفيهية والطبية ... إنه مشروع كبير يتأهب للعمل؛ وقد عرف الاكتمال.

الدّوحة مدينةٌ تُجاريّةٌ مُهمّةٌ؛ وتنشُطُ فيها حركة التّجارة وتنتشر فيها بيوت المال والمصارف وشركات التّأمين؛ وتتميّز بأنّها مدينة تشهد نهضةً عمرانيّةً حديثةً. ومن معالم الدّوحة قلعتها الشهيرة؛ والمسجد الكبير ذو المنارة المميّزة؛ والقصر وبرج السّاعة. وفي الدّوحة عددٌ من المعاهد العلميّة والكليّات الدّينية؛ وبها جامعة قطر التّي تضمّ مُختلف الأقسام والتّخصصّات؛ كما أنّ فيها مصائد لاستخراج اللّؤلؤ وصيد الأسماك.

لم تكن المُجمعات التُجارية الضخمة قادرة على إبعاد رائحة التراث التي يمكن أن تتسلل إلى زائر الدوحة؛ فعلى طول شارع الكورنيش الذي يلف المدينة؛ تطالع المرء مجسمات منمقة لدلال القهوة الخليجية؛ ونماذج ضوئية لسفن الصيد القديمة؛ فيما تنبعث رائحة أسماك البحر المختلطة برذاذ المياه.

مدينة تراها من البعد ، فتستعيد ذاكرتك مشهد حي مانهاتن في نيويورك؛ حين تكون واقفاً على الشاطيء الآخر؛ أو كنت قادماً إليه عبر المياه؛ حيث تري الأبراج متناثرة بطول ساحلها متخذة أشكالاً متمايزة؛ لكن فندق الشيراتون بمبناه الهرمي كان الأكثر جذباً للعين؛ حين تمتد الرؤية لتضيف إلى المشهد العام مساحة متسعة من مياه ذات زرقة صافية كانت في بدايات صيف يوليو تمنح المنظر جمالاً فائقاً. وتتميز الدوحة بتنظيم دورات للألعاب والأنشطة الرياضية ويتمثل ذلك في قرية الألعاب الآسيوية في مدينة حمد الطبية.

وتتميز الدوحة بالمتاحف منها المُتحف الإسلامي؛ حيث تعود فكرة إنشاء مُتحف الفن الإسلامي إلى بداية عهد أمير قطر الحالي؛ الذي يعتبر جامعاً لمقتنيات وتحف ذات قيمة تاريخية وأثرية وفنية عالية جداً؛ وقد كانت مجموعته التي أهداها إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث هي النواة الأولى والأساسية لمجموعة مقتنيات قطر؛ وعلى أثر ذلك تقرر إنشاء المُتحف الإسلامي وبدأ البحث عن الشكل الذي يجب أن يكون عليه. ورأى أمير قطر أن يكون المُتحف مُتخصصاً بالفنون الإسلامية ويضم الأعمال الفنية عبر العصور ويكون المعيار الأساسي للمعروضات هو المستوى الراقي للفن والجمال؛ الذي يميز كل قطعة ويكون المعماري الذي يصممه واحداً من ألمع المعماريين العالميين ومن ذوي الخبرة العريقة في أعمال مشابهة؛ وبالفعل فقد تم إسناد إعداد وثائق التصميم إلي مؤسسة الآغا خان التي لها باع طويل في هذا الجانب.

وانتهى الأمر بتكليف المعماريين العالميين الكبار لوضع التصميمات اللازمة للمُتحف؛ الذي بدأ بالأبحاث والدراسات الموسعة؛ واطلع على مختلف العصور الإسلامية ومميزاتها وحضاراتها وفنونها؛ وعندها بدأ النشاط الدءوب لتعزيز مجموعة مقتنيات قطر من التحف الفنية الإسلامية.

أما المُتحف الإسلامي فيقوم على جزيرة في البحر ترتبط باليابسة بجسرين للزوار والموظفين؛ ويتكون المُتحف من بناءين؛ الأول هو المُتحف؛ والآخر هو المبنى التعليمي. أما الطابق السفلي (السرداب) فيمتد على كامل الجزيرة ويضم المخازن الرئيسية والخدمات الهندسية؛ وبعضاً من المكاتب الإدارية. أما مبنى المُتحف فيضم قاعات عرض مؤقتة ودائمة ويتوسطه بهو هو عبارة عن فناء واسع يتوسط المبنى؛ وتقوم حوله أجزاء المُتحف. وأهمها: في المستوى الأول المعرض المؤقت وقاعة المؤتمرات وكافتيريا وغيرها؛ ومن المستوى الثاني إلى الرابع مساحات لعرض المقتنيات بمساحة لا تقل عن ١٥٠٠م مربع؛ وفي المستوى الخامس الإدارة ومطعم لخدمة كبار الزوار؛ أما المساحة الكلية للمعارض فهي تتجاوز الـ ٤٥٠٠م٢ عدا مخازن المجموعات؛ والتي تتجاوز الـ ٢٠٠٠ م٢ ومركز الصيانة والترميم بمساحة لا تقل عن ٤٠٠م٢.

أما المبني الثاني فيضم في طوابقه المستوى الأول وفيه مكتبة متخصصة ومركز للصيانة والترميم للمقتنيات؛ ويمتد هذا المركز إلى السرداب؛ أما المستوى الثاني فيضم المركز التعليمي الذي يضم قاعات تعليمية وورشات تدريبية وتفصل بين المبنيين حديقة واسعة هي عبارة عن الحديقة الشرقية؛ صممت بإيحاء من العمارة الإسلامية؛ ومن جهة أخرى هناك الحديقة الشمالية تنتهي بمرسى لليخوت.

وإلى جانب مُتحف الفن الإسلامي هناك مشاريع أخري منها المُتحف العلمي والمُتحف البحري (الأكواريوم)؛ والحي الثقافي؛ وهناك المكتبة الوطنية؛ التي تضم في بنائها أكثر من مليوني كتاب؛ وستحتوي على مُتحف للمخطوطات والمسكوكات والتاريخ الطبيعي؛ وفن المستشرقين بمساحة ٤٥٠٠م٢. وتشتمل المكتبة الوطنية على قاعات للمعارض الفنية بمساحة

٤٥٠٠م٢؛ أيضاً إضافة إلى قاعة متميزة للمؤتمرات؛ ليكون منارة ثقافية تطل على الخليج العربي.

ويجري العمل في الوقت نفسه في مُتحف التصوير الضوئي وهو مُتحف آخر يضم مجموعة قطر من آلات التصوير والمعدات والتجهيزات المتعلقة بها؛ وكذلك مجموعة من الصور التاريخية المهمة؛ وتعتبر مجموعة قطر في حقل التصوير واحدة من أهم المجموعات في العالم؛ وصُمم المُتحف بطريقة مبتكرة؛ ويضم المُتحف أيضاً مساحات واسعة للعرض واستوديوهات ومعامل للتصوير ونادياً للمصورين المحترفين ومكتبة متخصصة.

وتزامناً مع هذه المشاريع المستحدثة يجري في الوقت الحالي تطوير مُتحف قطر الوطني ومجموعته القيّمة. وتشتمل التصاميم التي تعبر عن التجانس بين الماضي والحاضر؛ والقصر القديم والمبنى الحديث؛ على توسعة المُتحف؛ ليضم قاعات عرض جديدة لتاريخ قطر الطبيعي والإنساني والحضاري؛ بالإضافة إلى الفنون التي وجدت على أرضها؛ كما سيضم المشروع أيضاً مكتبة ومعارض متخصصة بالتراث القطري في البر والبحر؛ ويتحدث القطريون بزهو عن مشاريع أخرى قادمة يجري الإعداد لها؛ فهُناك مُتحف للسيارات وللمُتحف الرياضي ومُتحف السلاح؛ ومركز مُتخصص لصيانة القطع الأثرية؛ ومُتحف مُتخصص في النفط والغاز.

وفي الدوحة يحظى الإعلام بأهمية كبيرة؛ ويلقى في الوقت نفسه دعماً غير محدود؛ وإذا كانت التجارب الحديثة في الصحة والتعليم إضافة إلى الغاز قد أصبحت دلائل مميّزة على قطر المستقبل؛ فإن الإعلام الذي قدم له ذلك البلد الخليجي تسهيلات غير محدودة قد بات أيضاً إحدى العلامات الدالة عليه.

ومن المتاحف القطرية المعروفة؛ وهو في الأصل قلعة عسكرية كانت

سجناً لمعاقبة المجرمين. وتتميز قلعة الدوحة بأسوارها العالية وأبراجها ومزودة بكافة الإمكانيات الدفاعية لصد أي هجوم. وفي عام ١٩٧٨م قامت وزارة الأشغال العامة القطرية بتجديد القلعة وإضافة بعض الزخارف وفتح باب جديد لها يطل على الشارع الرئيسي، ثم تحولت القلعة بعد ذلك بحوالي ست أو سبع سنوات إلى مُتحف للفنون التشكيلية والحرف والصناعات اليدوية.

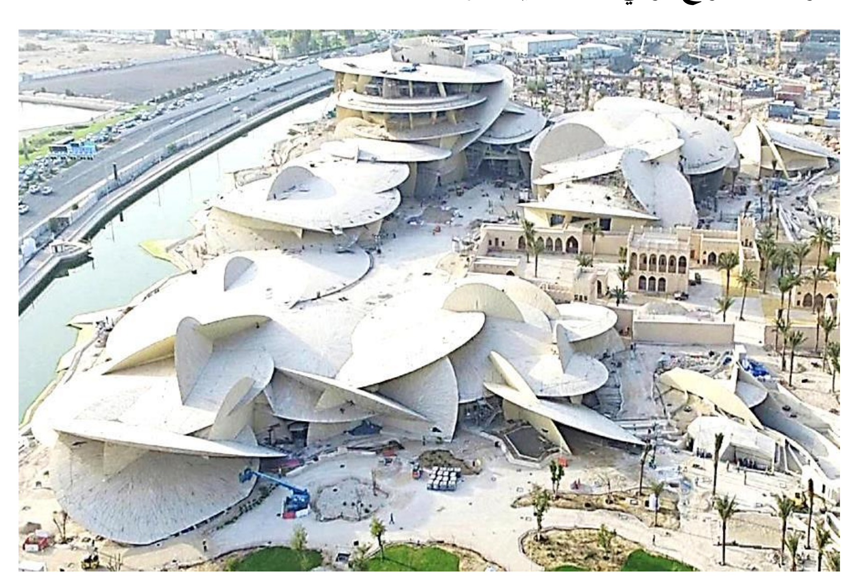


ومُتحف قطر الوطني يمثل أحد المعالم الثقافية البارزة؛ وقد بدأت فكرة إنشائه عام ١٩٧٢؛ وقد استقر رأي الأكثرية أن يكون مبنى المُتحف الوطني مجمعاً صغيراً كان يقطنه أحد أمراء قطر؛ ثُم وضع القائمون على المُتحف مخططات لإقامة مبنى جديد هو مبنى مُتحف الدولة في ذات الموقع على أن يكون تصميمه مسايراً لطراز ونمط المباني القديمة دون أن يكون منافساً لها.

ولما كانت قطر فخورة بتقاليدها باعتبارها مكاناً يلتقي فيه تياران تاريخيان على غاية من الأهمية وهما الصحراء والبحر؛ فقد اقترح إنشاء بحيرة صناعية فيها نماذج من سفن الخليج التقليدية؛ كما اقترح بناء مُتحف بحري ومعرض

للأحياء المائية؛ وعلى ذلك فإن مُتحف قطر الوطني الذي افتتح في يونيو عام ١٩٧٥ يتألف من أربعة أقسام رئيسية هي مبنى القصر القديم؛ ومُتحف الدولة ثم البحيرة والمُتحف البحري ومعرض الأحياء المائية.

ويعد مُتحف قطر الوطني من أكبر المؤسسات الثقافية في الشرق الأوسط تقدما وأرفعها شأنا في منطقة الخليج؛ وقد اكتسب منذ افتتاحه شهرة عالمية وعربية كمشروع تراثي وحضاري كبير.



وقد أخذت مرافق المُتحف بالتوسع منذ ذلك الحين؛ وأصبحت منشآت المُتحف وأقسامه تغطي مساحة خمسين ألف متر مربع؛ حيث يضم المُتحف خمسة أقسام رئيسية؛ القسم القديم وهو مجموعة من المباني القطرية التقليدية الطراز ويعرض بها حاليا مواد من صميم البيئة العربية القطرية قبل عصر البترول؛ والقسم الثاني وهو مبنى مُتحف الدولة وهو مبنى حديث خصص لعرض الإثنوجرافيا والتاريخ الطبيعي والعلوم والفنون الإسلامية والتاريخ الحديث والبترول وما يتعلق بالحياة العربية في الحاضرة والبادية؛ وكذلك الأسلحة

وأدوات الغزل والنسج ثم الجمل والحصان والصيد والعادات والتقاليد؛ أما القسم الثالث فهو القسم البحري أو معرض الأحياء المائية؛ وقد خصص لعرض عينات من الأسماك والأحياء المائية الموجودة في مياه الخليج العربي إلى جانب المعروضات عن حياة البحر والصيد والغوص وتجارة اللؤلؤ؛ والقسم الرابع هو البحيرة الصناعية وتضم مجموعة من السفن التقليدية المعروفة في منطقة الخليج العربي مثل سفينة الشوعي؛ وسفينة السنبوك؛ وسفينة البوم.

أما الحديقة النباتية فهي خامس أقسام المُتحف؛ وهي مخصصة لاستزراع أنواع النباتات الصحراوية في مختلف مناطق العالم مما سوف يجعلها مستقبلاً مختبراً طبيعياً لدراسة تلك النباتات بأنواعها. ومن الأمور التي أعطت أهمية خاصة تجميع مواد من المجتمع القطري بشطريه البدوي والحضري تعكس تقاليد ومهارات وصناعات هذا الشعب؛ وقد قامت وزارة الإعلام بتوجيه نداء إلى الشعب تحث أفراده فيه على إحضار مواد يشعرون أنها قد تهم المُتحف إلى مركز تجميع رئيسي في الدوحة؛ وكان نتيجة ذلك أن ازدادت مجموعات محتويات المُتحف عدداً وقيمة.

المُتحف مؤلف من خمسة أقسام هي : القصر القديم؛ والقصر الحديث؛ والمُتحف المائي؛ وحديقة المُتحفح والبُحيرة.

ويُشاهد الداخل دون عناء المُنخفض المائي الطبيعي (البحيرة)؛ وقد أعيدت إليها الحياة بعد أن جددت وأصلحت وملئت بالماء من الخليج؛ وفيها تعرض نماذج من السفن وقوارب الصيد التي كانت مستخدمة في مياه الخليج؛ وهي نماذج أصلية وكذلك تحتوي على أنواع من الأحياء المائية الكبيرة؛ وأما الحديقة فإنها تتوسط مباني القصر؛ وفيها من مختلف أنواع النباتات المعروفة في قطر.

ومُقابل القصر القديم شُيد مبنى عُرف بالقصر الحديث ورُوعي في بنائه انسجامه مع القصر القديم إذ بُني في مستوى مُنخفض عن أسوار القصر القديم كي لا يُؤثر على المنظر العام للقصر؛ والعُمر والمنشأ؛ وفي المُتحف أيضاً مصورات جغرافية (خرائط) منها الخريطة الشاملة لدولة قطر والمصورة بوضوح بواسطة الأقمار الصناعية؛ ويقول البعض أن طائرات (الأواكس) التي ساهمت في حرب تحرير الكويت ١٩٩١م لم تكن مجرد مراقبة لحركات القوات العراقية وإنما كانت لها أهداف أخرى كدراسة تربة الجزيرة العربية؛ وفي المُتحف خرائط ترصد جغرافية المنطقة منذ ملايين السنين.

ويحس الزائر الذي يتجول في مُتحف قطر وكأنه يحلق راحلاً نحو أعماق الماضي حيث الفئوس اليدوية والرقائق الحجرية والمدىّ وما شابه ذلك من أدوات تعود إلى العصر الحجري؛ ومن بين هذه الأدوات (الوسم) وهو بمنزلة ختم كانت تطبع بها جلود البهائم؛ ولكل قبيلة ختمها الخاص الذي تطبع به أنعامها لكيلا تختلط بأنعام الآخرين.

وتتوزع بين أجنحة المُتحف أجهزة التلفزيون التي تبث برامج عن القهوة العربية وكيفية إعدادها؛ وعن صناعة السدو وبناء بيت الشعر وبرنامج عن الصقور وتربيتها؛ في قسم الفنون والحرف الإسلامية قسم خاص بنسج السدو وهناك مجسم أيضاً عن بيت الشعر وبنائه ومحتوياته من أدوات الضيافة؛ وأواني صنع اللبن والزبد ولعل أبرز هذه الأشياء (الشكوى) أداة الحصول على الزبد ومن ثم السمن.

وأمام البيت الهودج وهو يوضع على ظهر الجمل لتجلس عليه سيدات المجتمع أثناء السفر قديماً؛ ومن ينسى غزليات عمر بن أبي ربيعة بحبيبته التي كانت على هودجها مسافرة بين حراسها هو يراقبها بحرقة قلب.

ومُتحف قطر الوطني يحتوي على صور جميلة للصقور وإلى جانبها أمتعتها وبعض اللوحات التي تعرف بتربيتها والعناية بها؛ فالصياد يقدم للطير وجبة واحدة يومياً تسمى (العشاء) متى ما كان تقديمها؛ ولكن غالباً ما يقدمها له بعد العصر وقبيل الغروب أي بعد فترة التدريب وذلك لكيلا يصاب الطير بالخمول بعد تناول طعامه ولأن الجو يكون مائلاً للاعتدال؛ ومن الأمتعة الخاصة بالصقر البرقع الذي تغطي به عيونه لكي تقل حركته فلا يصاب بأذى فيما لو تحرك في النطاق الضيق الذي هو محبوس فيه.

والرحلة البرية التي أثارتها في مخيلاتها مقتنيات مُتحف قطر تقتضي التوقف في جناح جيولوجي جمع صخوراً وأحجاراً لا تقتصر على ما في قطر أو الدول التي تجاورها؛ بل جمع أشكالاً مُختلفة صفها تحت عنوان (من كُل قُطر حجر)؛ وكانت بعض هذه الحجارة شبيهة بالكائنات الحية من حيوانات وزهور؛ حتى أن بعضها عُرف بزهور الصحراء؛ ومع هذه الصخور التي تحكي مجريات حقبات غائرة في أعماق القدم وضعت الأحجار الكريمة وهي أيضاً متعددة الأشكال والأنواع والمصادر فهناك الكهرمان والعقيق؛ ومجموعة أحجار كريمة أهدتها رئيسة وزراء باكستان إلى المُتحف بعد أن زارته؛ وفي المُتحف أيضاً صخور متنوعة منها البللورية والرسوبية والنارية والمتحولة.

وضم المُتحف من التاريخ المُعاصر أول جهاز للتنقيب عن النفط في دولة قطر؛ فقد اكتشف البترول في قطر بمُنتصف الثلاثينيات وبالتحديد في عام ١٩٣٩م؛ ونشبت الحرب العالمية الثانية فأهمل حتى وضعت الحرب أوزارها لتصدر قطر أول شحنة نفط في ١٩٤٩م.

ومما يذكره المُؤرخ اليوناني هيرودوت : أن أول من سكن قطر هم القبائل الكنعانية الذين اشتهروا بفنون الملاحة وأما من العرب فقد سكنتها قبائل

العرب البائدة من طسم وجديس النازحة من اليمامة جنوب شرق نجد؛ كما استوطنتها العرب العاربة؛ من قحطانية؛ وعدنانية كبني تميم؛ وعبد قيس.

ومُتحف قطر الوطني لا تنبع أهميته من قيمة مقتنياته فحسب وإنما من قيمته المعمارية أيضاً ففيه القصر القديم الذي استخدمت في تشييده المواد التقليدية المتاحة من حجر ورمل وحصى؛ وطلي بالجص الأبيض وصُمم بحيث يتكيف مع المناخ والمتطلبات اليومية للحياة الاجتماعية؛ وطبقاً لهذا الأسلوب كان القطريون يقيمون منازلهم. وقد زينت جدران غرف هذا القصر بلوحات منقوشة بدقة وتجاور هذه اللوحات طاقات أو أبراج هوائية حرصاً على التهوية الطبيعية حيث لا مكيفات ولا سواها من مصادر التكييف الطبيعي.

وقد شيد هذا القصر كمسكن ودار لحُكم الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني عام ١٩٠١م؛ وسكنه في مُنتصف الثلاثينات؛ ومن ثم تركه لينتقل إلى الريان؛ وبقى القصر على حاله حتى عام ١٩٧٢م حيث أولته الحكومة شيئاً من العناية فأعادت تحديثه ليكون مُتحفاً تُراثياً.

ويكاد هذا القصر يحكي مسيرة العصر الحديث في قطر؛ وفي مسكن مؤسسة الشيخ عبد الله بن جاسم كانت الأمتعة كالصناديق الخاصة بالنقود المعدنية و(الصندوق المبيت) وهو خشبي مزخرف وبمنزلة خزانة ملابس؛ وفي المسكن كرسي متحرك؛ قالوا : إنه هدية من الملك سعود رحمه الله إذ أنه عندما زار قطر أراد أن يُسلم على صاحبه الشيخ عبد الله بن جاسم ولكن هذا الأخير كان مُقعداً لكبر سنه فأهداه الملك سعود الكُرسي المُتحرك وكان هدية مُميزة في ذلك الزمن.

وإذا كانت العبرة ليست بالشيء بل بما يختبيء وراءه من قصص وأحداث مُهمة تركت صداها حتى وقتنا الحاضر؛ كان لابد من الوقوف أمام بعض

المُقتنيات بتمهل؛ فعلى جُدران غُرف مساكن القصر القديم تُوجد صوراً لكُلاً من الشيخ عبد الله بن جاسم وابنيه الشيخ حمد والشيخ علي؛ وقد حكم هذا الأخير قطر لأكثر من عشر سنوات؛ وفي عهد هذا الرجل بدأ استثمار البترول؛ ومن بصماته التي تركها في حياة القطريين ذلك المرسوم الذي أصدره آمراً بمجانية التعليم والكهرباء والماء والعلاج ولا يزال ذلك المرسوم سارياً حتى اليوم.

وبين غُرف القصر المهمة غرفة المجلس وقد بدا على كراسيها وخزنها ومحتوياتها الفخامة وقد أثثت في عهد علي ابن عبد الله بن جاسم.

ومن الجميل في هذا القصر القديم غرفة (الخلة)؛ فهي غرفة العروس؛ وجدران هذه الغرفة مغطاة باللون الأخضر؛ وعليها علقت اللوحات التشكيلية الجميلة؛ وأيضاً صفت المرايا المتلاصقة على نسق واحد؛ وسمعنا أن للزواج في قطر عاداته المميزة فبدل أن تزف العروس إلى بيت العريس يحصل العكس؛ ويزف العريس إلى بيت أهل عروسه؛ وهناك يقيم سبعة أيام؛ ولهم من هذه العادة غاية وهي أن تأنس الفتاة لعريسها.

وفي ثالث الأيام تُقام ليلة البنات حيث تأتي رفيقات العروس بهداياهن ويلتففن حولها في حفل عشاء ومُسامرة؛ وفي سابع الأيام تُقام حفلة عشاء لها في منزل أهل زوجها؛ وتكون هذه الدعوة أبدية لا تعرف إلى بيت أهلها سبيلاً إلا في الزيارات؛ وخُصصت إحدى غرف القصر لأدوية التطبب بالأعشاب وزينت جدرانها بصور عن الحجامة والعلاج بها؛ كما شملت الغرفة بين محتوياتها أدوات الكي؛ وفي هذه الغرفة (قطيع) أي زاوية مقطوعة عن الغرفة بمنزلة مغسلة أو مكان للاستحمام.

وللحلي نصيبها في المُتحف أيضاً؛ فإحدى قاعاته خُصصت للحُلي

والمجوهرات؛ فقد جُمعت الأنواع التي تتحلى المرأة الخليجية بشكل عام والقطرية بشكل خاص؛ ومن هذه الحُلي : المرية والقلادة والحلق وطاسة السعد والنكلس والمرتعشة والعميلة وهذه الأخيرة هي خيوط ذهبية أو سلاسل تُزين العباءة.

وبين خزائن الحلي جمعت أيضاً أدوات صياغة الذهب؛ وتناسقت الأوسمة أيضاً في خزائن علقت على جدار إحدى القاعات لتحكي مكانة قطر وحكامها عند زعماء العالم وزياراتهم الودية للدول العربية الشقيقة والأجنبية الصديقة؛ وهذه الأوسمة والنياشين مهداة إلى حكام قطر من قادة تلك الدول.

ويحتوي القصر القديم أيضاً على قاعة الكتّاب وأدواتها التي تستخدم قديماً مثل الكتابة على الجلود والنقش على الحجارة وإلى جانبها الأقلام القديمة والحبر؛ وهذه القاعة تؤدي دور المدرسة قديما؛ ومن إحدى القاعات تطل الدلال بأشكالها وأحجامها؛ فالقهوة هي الضيافة الأساسية؛ وإلى جانب الدلال أواني وأدوات إعداد القهوة العربية كالمهابيج والمواقد وأواني التحميص.

ويحتوي المُتحف على مقتنيات تخص عالم البحر؛ والبحر دوره أساسي في حياة القطريين وما في المُتحف من السلاح؛ وذلك عن قصد لأن لكل من هذين المجالين مُتحفاً خاصاً به؛ فالقسم الثالث من مُتحف قطر الوطني هو القسم البحري أو ما يُعرف بالمُتحف المائي؛ وهو مؤلف من طابقين؛ العلوي فيه أسماك كبيرة محنطة مع بعض السلاحف والحيوانات الصدفية؛ وبجوار هذه الحيوانات المائية قسم للتعريف ببناء المراكب أو صناعة السفن قديماً؛ وهي من الصناعات التي نشطت في دول الخليج.

والطريف أن صُنّاعها لم يستخدموا المسامير فيها وإنما كانوا يشدون ألواحها ويشبكونها ببعضها البعض بربطها بخيوط ألياف النخيل؛ أو جوز الهند؛ ومن المراكب المعروفة في عصر ما قبل النفط السنبوك؛ والبتيل؛ والشوعي؛

والجلبوت؛ والبقارة.

ولمهنة الغوص وصيد اللؤلؤ التي سادت قطر وجاراتها أهمية خاصة في المُتحف المائي؛ فقد خصص قسم للتعريف بكيفية تصنيف اللآلئ وفق أحجامها وأنواعها وأوزانها وما يحتاج إليه الغواصون من أدوات كالمغارف والسكاكين التي تفتح بها المحارات وأكياس الغواصين والأثقال التي تشد الغواص إلى جوف البحر.

وفي الطابق السفلي حيث الأحواض أو الخزانات المائية المضاءة والتي تعيش فيها الحيوانات المائية كأسماك السولي والشعري والهامور والحياسة والسوس والبياح والصافي والشنينوه؛ وعلى حيوانات أخرى مثل قنفد البحر ونجمة البحر وخيار البحر والربيان والقشريات وأم الربيان وسرطان البحر ولحمة البحر؛ وقد خصصت بعض الخزانات لنوع معين خاصة إذا كان هذا النوع مؤذيا لغيره.

ويضم هذا المُتحف ستة عشر خزاناً أو حوضاً مائياً واجهتها المطلة على ممرات الزوّار وهي زجاجية وأحجامها مختلفة تتراوح بين ٥٠٠ و٥٠٠٠ جالون تقريباً وتضخ المياه إليها من الخليج مباشرة ولكن تتم تصفيتها من البكتريا الضارة قبل وصولها؛ وتتم تغذية هذه الحيوانات المائية ثلاث مرات أسبوعياً؛ وحددت الوجبات لكيلا تصاب الحيوانات بالتخمة؛ وتحتوي الأطعمة على العناصر اللازمة من دهون وبروتينات وما إلى ذلك ويتم تصنيعها في قطر وهذا مما يخفف أعباء الاستيراد وتكاليفه الباهظة.

في المُتحف مُختصون يقومون برصد الحالة الصحية للحيوانات المائية وتبدو حالتها الصحية من خلال حركتها فإن زادت الحركة بشكل غير طبيعي فإن مشكلة ما طرأت على المياه وإن بدأت السمكة تحك جسدها بأطراف الحوض

فإن طفيليات ضارة تكون قد التصقت بحراشفها؛ وهناك أمراض خطيرة يجب تلافيها قبل أن تنتقل إلى باقي الحيوانات.

وتفحص الخزانات بشكل دوري ويتم ترميمها وطليها لكيلا يحدث أي تسرب منها كما يتم تنظيفها بشكل دوري وفق خطة محددة لكل خزان؛ وإن ماتت سمكة ما فإن فحصا دقيقا يجري عليها؛ ليعرف سبب موتها لكيلا ينتقل المرض الذي أصابها إلى مثيلاتها.

وعندما أُفتتح المُتحف المائي في ٢٢/ ١٠/ ١٩٧٧م؛ وكان أول مُتحف من نوعه في منطقة الخليج؛ ومُنذ ذلك الحين يفتح أبوابه للزوار؛ ويتعاون المُتحف المائي مع جهات مُختصة مثل إدارة الثروة السمكية؛ ومركز البحوث العلمية؛ والتطبيقية وإدارة حماية البيئة في قضايا تخدم البيئة وتحد من تأثير التلوث.

ويوجد أيضاً في المُتحف بعض الأسلحة القديمة أو مساند الأسلحة النارية؛ نظراً لوجود مُتحف خاص بالسلاح؛ ويشغل ذلك المُتحف ثلاثة مبان كبيرة كل واحد منها مؤلف من طابقين. وفيما يبدو أن الوفاء لهذه الأسلحة آت من كونها ضرورية في بيئة العرب الصحراوية القاسية التي عرفت السيوف والنبال والرماح المستوردة والمصنوعة محلياً؛ وكذلك الدروع والدرقات والخوذات التي تتوزع اليوم في جنبات المُتحف وقد كان الفرسان يرتدونها لتقيهم ضربة سيف أو طعنة رمح؛ ومع إطلالة القرن السادس عشر عرف السلاح الناري بأنواعه؛ وقد كان الرجل المتسلح ببندقية أو بمسدس مثار إعجاب الآخرين وتتغزل به الحسناوات في أغانيهن ليس في قطر وإنما في معظم بلداننا العربية.

رتبت الأسلحة على مناضد وفي خزائن وعلى مساند بحيث يتاح للزائر رؤيتها؛ ولهذه الأسلحة سواء كانت تقليدية مما عرف في صحراء العرب أو نارية

تواريخها وأنواعها التي كتبت على بطاقات بجانبها؛ ويمكن للباحث أن يرصد تطور السلاح من خلال هذا المُتحف؛ ومما يسترعي الانتباه حقا دور الصانع الفني منذ القديم؛ فكثيرة هي السيوف والخناجر المنقوشة والتي كان لقبضتها أشكال عديدة كأن تكون القبضة على شكل رءوس الجوارح أو على شكل رأس نمر أو حصان؛ ورسمت على بعض السيوف مطاردات الوحوش والغزلان أو كتبت عليها آيات قرآنية أو أبيات شعر أو عبارات تدل على الإباء والحمية. والفنان الذي ينقش النصال والقبضات ينبغي أن يتميز بقدرات وبراعة لأن أمامه نصلاً طويلاً ضيقاً غير منتظم السعة ورغم ذلك استطاع أن يزخرفه؛ وبعض السيوف لها قبضات بديعة من العاج أو الخشب النفيس المحلى بالنقوش الدقيقة.

وجميل أن يُشاهد الواحد منا السيف وقد زين به مكان أو وضع داخل المُتحف أو حمله شاب ليؤدي به رقصة العرضة بعدما مر عليه زمن لا يراه أحد إلا مشهوراً على الرقاب أو يقطر الدماء؛ وأتقن صناع السيوف صنعتهم فجاءت السيوف متعددة النصال منها ذات شعبتين وبعضها مسننة وبعضها ذات حدين؛ ويضم المُتحف السيوف التي أهديت إلى حكام دولة قطر ومعظمها يعود إلى مطلع هذا القرن؛ ومع السيوف اجتمعت البيارق وبعض الخناجر وأبرزها خنجر الشيخ أحمد بن علي بن عبد الله آل ثاني ويعود لمنتصف القرن العشرين.

ويعد مُتحف السلاح والذي اشترته الدولة من الشيخ حسن بن مُحَمَّد بن علي آل ثاني وفيه أكثر من **٢٣١٥** قطعة بيتا للثقافة العسكرية وتجتمع فيه البنادق الخليجية والعربية ومجموعة الأسلحة النارية وملحقاتها والتي تشمل بنادق فتيل وجرح ومقمع ومارتيني وبنادق عثمانية تعود لبداية القرن العشرين؛

كما يحتوي على أحزمة طلقات بعض البنادق والرشاشات وقذائف مدافع وقنابل؛ ويحتوي المُتحف على مجموعة من رءوس سهام وحراب وفئوس تعود للعصر البرونزي؛ ومن لا يعرف قيمة هذه القطع قد لا يحملها من أرضها لو وجدها كما يقال.

وتزين جدران المُتحف صور بعض الفرسان والأبطال وصوراً لبعض المعارك؛ وتتنوع البنادق من حيث أشكالها أو أشكال حرابها وسبطاناتها وأخامصها ويظهر جلياً تطور البندقية عبر العصور؛ ومن الإنجازات المهمة التي قامت بها وزارة الإعلام والثقافة ترميم الكثير من القلاع والبيوت التقليدية وبعض المساجد القديمة للحفاظ على المعالم القديمة وهذه المباني بنيت بالطريقة التقليدية وبالمواد الخام المتوافرة في ذلك الوقت وهو الجص والحصى والجندل والباسجيل والمنقور؛ وهي مواد كانت تجلب من إفريقيا عن طريق السفن ويقوم بترميم هذه البيوت العمال والفنيون القدامى فهم أعرف بهذا النوع من البناء.

وتقوم إدارة المتاحف والآثار بوزارة الإعلام باستخدام هذه البيوت التقليدية المرممة لتكون متاحف أو معارض؛ فقد استخدمت الفرق الموجودة في قلعة الكوت كمعرض دائم للوحات الفنانين التشكيليين؛ كما استخدم مبنى آخر أعيد ترميمه كبيت للتقاليد الشعبية يصور الحياة في قطر منذ نحو مائة عام؛ وهذا البيت يمثل الديوانية أو المجلس والمطبخ القطري وغرفة الزواج ومحتوياتها في ذلك الوقت.

المنامة

المنامة هي عاصمة البحرين؛ وأكبر مدنها؛ تقع في القسم الشّمالي الشّرقي من البلاد على ساحل الخليج العربي؛ وأمامها إلى الشّمال الشرقي جزيرة المحرق؛ تتّصل بها عن طريق جسر فوق البحر.



تكثر فيها أشجار النّخيل وفيها عيون مياهٍ عذبةٍ كثيرةٍ؛ وتنتشر في غرب البلاد بساتين الحمضيّات وسائر أنواع الأشجار المُثمرة؛ وميناؤها الرّئيسي هو ميناء سليمان. وتقوم عنده مصانع تعليب الأسماك ومطاحن الدّقيق ومعامل الآلات الثّقيلة وأحواض لبناء السّفن وإصلاحها. ومطار المنامة الدّولي مطار حديث يستقبل مُختلف أنواع الطّائرات. تكثر فيها المعاهد العلمية والصناعية والزراعية. وهي تُعَد مركزاً من أهم المراكز المالية في منطقة الخليج العربي. وكذلك فهي تشتهر بحقول النفط الغنية.



في المنامة معالمٌ حديثةٌ وقديمةٌ تُشكّل حضارة عريقة جداً من حيث العُمران والإزدهار؛ وهذه المعالم تتمثّل فيما يلي : .

١ . الجسر المُعلّق الذي يقعُ إلى الشّمال الغربي في المنامة وهو يربط البحرين بالمملكة العربية السّعودية ويبلغ طوله ٢٥ كيلومتراً وهو جسر المحبّة؛ آخر جسر الملك فهد.

٢ . الأسواق الشّعبية القديمة؛ وأهمّها سوق الأربعاء الزّاخر بالمُنتجات المحلّية والصّناعات الشّعبية وسوق الحدّادين وسوق التّبغ والتّنباك.

٣ . بيت القرآن أو "مُتحف الحياة" الذي يضمّ أندر النُّسخ القرآنية في العالم.

٤ . منارتا مسجد الخميس وهو من أقدم المساجد؛ وأُقيمَ في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز.

٥ . محميّة العرين حيث تتمّ رعاية الحيوانات النّادرة حفاظاً عليها من الانقراض.

٦ . قلعة البحرين الشّهيرة وهي قلعة إسلامية قديمة تعود إلى القرن السّادس

عشر الميلادي.

٧ . قلعة عراد بين المحرّق وشبه جزيرة المحرّق.

٨ . "بيت سيادي" العريق وهو مُتحف فنّي ضخم.

٩ . المُتنزّهات ومن أشهرها عين عذارى حيث الحدائق النّضرة والمسابح الرائعة.

١٠ . مُتحف البحرين الوطني الذي تُعرَض فيه المُجسّمات الحرفية؛ وهو من أحدث المتاحف الوطنية في الشّرق.

١١ . جامعة الخليج وهي من أحدث الجامعات في الشّرق.

مدينة بور سودان

من اشهر مُدن السودان؛ وتقع على الساحل الغربي للبحر الأحمر؛ وقد تطوّرت المدينة على جانبيّ المرفأ الطبيعي الذي كان يُعرَف بإسم مرسى الشيخ برغوت في موضعٍ على السّهل الساحلي؛ وهو يمتدّ موازياً لساحل البحر الأحمر؛ وتُحيطه تلال البحر الأحمر الصّخرية التي ترتفع لأكثر من ٢٠٠٠م ناحية الغرب.

وتقع المدينة على سطحٍ مُتدرّج الانحدار من الغرب إلى الشرق؛ أرضه من الصّخور؛ وتتّجه المجاري من التلال إلى ساحل البحر؛ وأهمها خور موج؛ وخور كلاب؛ اللّذان يعملان على تصريف مياه الأمطار المُنحدرة من التلال؛ وهي في مجموعها تشغل أجزاءً كبيرةً من مساحة المدينة. والميناء عبارة عن خليجٍ طبيعيٍ يبلغ طوله ستة كيلومترات؛ وعرضه ٢٥٠م؛ ويفصل شرقي المدينة عن جُزئها الغربي؛ بينما يفصل خور موج غربي المدينة عن جُزئها الجنوبي.



وبور سودان في المقام الأوّل مدينةٌ خُلِقَت لكيّ تقوم بوظيفةٍ أساسيةٍ واحدةٍ في موقعٍ اختير لجودة إمكانياته الطّبيعية؛ فطبيعة المُناخ في هذا الجزء من السّودان فريدة من نوعها نظراً لغزارة الأمطار الشّتوية والحرارة المرتفعة المقترنة بالرطوبة في فصل الصّيف؛ كما تُمثّل بور سودان الميناء الرّئيسي للسودان في الوقت الحاضر إذ تخرج عن طريقها كُلّ الصادرات من القُطن والمحاصيل الزّراعية والحيوانات من مناطق الإنتاج المُختلفة؛ كما تَرِدُ إليها الواردات من البضائع والسلع والآلات وكل المستلزمات الضّرورية الأخرى؛ ومنها يتمّ توزيعها على سائر أجزاء القطر؛ ولهذا ارتبطت بور سودان بالمدن الكبرى والقرى الهامة؛ والتي يُعتَبر مُعظمها مراكز للتجميع وتوزيع الإنتاج في مُختلف الأقاليم؛ ولقد أدى كُلّ ذلك إلى ربط مناطق الإنتاج والنشاط الاقتصادي بالسكك الحديدية التي تلتقي في النّهاية لكي تصل إلى هذا الميناء؛ ومن هُنا ارتبطت بور سودان بالإقليم السوداني الكبير أكثر من ارتباطها بمنطقتها السّاحلية التي يُسيطر عليها الجفاف وتسود كلّ الظروف شبه الصّحراوية؛ كما أُنشِئَت مدينة بور سودان في فترة الحُكم الأجنبي بعد أن اختير موقعها كميناء جديد بدلاً من سواكن؛ وخطّطت المدينة ونمت ولم تكن مِن قبل من مراكز العُمران. ومن هنا كانت بور سودان فريدة في طابعها من ناحية موقعها وتخطيطها وحياتها وفي تسميتها الأجنبية؛ في حين أنّ أسماء المدن السودانية الأخرى ترتبط بتاريخ السّودان وأحداثه؛ وتم اختيار هذا الموقع في عام ١٩٠٥م كميناءٍ جديدةٍ؛ واتّصل بها الخط الحديدي من عطبرة في عام ١٩٠٦م؛ ثُم بدأ العمل في الميناء لإنشاء الأحواض التي اكتملت في عام ١٩٠٩م حينما افتُتِحَت رسمياً من قبل خديوي مصر في تلك الفترة الزمنية.

مدينة أم درمـــان

هي إحدى مُدن السودان الأكثر جذباً للزائرين من الخرطوم؛ فهي من أقصر الطرق للتعرف على الريف السوداني؛ ويُعد سوقها من أفضل الأسواق في السودان؛ كما وتبدو منطقة السوق كجوهرة تجذب إليها الناظرين؛ وعلى مسافة غير بعيدة في شمال هذه السوق يُوجد سوق آخر؛ ألا وهو سوق الجمال.



ومن أهم المناطق السياحية الموجودة في هذه المدينة مقبرة المهدي الذي توفى عام ألفٍ وثمانمائة وخمسة وثمانين ميلادية؛ وقد جعلت الحكومة من هذا المكان مقصداً هاماً؛ وإذا كان من الصعوبة السماح للسائحين بدخول هذه المقبرة فإنه يكفي المنظر الخارجي البديع لهذه المقبرة التي تأخذ قُبتها شكل عش الدبابير.

مدينة عطبرة

تقوم مدينة عطبرة السودانية على ارتفاع **٣٥٠** متر عن مستوى سطح البحر. وهي تقع عند التقاء نهر النيل بنهر عطبرة؛ وتُمثل موقعاً جُغرافياً مُمتازاً قامت عليه المدينة إلى الشرق من نهر النيل وإلى الشمال من العطبرة؛ وهي على بُعد ٦١١ كيلومتر شمال الخرطوم العاصمة؛ وعلى مسافة ٦١١ كيلومتر جنوب وادي حلفا و٤٧٤ كيلومتر غرب بور سودان.



وتمتاز المدينة بقرب موقعها من الموانى والعواصم الإدارية؛ كما تربط إقليمها مع أجزاء السودان المختلفة بالخطوط الحديدية والطرق؛ وأدى هذا الموقع المُمتاز إلى اختيارها رئاسة ومركزاً للسكك الحديدية. وتتفرع من عطبرة الخطوط الحديدية إلى بور سودان عبر الصحراء الشرقية؛ وإلى وادي حلفا شمالاً على طول الصحراء النوبية؛ وإلى الخرطوم العاصمة جنوباً.

تظهر الأرض شبه مستوية من موضع المدينة؛ ولكنها ترتفع قليلا في أجزائها الشرقية والشمالية عن مناطقها الأخرى؛ وتتدرج في الانخفاض نحو نهر النيل وعطبرة؛ حيث الخُضرة وكثرة الأشجار؛ بينما يُسيطر الجفاف على المناطق الشمالية والشرقية التي تبعد عنها. وكان من نتائج انحدار الأرض على هذه الصورة أن ظهرت المجاري المائية (الأخوار) بكثرة في هذه المنطقة؛ وقد أثرت في تحديد طريقة العمران واتجاهاته إلى حد كبير. فهناك ست مجاري مائية رئيسية ثلاثة منها في الاتجاه الشمالي الجنوبي؛ أي إنها تنحدر من الشمال وتصب في نهر عطبرة؛ وتمتد المجاري الثلاث الأخرى في الاتجاه الشرقي إلى ناحية الغرب وتصب في نهر النيل الرئيسي. وثلاثتها تُوجد في منطقة قُرى الداخلة والسيالة في شمال غرب المدينة. كما وتقوم هذه المجاري بتصريف مياه الأمطار.

تُعتبر فترة ما بعد عام ١٩٥٠م مرحلة التطور الحقيقي في المدينة؛ وبخاصة في انتشار الأحياء السكنية الجديدة لأول مرة؛ والبدء في إعادة تخطيط مُعظم الأحياء القديمة حتى تتمشى مع التطور الحديث؛ إلى جانب التوسع في توفير المياه والإنارة لمُعظم مناطقها؛ ومن ضمن مشاريع إعادة التخطيط ترحيل منطقة الانادي إلى شرق المدينة وخططت كمنطقة سكنية من الدرجة الثالثة. وفي العام نفسه أعيد تخطيط قرية الداخلة القديمة كمناطق سكنية من الدرجتين الثالثة والثانية إلى الشرق من القرية القديمة. وكان من نتائج زيادة عدد السكان في المدينة والحاجة لمساكن جديدة ظهور منطقة المزاد في شرق المدينة عام ١٩٦٠م؛ وخُصصت للمواطنين من ذوي الدخل المحدود.

خصصت منطقة المطار في شمال شرق المدينة كمناطق سكنية أيضا لسكان قرية السيالة لعدم استيعابهم جميعاً في المنطقة. هذا بالإضافة إلى أن مصلحة السكة الحديد اختارت لمُجابهة التوسع المُتزايد في منشآتها منطقة في شرق حدود

المدينة للبضائع والتخزين؛ كما تم تخصيص منطقة مساحتها ١٠٠ فدان للقيادة الشمالية العسكرية في هذا الاتجاه، وأضيفت هذه المناطق إلى حدود المدينة. كما اختير مطار عطبرة الجديد في خارج الحدود الشمالية الشرقية للمدينة واستغلال مكانه القديم للأغراض السكنية.

مدينة طرابلس

تمتاز مدينة طرابلس أو "أويا" كما كانت تُسمى في الماضي البعيد بموقعها الساحلي الجميل على شاطئ البحر المتوسط؛ وقد احتضنت زُرقة البحر ووهج الشمس؛ الأمر الذي جعلها أحدى عرائس البحر المتوسط حيث تمتد سواحلها عشرات الكيلومترات غرباً وشرقاً؛ فلا غرابة في أن تحتل المكان المرموق بين جميع مُدن ليبيا؛ وأن تكون العاصمة الأولى للجماهيرية.



ومن أهم شوارع العاصمة الليبية شارع الفاتح من سبتمبر والذي يحتضن المدينة من طرفها الشرقي إلى طرفها الغربي؛ ويُشكل جُزءً من الطريق الساحلي الذي يربط مُدن ليبيا الواقعة على ذلك الشريط الساحلي؛ ويضم هذا الشارع مباني الإذاعتين المرئية والمسموعة؛ وكذلك مبنى أمانة اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة والتوجيه؛ ومجمع المحاكم وأمانة اللجنة الشعبية للمكتب الشعبي للاتصال الخارجي؛ والعديد من السفارات والبعثات الدبلوماسية العربية

والأجنبية؛ ويضم هذا الشارع أيضاً مجموعة من الفنادق الضخمة التي تستقبل زوار الجماهيرية الليبية الرسميين؛ ففيه تمت استضافة وفود الدورة الخامسة والستين العادية لوزراء خارجية منظمة الوحدة الإفريقية التي عُقدت في طرابلس من يوم ٢٦ مارس حتى ٢٨ مارس عام ١٩٩٧م؛ والتي بلغت نحو ٥٢ دولة إفريقية بالإضافة إلى ٣٠ مُنظمة ووكالة مُتخصصة تابعة للأمم المُتحدة والوفود الإعلامية التي حضرت لتغطية وقائع المُؤتمر؛ ويضم طريق الفاتح أيضا ميناء طرابلس ومحطة النقل البحري بالإضافة إلى مستشفى أمراض السكر والغدد الصماء ويمتد حتى يصل إلى مدخل المبنى الرئيسي لمُتحف السراي الحمراء عند الساحة الخضراء؛ الذي ينتهي عندها شارع الفاتح حيث نافورة ماء النهر الصناعي التي افتتحت مع احتفالات الجماهيرية الليبية بعيدها السابع والعشرين إيذانا بوصول مياه النهر إلى مدينة طرابلس؛ ويضم أيضاً بعض المقاهي والمطاعم السياحية بالإضافة إلى ميدان الغزالة وحديقة ومقهى الساحة الخضراء؛ وهي من أكبر حدائق مدينة طرابلس؛ وتحوي ساحات وملاعب للأطفال.

إذا توغلنا داخل طرابلس فسنجد مجموعة من الشوارع الكبيرة مثل شارع عُمر المُختار وشارع الرشيد وبهما أهم وأكبر المحلات التُجارية الخاصة بتجارة الجُملة للملابس والأحذية والزينة؛ ثُم شارع الجمهورية وهو من الأسواق التجارية المهمة وكذلك شارع التحدي الذي كان يُعرف سابقاً باسم شارع الاستقلال؛ ويوازيه شارع آخر يسمى شارع أول سبتمبر وبه مدرسة الفنون والصنايع الإسلامية؛ ويحتوي على متاجر لبيع الأشرطة المرئية والمسموعة والأدوات الكهربائية وأدوات الزينة ومحلات الملابس الجاهزة النسائية والرجالية. أما الطريق السريع والذي يُوازي طريق الفاتح ويمتاز بكثرة مداخله ومخارجه وجسوره وذلك من أجل الحد من ازدحام الطرق بالسيارات والمارة؛ فهو يمتد

لمسافة ٢٨ كم ويبدأ من منطقة تاجوراء وينتهي بمنطقة جنزور؛ ويعد المرحلة الأولى من الطريق الدائري الذي سوف يربط مدينة طرابلس ببعض الضواحي المُحيطة بها؛ وقد استغرق بناء هذا الطريق ثلاث سنوات ،لأنه واجه بعض الصعوبات في تنفيذه بوجود أحياء سكنية أزيلت بكاملها وأعطي ساكنوها أراضي جديدة مُدعمة بمساهمات مالية تعويضاً لبيوتهم؛ ومبنى السراي الحمراء هو أبرز معالم مدينة طرابلس وهو معلم قديم يقع في نهاية طريق الفاتح أو الطريق الساحلي من الناحية القريبة للمدينة؛ ومن الثابت أن مُعظم المباني الموجودة داخل هذا السراي بُنيت في العهد العُثماني؛ وفي أثناء الاحتلال الإيطالي (١٩١١- ١٩٥٢ م)؛ وتم إدخال بعض التعديلات والترميمات على السراي الحمراء أو قلعة طرابلس؛ واستخدمت الحكومة الإيطالية جُزءً من هذه القلعة مقراً للحاكم الإيطالي العام؛ وفي عام ١٩٢٢م خصص جُزءً آخر من القلعة لإقامة مُتحف تاريخي يضم الآثار التي اكتشفت في منطقة طرابلس أو "أويا" القديمة؛ ومُنذ أن استقلت ليبيا عام ١٩٥٢ تم بناء عدة متاحف داخل القلعة؛ هي مُتحف الآثار الكلاسيكية؛ ومُتحف ما قبل التاريخ؛ ومُتحف العاديات والأزياء الشعبية؛ وهذه المتاحف يوجد بها الكثير من الآثار العائدة إلى مختلف العهود التي مرت على ليبيا... وجوار السراي الحمراء يقع الجزء القديم من المدينة؛ ويضم سوقاً مسقوفاً يُعرف باسم "سوق المُشير أو سُوق التُرك" وهو من أقدم أسواق المدينة؛ وقد أشاد به الرحالة وزوار طرابلس واعتبروه سجلاً حياً لمُختلف العصور القديمة التي مرت على مدينة طرابلس.

وتحاول الجماهيرية إعادة ترميم المباني القديمة والأثرية بالمدينة وإبرازها كتراث ليبي قديم واستخدامها كمكتبات مُتخصصة أو صالات فنون جميلة؛ ومن أمثلة هذه المباني؛ مبنى القنصلية الإنجليزية التي يرجع تاريخها إلى عام

١٧٤٤م أيام حُكم أحمد باشا الفرمانلي مُؤسس الدولة الفرمانلية وقد استخدمه الإنجليز كقنصلية؛ ومنها انطلقت الرحلات الجغرافية الاستكشافية لإفريقيا والتي كان ظاهرها علمياً وباطنها استعمارياً.

الناحية الشرقية من المدينة تمتاز بوجود مجموعة كبيرة من المباني الحديثة ذات الطوابق المُتعددة؛ والتي تُستخدم إما للسكن أو مباني استثمارية؛ ومن هذه المباني الفخمة "برج الفاتح" وهو مبنى تجاري ضخم يضم مكاتب استثمارية؛ وهو شاهد على ما يحدث في مدينة طرابلس من نهضة معمارية وهندسية متطورة؛ كما ويُعد هذا البرج أعلى مبنى في طرابلس؛ ومن أعلى نقطة في المبنى يستطيع المرء أن يرى مدينة طرابلس بكل وضوح؛ ويحوى البرج محلات تجارية وأسواقا مجمعة وعيادات ومكاتب سياحية وفندقا وأحواض سباحة.

ومن المباني المُميزة في منطقة باب البحر عمارات ذات العماد وهي تابعة لجمعية الدعوة الإسلامية وقد افتتحت مُنذ عام ١٩٨٨م؛ ويعود ريع هذه العمارات لخدمة وتعميق الإسلام في دول إفريقيا والعالم الثالث؛ وتستغل أموال هذه المباني في إقامة المشاريع الخيرية من مستشفيات ومساجد ومدارس؛ وتتألف هذه المباني من مكاتب تجارية وبعض السفارات والقنصليات ومكاتب الخطوط الجوية ومطاعم وأماكن سياحية وصالات للمعارض والمُؤتمرات والندوات؛ وتضم مواقف للسيارات؛ ويبلغ عدد تلك المباني أربعة على شكل زجاجات مقلوبة؛ وقد بُنيت بطريقة هندسية فريدة بحيث إذا نظر إليها الإنسان من أعلى وفي أي اتجاه يراها ثلاث عمارات فقط؛ واحتفالاً بوصول مياه النهر الصناعي إلى مدينة طرابلس أقيمت وسط المدينة نافورة أطلق عليها نافورة النهر الصناعي العظيم استقبلت مياهها لحظة الضغط على زر التدفق



حيث اندفعت من خلالها مياه النافورة مُعلنة بداية مقدم الحياة والنماء والأمل إلى مدينة طرابلس؛ وقد صممت النافورة على شكل هندسي بثمانية أضلاع واحتوت على ثمانية أنابيب مُماثلة لتلك المُستخدمة في النهر الصناعي؛ ويُعد ميناء طرابلس أحد أكبر الموانئ في الجماهيرية ومن أعرقها؛ بل واحداً من الموانئ الكُبرى في منطقة شمال إفريقيا المُطلة على القسم الجنوبي من ساحل البحر المتوسط؛ والميناء يتوفر على مساحة مائية تبلغ ٥٥٠٠ متر مُربع؛ ويحوي ٣٥ رصيفاً بأطول من ٣ إلى ٤ آلاف متر؛ أما أعماق الميناء فتتراوح من ٩ إلى ١٢ متراً وهو عُمق الغاطس. وميناء طرابلس البحري يُقدم خدماته على مدار الساعة للسفن القادمة والمغادرة؛ وبه من المعدات البرية والبحرية ما يمكنه من تقديم الخدمة الجيدة وبكفاءة عالية؛ وحركة البضائع في ميناء طرابلس في حدود ٣ ملايين طن سنوياً من مختلف البضائع من حبوب وبضائع عامة وحاويات وحيوانات حية؛ حيث يبلغ متوسط السفن الوافدة على الميناء في حدود ١٨٥٠ سفينة سنوياً؛ ويأتي هذا الميناء في المرتبة الأولى بين موانئ الجماهيرية

البالغ عددها ثمانية موانئ تُجارية؛ وميناء طرابلس مُرتبط ارتباطاً مُباشراً بها؛ وبخاصة موانئ الساحل الشمالي للبحر المتوسط؛ ونتيجة للحصار المفروض على ليبيا فقد ازدادت الحاجة إلى خدماته؛ وبخاصة حركة الرُكاب المُسافرين بواسطة السُفن إلى الموانئ المختلفة للبحر الأبيض المتوسط كما أن هناك تزايدا في حركة الشحن والتفريغ حيث لا يُوجد نقل جوي للبضائع أو البريد. ومن الشركات التي لها اتصال مباشر بالبحر ومرافق الميناء الشركة الوطنية للنقل البحري؛ ومهمتها الرئيسية والأولى النقل البحري والمُبادلات التجارية؛ وربط الجماهيرية بالموانئ المُختلفة وبقية دول العالم؛ فهي تمتلك أسطولاً يصل عدد سُفنه إلى ٢٧ سفينة وناقلة نفط؛ وهي تقوم بنقل النفط والغاز والمُشتقات البترولية ونقل البضائع إلى أنحاء العالم بالإضافة إلى نقل الركاب...

تُعد جامعة الفاتح في مدينة طرابلس من أقدم المُؤسسات العلمية في ليبيا فحتى عام ١٩٧١م كان عدد الطلبة الجامعيين في ليبيا لا يتعدى ثلاثة آلاف طالب؛ وكانت هناك جامعة واحدة تسمى الجامعة الليبية مُقسمة إلى حرمين جامعيين أحدهما في مدينة بنغازي والآخر في مدينة طرابلس؛ وقد حظيت مدينة طرابلس بالكُليات العلمية مثل كُلية الهندسة والزراعة والعلوم؛ أما الحرم الجامعي في بنغازي، فقد اختص بالدراسات الإنسانية مثل الآداب والاقتصاد والحقوق؛ وفي عام ١٩٧٣م ونظراً لازدياد عدد الطلبة تم فصل الحرم الجامعي الموجود في بنغازي عن شقيقة في مدينة طرابلس؛ ومُنذ ذلك الوقت تأسست جامعة الفاتح والتي تضم الآن عشر كُليات وهى كُبرى الجامعات في الجماهيرية حيث يصل عدد طلابها إلى ما يقرب من ٤٥ ألف طالب وطالبة؛ وعدد أعضاء هيئة التدريس الوطنيين في جامعة الفاتح يُقارب ١١٠٠ عضو مُعظمهم من الحاصلين على درجة الدكتوراه من جامعات مرموقة في العالم وبشكل خاص من

الجامعات الأمريكية والأوربية؛ بالإضافة إلى عدد من الأساتذة الوافدين من مختلف الأقطار العربية؛ وهناك نحو ٤٠٠ أستاذ من غير العرب؛ وجامعة الفاتح مُهتمة بالدراسات العُليا؛ وتُعطي درجات الماجستير والدكتوراه؛ وهُناك مُصطلح خاص يُطلق على درجة الدكتوراه واسمه الإجازة الدقيقة؛ أما الماجستير فيطلق عليه الإجازة العالمية؛ وتتألف الجامعة من عشر كُليات وتُعتبر كلية العلوم أقدمها أما أحدث الكليات فهي كلية القانون؛ وهناك اتجاه لضم بعض التخصصات الجامعية في كلية واحدة لتقليص الأعباء الإدارية وزيادة الكفاءة؛ والجامعة تقدم خدماتها للطلاب الليبيين بالمجان؛ أما بالنسبة للعرب فيتم التعاون وفقاً لقاعدة التعامل بالمثل؛ ويدرس بالجامعة عدد من الطلبة الوافدين بعضهم على المنح الدراسية من اللجنة الشعبية للتعليم؛ وتقوم الجامعة بتسكين عدد كبير من الطلبة في الأقسام الداخلية؛ ونتيجة للتطور الاجتماعي الذي حدث بعد ثورة الفاتح فإن عدد الطلاب الذكور المسجلين بالجامعة يتقارب مع عدد الطالبات؛ وهذه الظاهرة لم تكن موجودة قبل الثورة؛ كما أن هناك مجموعة من الإناث يقمن بالتدريس في مُختلف التخصصات.

ولجامعة الفاتح عدة مراكز بحثية؛ ففي كلية العلوم توجد معشبة تحوي كل الأصناف النباتية التي تم دراستها في ليبيا والتي تغطي الجماهيرية من أقصاها إلى أدناها؛ ومحطة بحثية أخرى تتبع كلية الزراعة مساحتها تزيد على ٥٠ هكتاراً تُجرى فيها أبحاث عن السُلالات والأنواع الحيوانية والمحاصيل الحقلية والخضراوات والفواكه؛ أما كُلية الهندسة فقد شاركت في الكثير من البحوث الهندسية عن الطرق والموانئ والمطارات ودراسات أخرى عن مواد البناء التي تصلح لجو ليبيا؛ ويُعد قسم الهندسة المدنية من أكبر الأقسام الموجودة في المنطقة وبه ٦٥ أستاذاً ليبياً من حملة الدكتوراه وعدد آخر بدرجة أستاذ وأستاذ

مشارك؛ أما جامعة الفاتح للعلوم الطبية ومقرها طرابلس فتتبعها ست كُليات بها ثلاث كُليات هي كُلية الطب البشري وكلية الصيدلة وكلية طب الأسنان وكلها تقع في مدينة طرابلس وإدارتها مُنفصلة عن إدارة جامعة طرابلس؛ أما الكُليات الثلاث الأخرى فتقع خارج العاصمة. ومن المرافق الطبية التي تفخر الجماهيرية الليبية بها مركز طرابلس الطبي وقد افتتح هذا المركز منذ عام تقريباً؛ ويعد من الإنجازات المتقدمة في مجال تقديم الخدمات الطبية؛ بالإضافة إلى أنه مركز تعليمي متقدم لتدريب وتأهيل الكوادر الطبية والطبية المساعدة والبحوث الصحية؛ ويقع هذا المركز في المدخل الشرقي لمدينة طرابلس؛ وتُقدر مساحته الكُلية بنحو ٢٨٠ ألف متر مُربع.

وهذا المركز يحل جميع المشاكل الطبية المُعقدة وبخاصة تلك الأمراض التي كانت الحالات المصابة بها تُوفد للعلاج في الخارج؛ علاوة على أنه قلعة طبية تعليمية لتدريس الكوادر الطبية المساعدة والعليا في الجماهيرية؛ ولقد جُهز هذا المركز تجهيزاً عالياً بأحدث الأجهزة الطبية الموجودة في العالم؛ وهو يشمل جميع التخصصات الطبية التي تحتاج إليها الجماهيرية؛ ويحوي المعامل الطبية؛ وأقسام العلاج الطبيعي والمُختبرات؛ ومصنعاً مُتكاملاً للغازات الطبية؛ ومصنعاً للمحاليل الوريدية؛ والمركز مدينة طبية مُتكاملة تشمل مساكن للأطباء والهيئة الطبية المساعدة؛ وهذا المركز يُعد من المرافق الصحية التي يعول عليها الكثير في تدريب طلبة وطالبات كُلية الطب لجامعة الفاتح؛ وكذلك الفئات الفنية المتوسطة.

مدينة بنغازي

تقعُ مدينة بنغازي على الجزء الشّرقي من خليج سرت؛ وتُعتبر ثاني أكبر مُدن ليبيا بعد طرابلس؛ ومركزاً تجارياً مهماً.

المدينة بحدّ ذاتها لا تحتوي على الكثير من الآثار؛ حيث إنّها دُمّرت خلال الحرب العالميّة الثّانية وأعيد بناؤها. ومع ذلك تُعتبر بنغازي مركزاً جميلاً لاستكشاف منطقة الجبل الأخضر والآثار الرّومانية المُنتشرة على طول السّاحل. ومدينة بنغازي صديقة المَشي؛ حيث يُمكنك التّجول فيها على الأقدام بسهولةٍ؛ فأسواقها المغطّاة مفتوحة يومياً؛ لكن يُستحسن زيارتها يوم الجمعة؛ حيث تتحوّل المدينة إلى سوقٍ كبيرٍ مليءٍ بالحياة. ويُعتبر سُوق الجريد الواقع على شارع عُمر المُختار أكبر سوقٍ شعبيٍ بالمدينة تُباع به جميع البضائع من ملابس إلى موادٍ وسلعٍ منزليّةٍ.

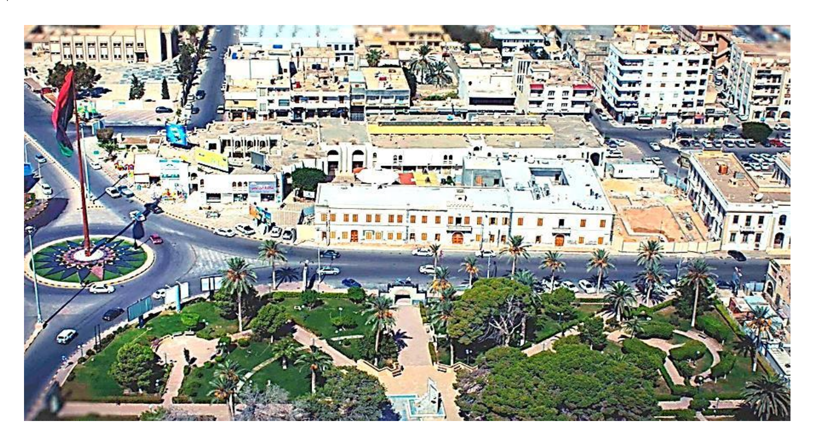


عُرِفَت بنغازي عبر تاريخها الطّويل بعدّة أسماءٍ؛ من بينها "يوسبريدس"؛ وهي من أوائل المُدُن اليونانية القديمة. وأُسِّسَت في الرّبع الأول من القرن السادس ق.م وشُيِّدَت على مُرتفعٍ من الأرض؛ عند الطّرف الشّمالي لسبخة السّلماني؛ حيث توجد حاليا مقبرة سيدي عبيد. وكانت هذه السّبخة عبارة عن بُحيرةٍ عميقةٍ تكفي لاستقبال المراكب الشّراعية الصّغيرة. وقد عُثِرَ فيها على مجموعةٍ من الأواني الفخّارية؛ كما اكتُشِفَت بهذا المكان عِدّة أماكن أثريةٍ مُهمّةٍ.

أما في العصر البطلمي فلقد تغير اسم المدينة إلى "برنكي"؛ وكان ذلك حوالي عام ٢٤٧ ق. م؛ وأُطلِقَ هذا الاسم تكريماً لزوجة بطليموس الثّالث بمُناسبة زواجها منه؛ وظلّ هذا الاسم شائعاً في العصور اللاّحقة. وفي الفترة الإسلاميّة؛ أُطلِقَ عليها اسم "برنيق"؛ ثُمّ سُمّيَت فيما بعد "بنغازي" نسبةً إلى الشّيخ المدفون في مقبرةٍ هُناك؛ وظلّت تُعرَف بهذا الاسم مُنذ القرن ١٥م.

مصراتة

يُرجّح البعض أنّ مصراتة قد نشأت في مكان محطّة توباكتس القديمة التّي كانت مُزدهرةً؛ وفي العصور الوسطي كان لمصراتة علاقات تُجارية مع البُندقية؛ حيث كانت تُصدّر إليها الصّوف والسّجاد والزّيت والملح؛ وتستورد منها الزّجاج والبارود؛ كما إنّها كانت محطّةً مُهمّةً لمرور القوافل التُجارية القادمة من أواسط إفريقيا والصحراء الكُبرى والمُتجهة إلى مدينة طرابلس؛ وكذلك كانت نُقطةَ استراحةٍ للحُجّاج والتُّجّار والرّحالة القادمين من الشّرق والغرب؛ ويدلّ على ذلك وُرود اسمها في كثيرٍ من كتب الرّحالة؛ وهي ثاني أكبر مُدن إقليم طرابلس الغرب اللّيبي؛ كما تقع في منطقةٍ زراعيةٍ سهليّةٍ؛ وتتميّز بظاهرةٍ طوبوغرافيّةٍ فريدةٍ على السّاحل اللّيبي وكامل السّاحل المُتوسّطي؛ وهذه الظّاهرة هي وجود حزام من الكُثبان الرّملية العالية التي تلفّها على هيئة هلالٍ؛ ويبدأ من شرقها عند منطقة قصر أحمد وحتّى منطقة الدافنيّة غرباً؛ وتُعدّ هذه الكُثبان الأعلى في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسّط؛ بل يُعتقد أنّها الأعلى في العالم.



مصراتة اليوم مدينةٌ عصريةٌ حديثةٌ تزدان بعمائرها وشوارعها المُخطّطة

وحدائقها ومصائفها وأسواقها الرّائجة؛ كما إنّها تُعَدّ المدينة الصّناعية والتّجارية الأكثر نشاطاً في ليبيا من خلال مُلاحظة الإحصاءات لتمركز مراكز الصّناعة الخفيفة منها والثقيلة فيها؛ إضافةً إلى وجود ميناءين فيها؛ كما أُقيمت بها عدد من الفنادق الحديثة؛ ومن الإنجازات الصناعية التي أقامتها الجماهيرية الليبية نتيجة ارتفاع موارد البترول في منتصف السبعينيات؛ إنشاء الشركة الليبية للحديد والصلب بمصراته بهدف اقتحام منافذ الصناعات الاستراتيجية والثقيلة؛ وكسر احتكار مثل هذه الصناعات؛ ثم بناء قاعدة صناعية ضخمة تكفي الاحتياجات المحلية وتصدر الفائض منها للسوق العربية أو الأسواق العالمية الأخرى؛ بالإضافة إلى إقامة صناعات تكميلية من مُنتجات هذه الشركة وخلق جيل من الصناعيين والفنيين المهرة يساهمون في إقامة نهضة صناعية مُتقدمة؛ ومُجمع الحديد والصُلب لا يبعد أكثر من ١٧٥ كيلومتراً عن مدينة طرابلس؛ وبدأ إنتاجه مع نهاية عام ١٩٨٩م؛ ويشق إنتاجه من الحديد طريقه إلى الأسواق المحلية مُرسياً بذلك قواعد للتصنيع الثقيل بالجماهيرية الليبية. أما الطاقة الإنتاجية لهذا المُجمع فتبلغ مليون و٣٢٤ ألف طن من الحديد الصلب سنوياً يتم الحصول عليها بطريقة الاختزال المُباشر لمكورات الحديد؛ وباستخدام الغاز الطبيعي؛ وأهم مُنتجات الشركة هي القضبان والأسياخ والقطاعات الخفيفة والمتوسطة ثم اللفات والصفائح المدرفلة على الساخن واللفات والصفائح المدرفلة على البارد.

وهُناك العديد من الصناعات التي يُغذيها مُجمع الحديد والصلب كصناعة السفن والقطارات والسيارات ومُنتجات الأسلاك والأثاث المعدني إلى غيرها من الصناعات التكميلية الأخرى؛ ووفر مُجمع الحديد والصلب نحو ٦ آلاف عامل فني ليبي يُتقنون صناعة الحديد والصُلب؛ وأخيراً فإن صناعة الحديد والصلب والصناعات عموماً ليست حِكراً على بلاد مُعينة.

مدينة تونس

مدينة تُونس هي عاصمة الجمهورية التّونسية وإحدى أهمّ المُدن الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسّط. وتطلّ على خليج تونس لجهة الشّرق حيث مرفأها التّجاري المُزدهر؛ وهي تتميّز بمناخها المتوسطيّ المُعتدل؛ وكثرة البساتين والحدائق؛ كما إنها مركزٌ مُهم من مراكز التجارة والصّناعة؛ وتتعدّد فيها المصانع التي تُنتجُ الأدوات الكهربائية والمنزلية؛ والمنسوجات القطنية والصّوفية والحريريّة؛ والزّيوت النباتية والصّابون؛ والمواد البلاستيكيّة والأدوية الزّراعية ومبيدات الحشرات والمُنظّفات والأسمدة؛ والأسمنت؛ كذلك فإنّها تُنتج بعضاً من الصناعات التّحويلية الحديثة.



يُعدّ مرفأ تونس من أهم المرافئ الواقعة على الشّاطئ الجنوبي الغربي للبحر المتوسط؛ وبه عدة أحواض لاستقبال السّفن من جميع البلدان. وفيها مطار دولي يتّسع لاستقبال أكبر الطائرات.

وفي تُونس العديد من الجامعات والمعاهد الفنية والصّناعية والزراعية؛ وأبر معالم تُونس جامعها التاريخي الشهير المعروف "بجامع الزيتونة" في قلب العاصمة؛ وهو مُميّز بعمارته وقِبابه وأقواسه وأعمدته الرُخامية؛ والخطوط العربية المنقوشة عليه؛ وأعمال السيراميك؛ وصومعته (أيّ مأذنته) التّي تقوم على قاعدةٍ مُربّعه الشكل كسائر مآذن شمال إفريقيا؛ وهي من أجمل المآذن.

وجامع الزيتونة في الوقت نفسه جامعة دينية وعلمية؛ على غرار الجامع الأزهر بالقاهرة؛ وقد تخرّج منه كِبار العُلماء أمثال ابن خلدون؛ وأبو الحسن الشاذلي؛ والبوصيري أبو الحسن علي؛ وهو صاحب القصيدة البوصيرية في مدح النبي المعروفة بالبُردة؛ وأبو القاسم الشابي؛ وغيرهم كثيرون.

وتُعتبر منارة جامع الزيتونة مركز إشعاع ديني وعلمي هام؛ وأيضاً مكتبة الشيخ الشاذلي الخاصة التي تحتوي على ١٤٠٠٠ عنوان مطبوع؛ و ١٠٠٠ مخطوط يعود بعضها إلى ٩٠٠ عام مضت؛ منارة كبيرة للعلم هي الأخرى.

ويعود اسم جامع الزيتونة إلى أن البلاد التونسية اشتهرت بزياتينها؛ وقد كان هذا الجامع بمنزلة جامعة إسلامية تُنير العقول بهدي الإسلام؛ وأبرز من درس فيه خالد بن أبي عمران؛ وعلي بن زياد؛ واستمرت الثقافة الإسلامية في هذه الجامعة حتى خرجت فحول العُلماء أمثال القاضي ابن البراء؛ وولي الدين بن خلدون الحضرمي؛ وقد حافظ جامع الزيتونة على الشخصية التونسية أثناء الاستعمار الفرنسي.

وجامع الزيتونة من أبرز ملامح العصر الإسلامي الذي بدأ في تونس مع دخول عُقبة بن نافع في مُنتصف القرن السابع الميلادي حيث شيد هذا القائد العربي مدينة القيروان؛ ومسجدها المعروف أيضاً؛ واتخذها عاصمة إسلامية؛ وفي عام ٨٠٠ أسس إبراهيم بن الأغلب دولة الأغالبة التي استمر حُكمها لمُدة

قرنين حيث ازدهرت خلالهما البلاد.

والبلاد التونسية التي جملها الله بطبيعتها المتوسطية مما جعلها مهد الحضارات تعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام؛ فقد تأسست فيها مدينة قرطاج عام ٨١٤ ق.م؛ وازدهرت حتى نافست روما على السيادة في البحر المتوسط.

ونري في الفترة الأخيرة من حُكم العثمانيين بتونس؛ حيث قامت ثورة عسكرية عام ١٥٩١م حدت من سُلطة الباشا العُثماني؛ وانتقلت السُلطة الفعلية إلى البايات واستمرت تونس محكومة من قِبلهم حتى عهد آخرهم مُحَمَّد الأمين باي؛ والأمراء الحسينيين الذين كانوا يتبعون للحُكم العُثماني ما بين القرن الخامس عشر وحتى الثامن عشر؛ وعندما جاء الفرنسيون تابع البايات حُكمهم شكلياً؛ ومما يُلفت النظر أن الأضرحة المصنوعة من رخام إيطالي كانت مُستطيلة الشكل يرتكز عليها عمود في أعلاه شكل الطربوش الذي كان يرتديه الباي الذي يرقد في الضريح؛ ومما يزيد ذلك المكان رونق زخرفة جُدران المبنى من الداخل بالرُخام المنقوش؛ وفي صدر قاعة قبور البايات كانت بعض البيارق أو السناجق الخضراء التي ترافق الباي أثناء جولته الرسمية مع رجاله في الأسواق؛ ولعل أجمل قاعات هذا المبنى تلك التي ترقد فيها الفتيات اللواتي وافتهن المنية وهُن عازبات؛ فقد كانت القاعة مُدهشة بجمالها الزُخرفي؛ وبصفاء ألوانها؛ وبإنارتها سواء الكهربائية أو الطبيعية.

وأيضاً دار ابن عبد الله التي تُعتبر مُتحفاً للتقاليد والزى التُونسي؛ وفي هذه الدار يحصل الزائر على فكرة مُتكاملة عن الحياة اليومية للأسرة التونسية في مطلع هذا القرن؛ فمُعظم البيوت كانت غُرفها منظمة على شكل حرف T وفيها مكان للأطفال؛ ومكان مُخصص للضيافة وللأب رب الأسرة؛ ومُستلزمات المنزل سواء من أدوات الاستحمام أو أدوات المطبخ؛ وحال مُعظم

القاعات في هذا المُتحف كحال المتاحف الأخرى في تونس وفي البلدان العربية حيث تضم الخزائن أزياء النساء سواء من حيث المُناسبات أو من حيث الأعمار أو المكان أو من حيث المنزلة الاجتماعية؛ كما تشتمل على أزياء الأطفال وربما أن أجمل أزيائهم ذلك المخصص لحفلة الختان؛ كما يحتوي المُتحف على تفصيلات لحياة الرجل وملابسه كالشال والملوسة (الطربوش) و(البُرنس الأبيض) للمُناسبات؛ أما الأسود فهو اللباس الاعتيادي؛ وأما عموم لباس الرجل فينقسم إلى قسمين حسب المذهب الحنفي والمذهب المالكي؛ وفي قاعة الرجال بدا كُلٌ حسب منزلته الاجتماعية.

والفكرة الرائعة سواء في دار ابن عبد الله أو في باب زويلا بالمهدية هي (المواجل) أي الآبار التي تمتد إليها فوهات أنابيب مُمددة من السطح الواسع حيث تتجمع مياه الأمطار وتتجه للأنابيب التي تنقلها للآبار النظيفة التي تُعتبر مخازن أرضية للمياه؛ وهذه واحدة من أبرز أساليب تأمين المياه قديماً. ومع كثرة الملامح التي تُعجب زائر تونس سواء من حيث الطبيعة أو التراث فإن هُناك فكرة رائعة برغم بساطتها؛ فبالإضافة إلى أشكال الأبواب كباب خضرا وباب سعدون وباب العسل وغيرها؛ وبالإضافة إلى جمال الطبيعة فإن اللافتات التي تدعو الناس إلى حضور الأنشطة الثقافية وفي مجالات عديدة تُغطي الجُدران وتتوزع في مُختلف الأمكنة؛ وهذا أحد أساليب الدعوة والإعلان عن الفعاليات الثقافية.

سارت الحركة التشكيلية التونسية على سكة واضحة وخط قويم؛ والفن التشكيلي قديم حيث عُرفت مدرسة صفاقس بالرسم على الزُجاج في عام ١٨٤٠م؛ وتطورت الحركة الفنية حتى تعددت المعارض وتنوعت التجارب التي كانت مُحتشمة وخجولة فيما مضى؛ والإبداع التشكيلي حُر بطبيعته.

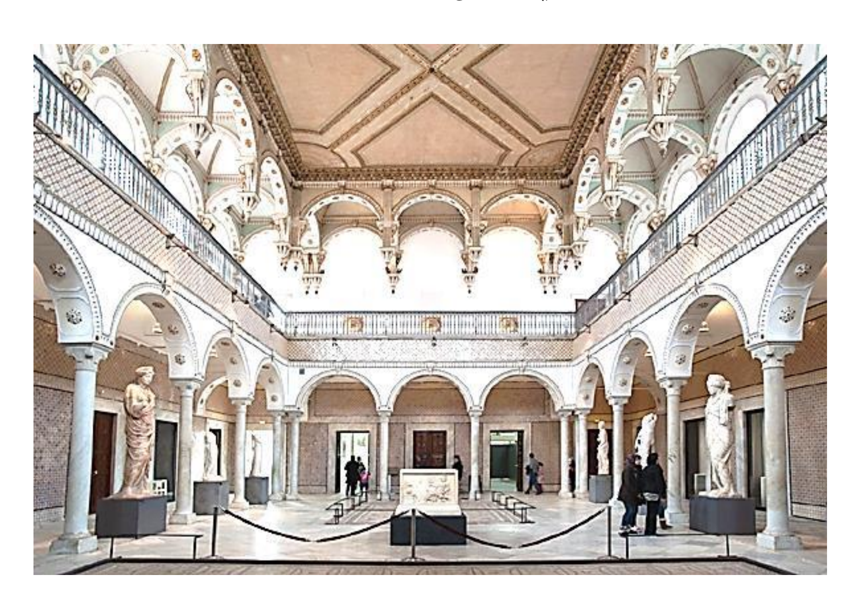


وتُونس تُعتبر مدينة تاريخية قديمة؛ وكان اسمها في القديم ترشيش؛ وكان يُحيط بها سور حصين طوله **٢١** ألف ذراع؛ ولها خمسة أبوابٍ؛ أهمّها باب الجزيرة القِبلي؛ ويخرجُ منه إلى القيروان ويُقابله جبل التّوبة؛ وكان أهلها يشربون من الآبار والمجامع التّي يتجمّع فيها ماء المطر؛ وفي كُلّ دارٍ مجمع؛ وهي من أصح بلاد إفريقيا هواءً؛ وأطيبها ثماراً؛ وأنفسَها فاكهةً؛ ومنها اللّوز الفريك؛ والرّمان الضّعيف الذي لا عجو له البتّة؛ والتين الخارمي الأسود الرّقيق القشر والكثير العسل؛ وغيرها من الفاكهة الطّيبة والعنّاب؛ وفيها من أجناس السّمك ما لا يُوجد في غيرها؛ حيث يُملّح فيبقى لمُدةً صالحاً للأكل.

وقد تَحّدثَ القُدماء عن القصر الذي كان يُشرف على تُونس وعلى البحر؛ وعن الغار الموجود في أسفل جبل التوبة المُطل على المدينة؛ كما تحدثوا عن جامعها الرّفيع البناء المُطل على البحر. وتحدثوا عن أسواقها الكثيرة ومتاجرها وفنادقها وحمّاماتها ودور أهاليها المبنيّة بالرّخام البديع.

وقعت تونس تحت حكم الرّومان؛ وافتتحها العرب في عهد عبد الملك بن مروان؛ ومن أهم معالمها الأثرية التي تحدث عنها التاريخ : .

١ . مُتحف باردو القومي وهو أكبر المتاحف التونسية؛ ويحوي آثاراً من مختلف أنحاء الجمهورية. ويشتهر بصفةٍ خاصةٍ بما يحتوي من فُسيفساء؛ وبعض قاعات المُتحف كانت في الأصل جُزء من قصر الباي السّابق.



تضم الآثار المعروضة في المُتحف آثاراً تمثّل عصر ما قبل الميلاد؛ وآثاراً رومانيةً ومسيحيّةً وإسلاميةً.

٢ . المُتحف القومي للفنون الإسلامية؛ وهو يُمثّل بيتاً عربياً يعود إلى القرن الثامن عشر للميلاد.

ويحتوي هذا المُتحف على عددٍ من الأشياء المصنوعة في تونس والمشرق؛ كالأواني الزُجاجية والأواني المصنوعة من الفخار؛ بالإضافة إلى الأقمشة والمخطوطات... إلخ.

٣ . المُتحف الإقليمي للفنون والتراث الشعبي وهو عبارة عن بيت جميل يرجع بناؤه للقرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي. ويعرض هذا المُتحف الملابس والمجوهرات والأدوات المنزلية... إلخ؛ التي تُمَثّل العادات والتقاليد التونسية القديمة.

٤ . مُتحف القطع النّقدية؛ وفيه مجموعةٌ كبيرةٌ من القطع النقدية التي تمّ اكتشافها في تونس؛ وتعود إلى عهد الحضارة القرطاجية حتى الآن.

٥ . مُتحف الطّوابع التّذكارية؛ ويعرض تاريخ النظام البريدي التونسي مُنذ نشأته؛ ويبرز ذلك بالصُّور والمُستندات والطوابع؛ كما ويُمكن شراء بعض الطوابع التذكارية منه.



٦ . المعهد القومي للدراسات المائية في سلامبو؛ وهو معرض للأبحاث المائية؛ حيث تُعرَض فيه حياة الكائنات البحرية.

٧ . مُتحف قرطاج القومي؛ ويعرض هذا المُتحف تاريخ قرطاج؛ والحضارة

الرومانية؛ وقد تمّ تجديده مُؤخّراً وجرى تقسيمه إلى أربعة أقسام : ما قبل التاريخ؛ حضارة قرطاجة؛ الحضارة الرومانية؛ والحضارة المسيحية.

٨ . مُتحف سلامبو ويعرض الأماكن القديمة التي كانت تُقدَّم فيها القرابين لآلهة قرطاجة.



٩ . حمّامات أنطونيوس؛ وهي حمّامات رومانية ضخمة؛ وأحياء رومانية قديمة بشوارعها ومبانيها الأثرية؛ هذا بالإضافة إلى وجود متاحف صغيرة تقع تحت الأرض؛ وأعمدة وأحواض تعود لعهد قرطاجة القديمة.

١٠ . المُنتزه الأثري وهو يعرض آثار قرطاجة وروما القديمَتين؛ وتُعرَض الآثار الرومانية في الهواء الطلق؛ فالأمر الذي يجعل منظرها خلاّباً.

ومن صناعاتها اليدويّة التي تمتاز بها : .

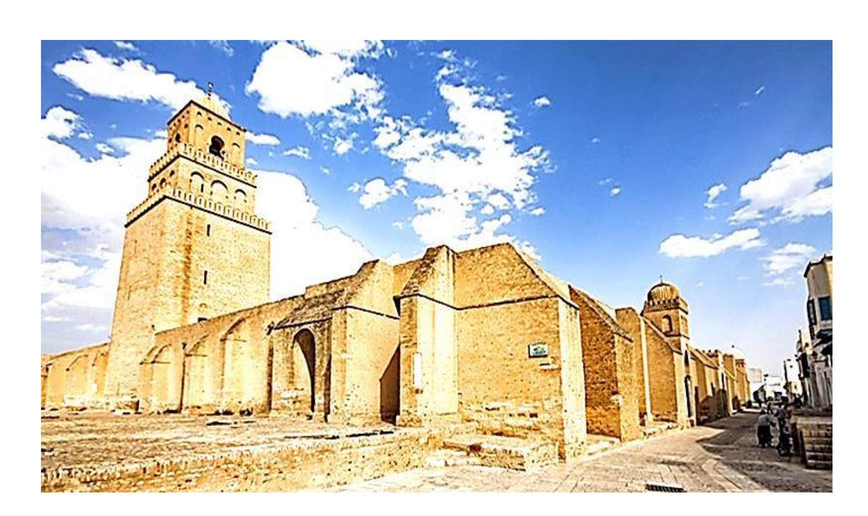
تمتاز تونس بتاريخها الطّويل في الصّناعات الحِرَفية اليدويّة؛ وقد اكتسبت خبرةً في هذا المجال من الحضارات والشعوب المختلفة التي مرّت بها؛ فترى في

السّوق الصواني النّحاسية المُزخرفة والأواني المنزلية الجميلة وتحفاً من خشب الزيتون المحفور والحقائب الجلدية والتحف المكتبية والبلاط الصّيني والأوعية الفخارية والتطريز اليدوي الرائع والمجوهرات الفضية المعدنية بصفةٍ خاصةٍ؛ والسّجاد والبسط والمنتجات الفاخرة منتشرة بشكلٍ واسعٍ في مختلف أسواق تونس. ويشرف على صناعة هذه الأشياء بشكلٍ دقيقٍ المكتبُ القومي للفنون اليدوية().

(*)وصنفتها مُنظمة اليونسكو مدينة تُراثية عالمية عام ١٩٧٩م.

القيروان

تقع القيروان في الصحراء جنوبي تونس؛ وتُعرَف أيضاً باسم رابعة الثّلاث بعد مكة المكرّمة والمدينة المنورة والقدس الشريف؛ ذلك لأنّها أقدم وأوّل مدينةٍ إسلاميةٍ في المغرب؛ وقد بناها القائد عقبة بن نافع لتكون قاعدةً لنشر الإسلام في المغرب العربي وإفريقيا. وبناء القيروان بهذه المنطقة لا يعني أنّها شكّلت أوّل وجودٍ بشريٍ حضاريٍ هناك؛ إذ أنّ المنطقة كانت مأهولةً مُنذ القِدَم؛ حيث بَيّنت الاكتشافات الأثرية وجود أدواتٍ حجريةٍ للإنسان القديم؛ وبعثرتها عوامل الانجراف على ضفاف وادي مرق اللّيل في منطقة العلا.



وحين تَوَسّط عقبة بن نافع الصحراء حيث تونس الحالية؛ توقّف عند منطقةٍ رآها صالحةً لتُعَسكر فيها قوّاته؛ ورأى فيها ملاذاً آمناً لاستراحة القوافل التي تنتقل بين الشّرق والغرب؛ فحطّ فيها الرّحال؛ وخطّ بعصاه على الأرض حدود المُعسكر. فكان اختيار عقبة لهذه المنطقة عن بُعد نظر. فهي تقع في

جوف الرّوابي على منتصف الطريق بين الحصون والشواطئ البيزنطية؛ ومخابئ البربر الجبلية؛ فاتخذها محطةً لاستراحة القوافل ومركزاً لانطلاق الإسلام؛ وأطلق عليها اسم "القيروان"؛ ومعناها في اللغة العربية القافلة.

لمّا كان موقع المدينة بعيداً عن العمران في وسط الصحراء؛ كانت آمنةً من هجوم الأعداء. لكن عزلتها هذه لم تمنعها من أن تكبر وتنمو. وكان أوّل ما شُيِّدَ فيها هو دار الإمارة والمسجد الجامع؛ وكان بادئ الأمر فضاء ليس فيه بناء؛ ويُصلّى فيه كذلك. وبعد تحديد محراب المسجد اقتدى به الناس؛ فصارت القيروان من أهم مُدن إفريقيا والمغرب.

تختلف القيروان عن المُدن العربية القديمة في أن كلّ قبيلةٍ نزلت بها لم تكن تختصّ بمكانٍ مُعيّنٍ من المدينة كما هو الحال في باقي المدن الإسلامية. أمّا بالنسبة إلى تخطيطها؛ فقد اتُبِعَ تخطيط المدن السابقة نفسه؛ حيث يبدأ بتخطيط المسجد ودار الإمارة؛ ويلي ذلك السوق والمساكن والطرق والشوارع؛ وكان للقيروان سور له ١٤ باباً. وكان سوقها مُتّصلاً بالمسجد من جهة القبلة وممتداً إلى بابٍ يُعرَف باسم باب الرّبيع. وكان لهذا السوق سطح تتّصل به جميع المتاجر والصّناعات.

أقيمَت حول القيروان أسوار عالية تطوّرت على مدى التاريخ لتكوّن قلعةً حصينةً تصدّ عنها حجارتها المتراصة هجمات الغزاة؛ ولم ينقطع أهل القيروان عن إصلاح الأسوار مرةً بعد مرّةٍ؛ لأن الهجمات كانت تنكسر فوق هذه الأسوار؛ وإن كان يصيبها الكثير من الهدم؛ ومن ذلك ما حدث حين قامت المدينة ثائرةً ضد حكم الأغالبة؛ وما حدث أيضاً عند الغزوة الهلالية (بني هلال).



وقد صمدت القيروان في منتصف القرن الثامن عشر أكثر من خمس سنواتٍ على الحصار المفروض عليها؛ بل أجبرت الحاكم على دفع تعويضاتٍ لها وأثناء الحرب العالمية الثانية؛ هدم الألمان قسماً من القيروان لاستعمال حجر الطّابوق لبناء مدرجٍ للطّائرات. وممّا يُميّز القيروان أنّها لم تفارق أسس تنظيمها إلى اليوم؛ فحافظت على نسقها المعماري الأصيل. وما يزال مسجد القيروان؛ أشهر مساجد إفريقيا والمغرب العربي؛ شاهداً على أصالة المنطقة. فقد وضع أساسه وتصميمه عقبة بن نافع وجرى تطويره على تتابع القرون والأزمنة؛ وله أعمدة عديدة ومتنوّعة تعود لمعابد رومانية وكنائس بيزنطية. ويُعتبر من أزخر التّراث الإسلامي في تونس ويؤمّه الكثير من السيّاح سنوياً(١).

---

١ ـ صنفتها منظمة اليونسكو مدينة تُراثية عالمية عام ١٩٨٨م.

المنستير

تمتدّ على طول السّاحل التونسي جنوب شرق سوسة؛ فتمرّ ببساتين الزيتون؛ سبخة صغيرة وواحة الدّخيلة حتى الدخول إلى المنستير؛ بمسافة **٢٥** كلم على الجهة الجنوبية لخليج الحمّامات؛ وكانت المنستير فيما مضى قلعةً بيزنطيةً وحصناً (رباطاً) إسلامياً ومدينةً مقدّسةً بعد انحدار أهمّيّة القيروان في القرن الحادي عشر؛ كمركزٍ للحج. فتحها الأتراك بعد الأسبان.

وبعد الاستقلال جعلها الحبيب بورقيبة؛ وهي مسقط رأسه؛ نموذجاً لتونس؛ وأهم حصن لبني تغلب يقع بالقرب من البولفار الساحلي الذي يوجد فيه مُتحف إسلامي يحوي معروضات منذ العصر الأموي حتى العصر التّركي؛ ويُقام فيه في الوقت الحاضر مهرجان الصّوت والضوء في فصل الصّيف. كما يوجد في المنستير الجامع الكبير الذي يعود تاريخه إلى القرن التّاسع الميلادي؛ ومُتحف التاريخ الوطني؛ وجامعة واستوديوهات السينما وملعب كبير.

بِنْـزِرْت

بِنْزِرْتُ مدينة تونسية تقع على ساحل تونس الشمالي؛ شمال غربي العاصمة وتبعد عنها بأكثر من ستين كيلو متراً؛ وذلك في موقع استراتيجي يتحكم في ممر بنتلاريا الذي يربط بين حوضي البحر المتوسط الشرقي والغربي. ويعتقد أن بنزرت شغلت موضع مدينة هبود يرتوس الفينيقية التي استولى عليها الرومان فيما بعد؛ وحكمها الإمبراطور أغسطس.



وعلى الرغم من أهمية موقع بنزرت إلا أن هذا الموضع الذي تشغله ما بين البحر والبحيرة لم يتح لها الامتداد والتوسع؛ فلم تكن منذ أنشئت إلا مدينة صغيرة تميزت بكثرة أسماكها ورخص أسعارها وبأسواقها وبساتينها؛ وقد وصفها

ابن حوقل في القرن الرابع الهجري؛ العاشر الميلادي؛ بأنها مدينة صغيرة أقل شأناً من مدينة سوسة. وبنزرت الآن مدينة صغيرة ومركز لولاية بنزرت وعدد سكانها؛ حسب تعداد عام ألفٍ وتسعمائة وأربعة وثمانين ميلادية؛ أربعة وتسعون ألفاً وخمسمائة وتسعة نسمات وهي تحاول أن تستعيد نشاطها في صيد أسماك السردين والماكرو والجمبري؛ الذي تميزت به؛ والذي تدهور فيما بعد. وهناك جهود طيبة من الديوان القومي لصيد الأسماك كي تسترد بنزرت منزلتها في هذا المجال. وهناك صناعات حديثة في بنزرت مثل الحديد والفولاذ وإصلاح السفن ومصنع للجرارات الزراعية وصناعة الأسمنت ومصفاة للنفط.

حمص

تُعتبر حمص ثالث مدينة سورية من حيث عدد السكان والأهمية بعد دمشق وحلب. تقع في الجزء الغربي من وسط سورية؛ وعلى الطريق بين دمشق وحلب. تبعد ١٦٠ كم عن العاصمة دمشق؛ وهي مركز أكبر المُحافظات السّورية. وتُعدّ بموقعها المتوسّط همزة الوصل بين المناطق الشمالية والجنوبية والغربية والشّرقية؛ وترتفع عن سطح البحر ٥٠٨ أمتار.



يبلغ عدد سكّانها ٨٠٠ ألف نسمةٍ؛ وعدد سُكّان مُحافظتها نحو ثلاثة ملايين نسمة؛ وتبلغ مساحتها ٤٢٢١٨ كم أي نحو أربعة أضعاف مساحة الجمهورية اللّبنانية؛ وتُعدّ سوقاً للبادية السّورية. وهي مركز مُهمّ للزراعة كزراعة الحبوب والخضار والقطن والشمندر السُكري. كما إنّها مركز صناعي يهتمّ بصناعة المنسوجات؛ وهي غنية بالمعامل والمصانع؛ وفيها مصفاة للنّفط. وتقع

قلعة حمص فوق تلٍ ارتفاعه ٣٢ متراً. فيها بُرجان يعودان إلى العهد الأيوبي. وتعود بقية تحصيناتها إلى العهدين المملوكي والعُثماني. ولعبت القلعة دوراً مرموقاً في التّاريخ؛ وبخاصّةً في عهد الدّولتين الزّنكية والأيوبيّة وكذلك المماليك. وكان لسور حمص سبعة أبواب اندثرت. وفيها مجموعة من الجوامع الأثرية كجامع الدالاتي وجامع الخليفة عمر بن عبد العزيز وفيه قبره؛ ومسجد أبي ذر الغفاري. أما أشهر الجوامع على الإطلاق فهي : جامع الصحابي خالد بن الوليد وفيه قبره؛ وجامع النوري الكبير وكان معبداً وثنياً ثم تحوّل بعد الفتح الإسلامي إلى مسجدٍ رمّمه وجدّده الملك الزّنكي محمود نور الدين؛ فحمل اسمه "النوري".

تتركّز حول هذا الجامع الحمّامات الشهيرة؛ بالإضافة إلى العديد من الأسواق والخانات القديمة. وفي حمص مجموعة كنائس قديمة؛ منها كنيسة ما زالت آثارها قائمة في حيّ آل الزّهراوي؛ ويعود تاريخها إلى القرن الثّالث الميلادي؛ وكنيسة السّيدة أم الزّنار ويعود تاريخ بناء هيكلها إلى القرن الخامس الميلادي.

أمّا الآثار في المُدن التابعة لمُحافظة حمص فهي كثيرة جداً؛ منها مدينة تدمر الصّحراوية الشهيرة. وفي منطقة "تلكلخ" قلعة الحصن؛ ودير مارجرجس؛ ونبع الفوار المُقدّس. وفي منطقة القصير تلّ النبي مَند وطواحين وجسور وقناطر. وفي منطقة الرّستن كهوف أثرية وأقنية رومانية والقبو الأبيض. وفي منطقة المخرم قصر الشّندفيان.

حمص مدينة مُغرقة في القِدَم. وسكنها الإنسان الحجري مُنذ ٥٠ ألف عامٍ ق. م. وتعاقب على سكنها الأموريون؛ والحيثيون؛ والفينقيون؛ والآراميون؛ واليونان؛ والرومان؛ والعرب والأتراك؛ كما ورِدَ ذكر حمص في التّوراة أكثر من مرةٍ. وقرب حمص وقعت معركة قادش التي انتصر فيها رمسيس الثاني المصري

على الحيثيين؛ وعندها هزم أورليان الملكة زنوبيا في ٢٧٢م.

وأصيبت حمص بزلزالين مُدمّرين في عامي ١١٢٧م؛ و ١٣٠٧م. وفي عام ٨٠ ق. م. ظفرت حمص باستقلالٍ إداريٍ إذ حُكِمَت من قِبَل ملوكها المحليّن من أسرة سمسيجرام (٨٠ ق. م. ـ ٧٩م) الذين بلغت حمص في عهدهم أوج الإزدهار. ثُم عادت حمص ودخلت تحت الحُكم الرّوماني؛ واستقلّت أسرة "السّميذع" العربية في تدمر وحَكَمت سورية أيّام أذينة الثاني (٢٤٥ ـ ٢٢٦) وزوّجته زنوبيا. ثم حكم حمص الغساسنة العرب برعاية البيزنطيين.

وعرفت حمص في عهد الخلفاء الراشدين شأناً عظيماً حيث كان فتح حمص في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب. وبقي لحمص مركزها المرموق طيلة عهد الأمويين ومطلع عهد العباسيين؛ ثُم انحطّت مكانتها السياسية لأنّها كانت بين آونةٍ وأخرى تُعلن العصيان وتُشعل الثّورات ضد العبّاسيين وولاتهم؛ فلا تحصد إلاّ الخراب والدّمار.



لمّا جاء الصليبيون عجزوا عن الاستيلاء عليها لدفاع أهلها عنها. ولما

استولى القائد التّتري تيمورلنك على بلاد الشام؛ مرَّ بمدينة حمص فلم يدمّرها أو يستبيحها كما فعل ببقية المُدن السورية؛ بل وهبها لجثمان الصّحابي خالد بن الوليد؛ وقال: . يا خالد إن حمص هديتي إليك أقدّمها من بطلٍ إلى بطلٍ.

وفي الحرب العالمية الأولى؛ شارك عدد من أبنائها في الثورة العربية؛ وعلّق جمال باشا ثلاثةً من أبطالها على أعواد المشانق عام ١٩١٦؛ وهُم : الشّيخ عبد الحميد الزّهراوي؛ والمُحامي رفيق رزق سلّوم؛ والدكتور عزة الجندي.

ويُوجد في حمص مدينة قديمة تُوضع على مساحة بحدود ١.٢ كم٢ داخل سور المدينة وهي مبنية فوق المدينة الرومانية القديمة وتتميز بشوارعها الضيقة والملتوية؛ وبيوتها المبنية من الحجر والخشب والطين؛ وبأسواقها التُجارية الضيقة والمسقوفة والمُغلقة. ويمر فيها نهر العاصي الذي تغني به الكثير من الشعراء ويقسمها لقسمين يفصلهما عن نهر العاصي منطقة بساتين خضراء تُشكل حزام أخضر للمدينة ولا يسمح بالبناء فيه. وتشتهر مدينة حمص بهوائها العليل ولها مكانة أثرية هامة نظراً لموقعها وتعدد وتنوع آثارها التي تعود لمُختلف العصور.

إنَّ مدينة حمص مدينة قديمة جداً يرجع تاريخها إلى ما قبل ميلاد السيد المسيح بحوالي ٢٣٠٠ سنة؛ وشهدت الحضارات والممالك المختلفة التي مرت على منطقة بلاد الشام بكل أنواعها؛ وظلت زمناً تُعرف بأسماء مُختلفة [صوبا . أميسا . حمس]؛ وهُناك اختلاف في أصل تسميتها بين المؤرخين؛ ولكن الظهور الحضاري الثابت والواضح للمدينة كان عام ٦٤ قبل الميلاد حين دخلها الرومان أثناء اجتياحهم لبلاد الشام وحظيت برعاية خاصة منهم؛ وتزوج القادة العسكريون الرومان من نسائها اللواتي أنجبن عدداً من القياصرة الذين حكموا الإمبراطورية الرومانية؛ وقد دخلها العرب المُسلمون بعد معركة اليرموك على يد خالد بن الوليد وأبو عُبيدة عامر بن الجراح عام ٦٣٣ ميلادية المُوافق عام ١٦

هجرية؛ ودخلت التاريخ الإسلامي لبلاد الشام مُنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا.

ومن المعالم الأثرية والتُراثية الهامة في مدينة حمص : قلعة حمص : وتقع في الجنوب الغربي من مدينة حمص القديمة على تل ارتفاعه ٣٢م؛ وفيها بُرجان يعودان إلى العهد الأيوبي؛ أما باقي تحصيناتها فتعود إلى العهدين المملوكي و العُثماني؛ وقد لعبت دوراً مرموقاً في التاريخ وبخاصة في عهد الدولة الأيوبية والمماليك.

سور حمص

يعود تاريخ بناء السور في أصله إلى الحثيين والآراميين وقد رممه الروم و أولاه الأيوبيون عنايتهم وقد تعاقبت عليه الكثير من الحضارات؛ وكان يعتبر السور الحصن المتين لحماية المدينة من الأعداء في السابق؛ وحالياً تظهر أثار السور في الجهة الشرقية من المدينة؛ و للسور أبراج دفاعية؛ وله سبعة أبواب لا تزال من حيث الموقع مُحافظة على وظيفتها التاريخية؛ وهي التي تربط المدينة القديمة بالمدينة ككُل وهي : باب تدمر . باب السباع . باب الدريب . باب التُركمان . باب هود – باب المسدود . السوق.

يوجد بحلب مجموعة من الجوامع الأثرية منها : جامع الصحابي خالد بن الوليد: ويعرف بجامع (سيدي خالد) ويقع في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة حمص القديمة ويعود بناؤه بوضعه الحالي إلى العهد العُثماني إذ أقيم على أنقاض المسجد القديم الذي كان قائماً وفق الطراز العُثماني ممزوجاً بطراز عربي؛ و يتميز بمأذنتيه العاليتين وقبابه التسع؛ ويضم قبرالصحابي خالد بن الوليد؛ والجامع النوري الكبير: يقع وسط مدينة حمص؛ وقد كان في القديم معبداً وثنياً وتحول بعد الفتح الإسلامي إلى مسجد رممه وجدد بناؤه الملك الزنكي محمود

نور الدين فحمل اسم (النوري)؛ وقد اعتبر هذا الجامع جامعة القرن الماضي وبداية هذا القرن حيث كان يتم التدريس فيه؛ ويُعد من أقدم أماكن العبادة في المدينة؛ هو ومسجد أبي ذر الغفاري؛ ومسجد الخليفة عُمر بن عبد العزيز.

قسنطينة

على ربوة صخرية عالية تقبع "قسنطينة" كأنها جزيرة عائمة وسط بحر من الرمال؛ تاريخها مُوغل في القدم؛ بربر وفينيقيون وبيزنطيون وأتراك وفرنسيون؛ ولكن العرب هم الذين أعطوا المدينة ملامحها الأساسية؛ وخلال فترة الاحتلال الفرنسي الطويل ظلت قسنطينة قابضة على دينها محافظة على هويتها كالقابض على الجمر.

وتقع مدينة قسنطينة على خط ٣٦.٢٣ شمالاً؛ وخط ٧.٣٥ شرقاً؛ وتتوسّط إقليم شرق الجزائر؛ حيث تبعد بمسافة ٢٤٥ كلم عن الحدود الشرقية الجزائرية التونسية؛ وحوالي ٤٣١ كلم عن الجزائر العاصمة غرباً.



وتتربّع قسنطينة فوق الصّخرة العتيقة على جانبيّ وادي الرّمال؛ وتحفّها العوائق والانحدارات الشّديدة من كلُّ الجهات؛ وإذا تتبّعنا مظاهر سطح المدينة؛ نلاحظ أن المنطقة التي تقوم عليها غير مُتجانسة من حيث ارتفاعها عن سطح البحر. كما تُعد قسنطينة اليوم ثالثة مدن الجزائر وتقدر مساحتها بنحو ١٩ ألف هكتار؛ ويبلغ تعداد سكانها نحو ٧٠٠ ألف نسمة؛ فهي تبعد عن العاصمة شرقا بنحو ٤٣٣ كيلومترا؛ وتبعد عن ساحل البحر المتوسط بنحو ٨٥ كيلومترا؛ وهي بذلك تتوسط إقليم الشرق الجزائري الذي يعد أحد الأقاليم الاقتصادية والعمرانية للجزائر.

وهي واحدة من أجمل المُدن العربية قاطبة؛ فهي بجبالها ووديانها الخضراء السحيقة وشوارعها الملتوية التي تربطها الجسور المعُلقة؛ وأشجار الصنوبر المحيطة بها ترسم أجمل لوحة فنية طبيعية قد يُشاهدها الإنسان في حياته؛ وهي تُعد بوابة شرق الجزائر والمنفذ الرئيسي للصحراء. وقد اتسعت قسنطينة وكبرت بالأعداد الكبيرة التي قدمت إليها بعد استقلال الجزائر من الاحتلال الفرنسي؛ فقد تضاعف سكانها مما أدى إلى إقامة ضواح سكنية جديدة بلغ عددها عشراً؛ ومن أشهر هذه الضواحي ضاحية القنطرة ذات المباني المتعددة الأدوار؛ ثم ضاحية لامي التي تحيط بها أشجار الصنوبر والتي تضفي على المدينة جمالا باهراً.

تضفي المدينة القديمة بدروبها الضيقة وخصوصية بناياتها طابعاً مميّزاً. وتجتهد ببيوتها المسقوفة وهندستها المعمارية الإسلامية في الصّمود مُدةً أطول؛ مُلمّحة إلى حضارةٍ عريقةٍ وطابعٍ معماريٍ يرفض الزّوال.

تُعتبر المدينة القديمة إرثاً معنوياً وجمالياً يُشكّل ذاكرة المدينة بكلّ مكوّناتها الثقافية والاجتماعية والحضارية. فقد عُرفت قسنطينة كغيرها من المُدن

والعواصم الإسلامية بالأسواق المتخصّصة. فكلّ سوقٍ خُصّ بتجارةٍ أو حِرفةٍ معيّنةٍ. وما زالت أسواق المدينة تحتفظ بهذه التّسميات مثل: الجزّارين؛ الحدّادين؛ سوق الغزل؛ وغيرها. أمّا الأسواق الخاصة بكلّ حيٍ من أحياء المدينة؛ فإنّها كانت تُسمّى "السّويقة"؛ وهي السّوق الصغير.



والمدينة تمتاز بطبوغرافية عجيبة؛ فهي مبنية على جبل يتكون من سبعة رءوس؛ وكانت قسنطينة قديماً لها سبعة أبواب؛ كما أن بها الآن سبعة جسور معلقة؛ كما أن كلمة قسنطينة تتألف من سبعة أحرف ومن المعروف أن الرقم سبعة في جميع الحضارات القديمة يرتبط بالسحر والأشياء العجيبة والخرافات؛ وهذا الرقم لا يزال حتى الآن لغزاً؛ نقول السماوات السبع والأرضين السبع والعجائب السبع؛ والحق أن تاريخ مدينة قسنطينة مرتبط بهذا الرقم اللغز حتى أن الرحالة العرب القدامى كانوا يسموها المدينة السعيدة.

وقد خلدت هذه المدينة وجمالها في أغلب النصوص الأدبية؛ فمن الجزائريين مُحَّد العيد الذي وصف المدينة وجمالها؛ كما أن هناك نصاً أدبياً رائعاً لمفدي زكريا وهو من أكبر شعراء الجزائر؛ والذي ألف النشيد الوطني الجزائري.

وقد أنجبت قسنطينة مجموعة من الروائيين؛ منهم : مالك حداد؛ وقد عاش في هذه المدينة وكان من المعجبين بها وله حس وطني برغم أنه يكتب بالفرنسية؛ وهناك رواية جميلة للطاهر وطّار مبنية على مدينة قسنطينة وهي رواية (الزلزال). وهذه الرواية تدور أحداثها في قسنطينة والروائي كان يتوقع أن تصاب هذه المدينة بزلزال؛ والرواية مبنية على سبعة جسور وكل جسر يحمل اسما من أسماء المدينة. أما في العصور القديمة فقد نالت إعجاب الكتاب والأدباء لسحر طبوغرافيتها وجغرافيتها. فمن علماء العصر الحديث المصلح الكبير عبد الحميد بن باديس؛ وكذلك رضا حوحو الذي عاش في قسنطينة؛ ثم مالك حداد وأحمد الغوالمي؛ أما في العصور القديمة فابن قنفذ القسنطيني؛ وكان في قسنطينة عدد كبير من العلماء والأدباء وهي مدينة من المدن المحافظة؛ وبرغم أنها تعرضت إلى الكثير من التغييرات؛ فإنها بقيت محافظة على التقاليد والطابع العربي الإسلامي وتماسك المُجتمع والأسرة.

وفي وسط المدينة تقع معظم المباني الحكومية؛ فهناك مبنى بلدية قسنطينة ومبنى إدارة الولاية وبعض المباني ذات الطابع الغربي والتي يرجع تاريخ بنائها إلى أيام الاحتلال الفرنسي؛ بالإضافة إلى الساحات والشوارع المشهورة مثل ساحة أول نوفمبر التي تقع وسط المدينة؛ حيث تحيط بها المؤسسات الثقافية والإدارية مثل المسرح الجهوي والبريد المركزي ثم مبنى البنك المركزي؛ وتتفرع من هذه الساحة عدة شوارع وأنهج. فهناك ساحة الشهداء التي تعد أكبر ساحة بالمدينة اتساعا؛ وفي هذه الساحة تلتقي الأنهج والشوارع المؤدية إلى أحياء المدينة

وضواحيها؛ ثم ساحة العقيد عميروش التي تروي ذكريات المقاومة الشعبية التي خاضها أهالي قسنطينة ضد المستعمر الفرنسي خلال سنوات الثورة.

ونظراً لتضاريس المدينة الوعرة وأخدود وادي الرّمال العميق الذي يشقها؛ أُقيمَت عليها سبعة جسورٍ لتسهيل حركة التنقّل. واشتهرت بعد ذلك قسنطينة باسم مدينة الجسور المعلّقة؛ وهذه الجسور هي ما يلي : .

١ . جسر باب القنطرة وهو أقدم الجسور بناه الأتراك عام ١٧٩٢م وهدمه الفرنسيون ليبنوا على أنقاضه الجسر القائم حالياً وذلك عام ١٨٦٣م.

٢ . جسر سيدي راشد ويحمله ٢٧ قوساً؛ يبلغ قطر أكبرها ٧٠م؛ ويُقدّر علوه بـ١٠٥م؛ طوله ٤٤٧م وعرضه ١٢م. بدأت حركة المرور به عام ١٩١٢م.

٣ . جسر سيدي مسيد؛ بناه الفرنسيون عام ١٩١٢م ويُسمّى أيضاً بالجسر المُعلّق ويُقدّر ارتفاعه بـ١٧٥م وطوله ١٦٨م؛ وهو أعلى جسور المدينة.

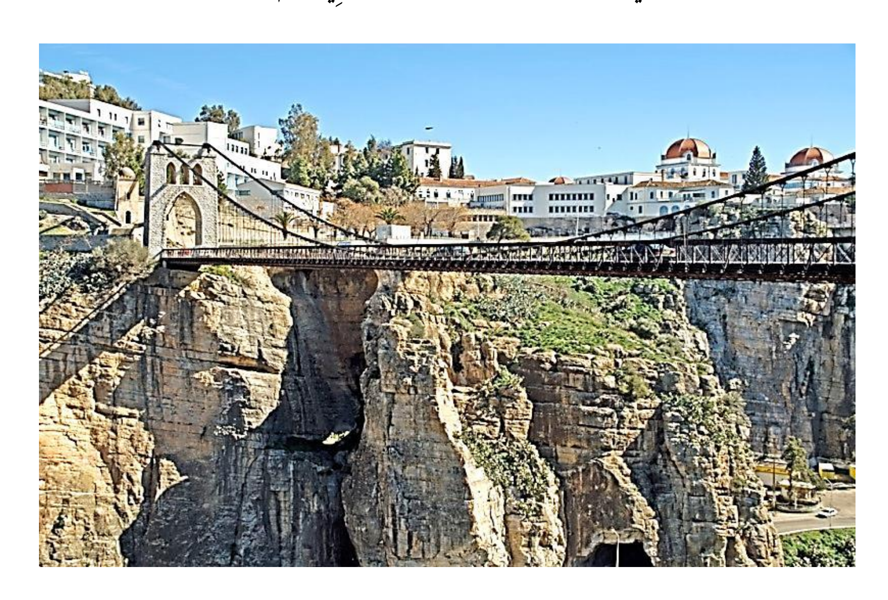
٤ . جسر صلاح سُليمان وهو ممرّ حديديٌ خُصّص للراجلين فقط؛ ويبلغ طوله ١٢٥م وعرضه مترين ونصف المتر. وهو يربط بين شارع محطّة السّكك الحديدية ووسط المدينة.

٥ . جسر مجازن الغنم وهو امتدادٌ لشارعِ رحماني عاشور. ونظراً لضيقه فهو أحادي الاتجاه.

٦ . جسر الشيطان وهو جسرٌ صغيرٌ يربط بين ضفّتي وادي الرمال؛ ويقع في أسفل الأخدود.

٧. جسر الشّلالات الموجود على الطريق المؤدّي إلى المسبح. تعلو الجسر مياه

وادي الرّمال التي تمرّ تحته مكوّنةً شلاّلات. بُنِيَ عام ١٩٢٨.



يَطلق الشّعراء على قسنطينة اسم مدينة "الهوى والهواء" وهذا نظراً لِلَطافَة جوّها ورقّة طباع أهلها وانتشار البساتين والأشجار في كلّ أرجائها. وبذلك تتوفّر للمدينة عدّة حدائق عموميّة تعمل على تلطيف الجو داخلها. ولعلّ أهم هذه الحدائق والتي ما زالت تحافظ على رونقها وجمالها؛ حديقة بن ناصر أو كما يُطلَق عليها "جنان الأغنياء" وتتوسط شارع باب الواد. وبِحَيّ سيدي مبروك تُوجد حديقتان؛ إحداهما تقع بالمنطقة العُليا والأخرى تقع بالمنطقة السّفلى. كما توجد حديقةٌ بحيّ المنظر الجميل تحمل إسم "فرفيو عبد الحميد". وتجدر الإشارة إلى أنّ قصر "أحمد باي" يتوفّر على حديقةٍ رائعة الجمال؛ وتذكر بعض الرّوايات أن الباي نفسه كان يشرف عليها. ومن بين حدائق قسنطينة التي كَتَب عنها بعض المؤرّخين والرحالة "حديقة قسوم مُحَمَّد" التّي تُدعى "سكورا قامبيطة" الكائنة خلف شارع بلوزداد؛ التي ما فتئت تستقطب الكثير من النّاس لجمالها وكثافة أشجارها. وتحت جسر باب القنطرة توجد حديقة رائعة الجمال.

الرّحبة هي المكان الواسع الذي يُستعمَل لأغراضٍ تجاريةٍ حيث تُباع مُختلف السّلع والبضائع؛ كالملابس والأقمشة وغيرها.

ونتيجة لارتفاع عائدات البترول وازدياد الدخل القومي للجزائر منذ منتصف السبعينيات من القرن العشرين قامت الدولة بوضع برنامج طموح تمثل في إدخال الصناعات الثقيلة في البلاد؛ فكان لقسنطينة من هذا البرنامج نصيب الأسد؛ ويوجد بها الآن ثلاثة مصانع كبيرة للصناعات الثقيلة تابعة لوزارة الصناعة الثقيلة الجزائرية يأتي في مقدمتها مصنع المجارف والرافعات الذي يقع في عين السمارة بولاية قسنطينة. هذا ويعتبر إنشاء مصنع المجارف والرافعات جاء ضمن إطارات سياسة تنمية وترقية الصناعات الميكانيكية والهيدروليكية في الجزائر؛ ولتغطية حاجة السوق الوطنية من هذه الرافعات والمجارف ولسد التوسع الكبير لحركة البناء والتشييد التي تشهدها مدن الجزائر؛ وكذلك للمساهمة في إنجاز مشروع شبكة المجاري الصحية ومجاري الأمطار الجاري تنفيذها في أرجاء البلاد.

بدأ المصنع إنتاجه عام ١٩٨١م بعد حصوله على امتياز من شركة "ليبهير" الألمانية التي تقوم بصنع الجارفة والرافعة تحت سقف واحد؛ ويعد هذا المصنع الوحيد في الجزائر وفي البلاد العربية.

والمصنع يقوم بتصنيع ما يقرب من ٦٥% من أجزاء الآلات التي ينتجها أما الباقي فيستورد مثل بعض الأجهزة الميكانيكية والأجهزة الكهربائية وبعض الأجهزة الدقيقة؛ كما يقوم الآن بتصدير بعض الإنتاج إلى بعض دول أوربا الجنوبية مثل أسبانيا واليونان وإيطاليا إضافة إلى بلاد المغرب العربي. و مساحة المصنع المغطى ١١ هكتاراً؛ أما المساحة المفتوحة فتبلغ نحو ٥٥ هكتاراً.

والمصنع يُنتج الآن أربعة أنواع من الرافعات وهي روافع بحمولة ١٢ طناً؛

و٣٠ طنا؛ و٢٥ طنا؛ و٤٠ طنا بالإضافة إلى خمسة أنواع من المجارف؛ ثلاثة أنواع منها مجنزرة ونوعان آخران على عجلات.

ومن المصانع التي تنفرد بها الجزائر عن باقي الدول العربية وتحتضنها ولاية قسنطينة مصنع المعدات الصناعية؛ وهذا المصنع ينتج المخارط والفرازات والمقشطات والثاقبات وعجلات الشحذ والمناشير الميكانيكية؛ وقد بدأ المصنع في إنتاج هذه الآلات الدقيقة عام ١٩٧٦. إن هذه الآلات الدقيقة التي يقوم المصنع بإنتاجها تنطبق مع المقاييس المعمول بها دولياً.

وتعد قسنطينة أحد حصون الإسلام المنيعة فمنذ أن دخلها الإسلام؛ فهي مركز مهم لهذا الدين الذي أضاء بنوره غياهب الظلام وأصبح الناس إخوة متحابين في الله؛ لقد بقيت قسنطينة نبعاً فياضاً للغة القرآن؛ فقد ازدهرت اللغة العربية في هذه المدينة برغم أن المستعمر الفرنسي حاول بشتى الطرق محوها.

وازدهرت اللغة العربية بفضل الكتاتيب والمدارس الدينية التي أنشأها طائفة من علماء هذه المدينة وعلى رأسهم المجاهد والمصلح الديني الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أقام مجموعة من المدارس الدينية لتعليم اللغة العربية والدين لأبناء المدينة؛ ولقد صمدت قسنطينة أمام الحوادث الجسام التي أصابتها وبخاصة عندما احتلها الفرنسيون في مايو عام ١٨٤٨م. ويقول المؤرخان الجزائريان الدكتور عبد العزيز فيلالي ومُحَمَّد الهادي لعروق وهما أستاذان لمادة التاريخ في جامعة قسنطينة في كتابهما "مدينة قسنطينة.. دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية " : .

. لقد قام المُستعمر الفرنسي بطرد الجزائريين من بيوتهم وأملاكهم وحلوا محلهم. واستخدموا معهم سياسة التجويع والجهل فأغلقوا المساجد والمدارس العربية وحولوها إلى كنائس ومدارس فرنسية؛ كما ضيقوا على العلماء والفقهاء

حتى فر الكثير منهم ناجياً بجلده وإيمانه؛ وبرغم هذه السياسة الشديدة فقد ظل الشعب الجزائري يحمل لواء المُعارضة ضد الاستعمار. ولقد قامت نحو أربع وعشرون ثورة وانتفاضة شعبية في الجزائر في فترة لا تزيد على ستين عام؛ وحاول الفرنسيون تجريد الشعب الجزائري من شخصيته العربية والإسلامية وذلك بالسماح للفرنسيين والإيطاليين والأسبان بالإقامة الدائمة في قسنطينة؛ إلا أنهم لم ينجحوا في تحويل أفكار الجزائريين عن قيمهم الروحية؛ بل ظلوا يتغذون من العروبة والإسلام ويستمدون منهما قوتهم ونضالهم وصمودهم.



وقد جاءت هذه النهضة على مرحلتين؛ بدأت المرحلة الأولى في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر وتمثلت في الوسائل التقليدية القديمة في الدرس والتحصيل في الكتاتيب والزوايا لتعلم أصول الدين واللغة العربية؛ وقد أصبح هذا التعليم ـ برغم بساطته ـ سلاحاً مُقاوماً يُمثل الاتجاه الوطني ضد الغزو الثقافي الفرنسي؛ كما أن تيارات الإصلاح التي عرفتها بلاد المشرق كانت تصل إلى أهل قسنطينة وشيوخها بطرق عدة؛ فتأثروا بهذه النهضة ونقلوها إلى تلامذتهم في الحواضر الكبرى للجزائر؛ وفي هذه الفترة ظهرت في قسنطينة شخصية عبد

القادر المجاوي ١٨٤٨ . ١٩١٣ الذي يعود إليه الفضل في إيقاظ روح الإصلاح ونشر اللغة العربية وإحياء التراث الإسلامي وكانت أفكار الشيخ المجاوي اللبنة الأولى للنهضة الإصلاحية في الجزائر وفي قسنطينة بخاصة؛ وقد خلف هذا المصلح عدداً كبيراً من التلاميذ ساروا على دربه واتخذوا منهجه مناراً يهتدون به في جهادهم الوطني أمثال الشيخ حمدان بن لونيس وأحمد مرزوق الحبيباتي والشيخ المولود بن الموهوب والشيخ أحمد البرعوني وغيرهم الكثير.

ثم جاءت المرحلة الثانية لهذه النهضة الإصلاحية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين بزعامة ابن قسنطينة الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس وبمعاضدة رفاقه وإخوانه في الجهاد من علماء عصره أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي والطيب العقبي والعربي التبسي ومبارك الميلي الذين غذوا حركة الإصلاح بأفكارهم ومبادئهم؛ حيث كان لهذه الحركة الإصلاحية برنامج مرسوم وخطة مدروسة؛ وأهداف محددة؛ منها تصفية الدين من الخرافات؛ وبعث التعليم العربي الإسلامي وإحياء التراث بنشر الحضارة العربية الإسلامية؛ وإيجاد جيل يؤمن بهذه المبادئ والقيم الوطنية لمكافحة الاستعمار والجهاد في سبيل الله والوطن؛ فقد قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بتأسيس جمعية الإصلاح في عام ١٩٣١ حيث كرس حياته للإصلاح مع رفاق صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ وقد سارت الجمعية منذ تأسيسها بخطى ثابتة وأيدتها جماهير قسنطينة والتفت حولها وآمنت بأفكارها؛ فأيقظت الشعور بالأصالة وحررت العقول من الأفكار البالية متحدية بذلك الإدارة الفرنسية التي كانت تعمل بشتى الطرق للقضاء على نشاط هذه الجمعية؛ فقد استطاعت الجمعية في فترة وجيزة أن تفتح ما يزيد على ٤٠٠ مدرسة ومعهد في مختلف أنحاء الجزائر في المرحلة ما بين عام ١٩٣١م حتى اندلاع الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤م؛

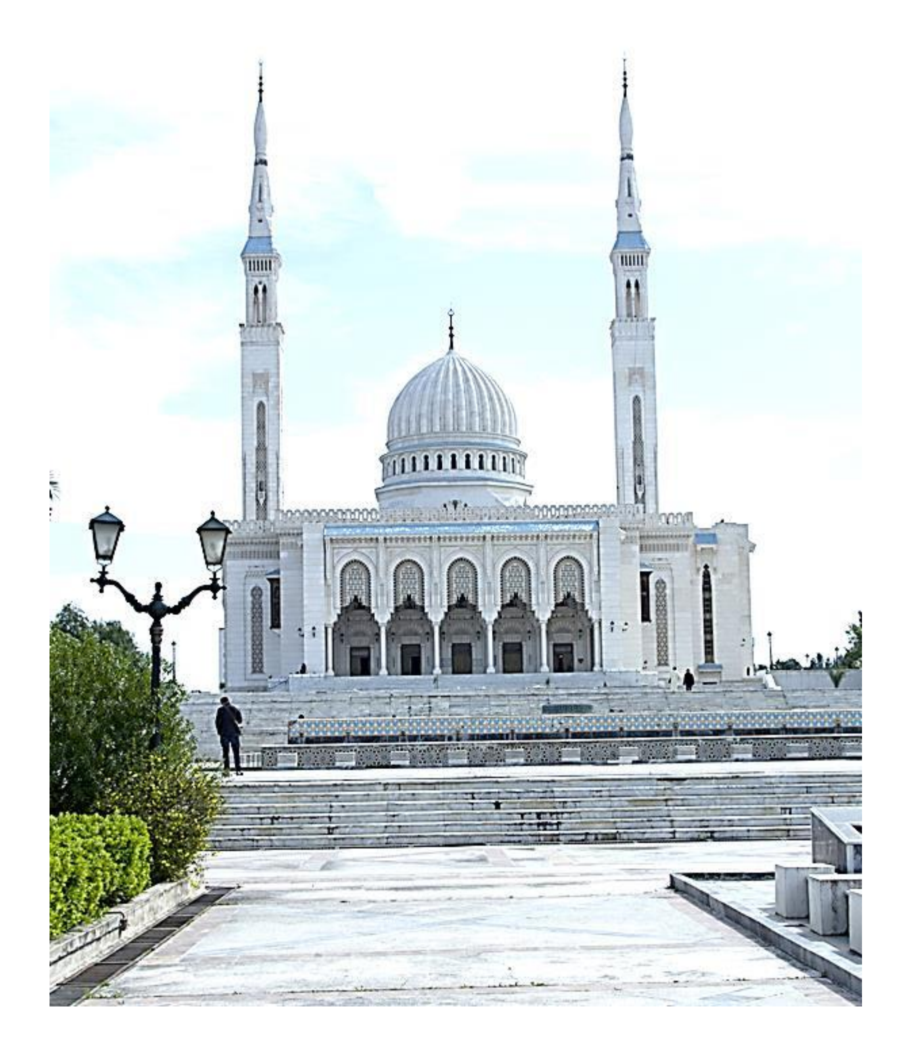
وكان للجمعية ومدارسها الفضل في نشر الثقافة العربية الإسلامية والوعي القومي والفكر الديني والتعبئة الجماهيرية المناهضة للاستعمار؛ مما أدى إلى قيام الثورة الجزائرية ومن ثم استقلال الجزائر.

وقد سارت مبادئ جمعية عبد الحميد بن باديس جنبا إلى جنب مع مختلف التشكيلات السياسية للحركة الوطنية؛ فكان التعليم العربي الإسلامي هو الدرع الواقي للحفاظ على الشخصية القومية للجماعة؛ كما كانت اللبنة الأولى ليقظة الشعب ووعيه؛ ولقد بذلت جمعية ابن باديس جهوداً حثيثة لنشر التعليم الإسلامي العربي في مُختلف أرجاء الجزائر بعد أن كان مركزاً في مدينة قسنطينة على عهد الشيخ ابن باديس؛ فقد أصدرت قسنطينة مُنذ العقد الثاني من القرن العشرين ما يزيد على ١٥ عنواناً لدوريات ومجلات عربية مُختلفة؛ وهو عدد كبير إذا عرفنا أن الإدارة الفرنسية كانت قد وضعت قيوداً ورقابة صارمة على الصحف التي تصدر باللغة العربية؛ وبخاصة تلك التي تصدر من مؤسسات وجمعيات وطنية؛ كما يدل هذا العدد من المجلات والدوريات على انتشار الوعي وقيام نهضة وحركة ثقافية ناشطة بين شباب قسنطينة؛ هذه المدينة التي لعبت دوراً مُهما في تغذية الحركة الوطنية في مختلف اتجاهاتها ودروبها؛ وكانت من طليعة المُدن الجزائرية التي خاضت غمار الإصلاح؛ ومدت الحركة الوطنية والثورة بالمُجاهدين الأبطال.

وتعد جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية واحدة من الصروح الثقافية الإسلامية في ولاية قسنطينة؛ فقد جاءت فكرة إنشاء هذه الجامعة مع إنشاء مشروع مسجد الأمير عبد القادر الضخم عام ١٩٨٤ في مدينة قسنطينة؛ وقد ساهم نخبة من علماء وأساتذة العالم العربي في وضع الأسس العلمية والمنهجية الإسلامية للدراسة في الجامعة منهم المرحوم الشيخ مُحَمَّد

الغزالي؛ والدكتور يوسف القرضاوي؛ والدكتور سعيد رمضان البوطي وغيرهم من العلماء الذين يزخر بهم عالمنا العربي والإسلامي؛ وجامعة الأمير عبد القادر تتكون من ثلاثة معاهد؛ وهذه المعاهد هي معهد الدعوة وأصول الدين وهو من أكبر المعاهد التي تضمها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة؛ ويضم ثلاثة أقسام متخصصة هي قسم الدعوة والإعلام وقسم العقيدة ومقارنة الأديان وقسم الكتاب والعام؛ ويعد هذا المعهد من أهم معاهد الجامعة لأن التخصصات التي يدرسها تكاد تشمل علوم الشريعة كلها مضافاً إليها بعض علوم العصر الحديث التي لا غنى لطالب العلم عنها.

والمعهد الثاني في الجامعة هو معهد الشريعة ويضم قسمين هُما قسم الفقه وأصوله وقسم الشريعة والقانون. أما المعهد الثالث فهو معهد الحضارة الإسلامية؛ والدراسة بهذه الجامعة مُختلطة؛ وعدد الطالبات يفوق عدد الطلبة بصورة ملحوظة؛ وتخرجي الدُفعة الأولى لخريجي هذه الجامعة عام ١٩٨٨م؛ وتوالت أعداد الخريجين.



وتُعتبر جامعة الأمير عبد القادر جامعة وطنية ذات بُعد إفريقي؛ والدولة عندما أقامت هذه الجامعة كان هدفها أن تكون مركز إشعاعاً إسلامياً؛ وإفريقياً؛ يقف في مواجهة الحملات التبشيرية الأوربية والأمريكية التي تغزو إفريقيا؛ وقد نجحت والحمد لله في سعيها هذا؛ ولديها الآن مجموعة من الطلبة الإفريقيين الذين يدرسون في جامعة الأمير عبد القادر وهم طلبة من تشاد ومن ساحل

العاج وأوغندا وغيرها من الدول الإفريقية؛ حتى أن بعض خريجي هذه الجامعة يحتلون مناصب قيادية في بلادهم وكذلك في كثير من دول العالم.

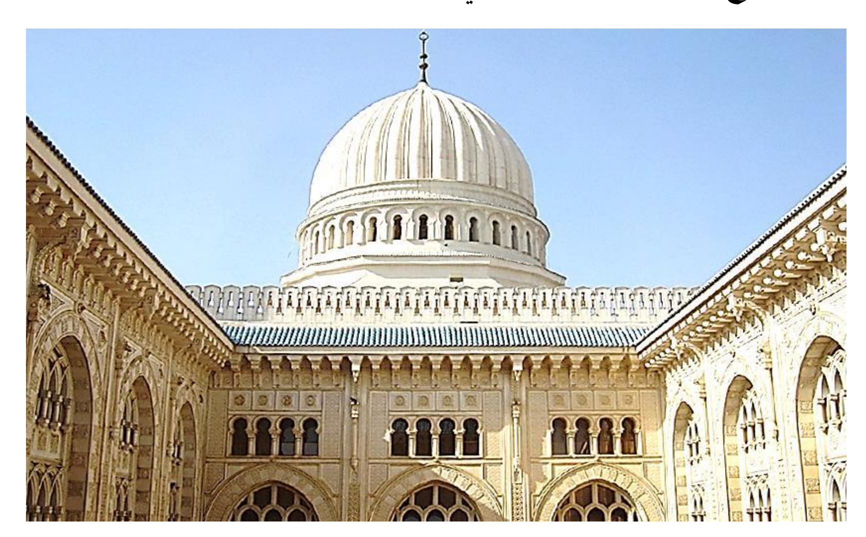
والدراسة في الجامعة بالمجان ويحصل طلبة المنح على مُخصصات مالية شهرية؛ وفي السنوات الأخيرة فتحت الجامعة أقساماً للدراسات العُليا في جميع تخصصات المعاهد الثلاثة التي تتألف منها أقسام الجامعة التي تقوم أيضاً بطبع الرسائل الجامعية المُجازة؛ وتُقدم حوافز مالية لأصحابها.

عُرفت قسنطينة قديماً عدّة رحباتٍ منها ما يزال قائماً حتّى اليوم ومنها ما تحوّل إلى مبانٍ وطرقاتٍ كرحبة الزّرع التي كانت تتوسّط المدينة وتُقام فيها نشاطاتٌ تجاريةٌ كبيع الحبوب؛ التمور والزّيوت. ومن الرّحبات المعروفة في قسنطينة قديماً؛ نذكر "رحبة الشّبرليّين"؛ "سوق الخرازين"؛ "سوق العطّارين"؛ "سوق الصّاغة"؛ و"سوق الصّباغين" وغيرها... وحالياً ما تزال بعض الرّحبات موجودة مثل "رحبة الصّوف" التي تحوّلت اليوم إلى سوقٍ لبيع الخضر والفواكه والأواني وبعض الأغراض المنزلية. أمّا "رحبة الجمال" التي يذكر المؤرخون أنّها كانت مبركاً للقوافل الآتية من مختلف الأنحاء مُحمّلةً بالبضائع؛ فقد أصبحت اليوم سوقاً لبيع الملابس ومكاناً مُفضّلاً للمطاعم الشعبية الشّهية بوجباتها. وهناك "سوق العصر" الذي كان قبلاً يُسمّى "سوق الجمعة" ويشتهر بتنوّع خضره وفواكهه وباللّحوم والأقمشة؛ وعادةً ما تكون أسعار هذا السّوق مُعتدلة مُقارنةً ببقيّة الأسواق.

وتعد مباني وتجهيزات جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية تحفة فنية نادرة؛ فقد بنيت هذه الجامعة ومرافقها على النمط الإسلامي المغربي؛ فالنقوش وأعمال الخشب الزخرفية جاءت وفق نظام هندسي إسلامي حديث؛ روعيت فيه كل متطلبات الحياة الحديثة من صالات وممرات ومدرجات وغرف؛ ويأتي

المسجد الجامع الملحق بمباني الجامعة كتحفة إسلامية نادرة. ولقد جاءت هندسة جامعة الأمير عبد القادر إحدى ثمرات التعاون بين المهندسين المصريين وإخوانهم الجزائريين بالإضافة إلى مجموعة من الفنيين المغاربة الذين شاركونا في تنفيذ زخارف ونقوش المصلى الكبير للجامع؛ والذي يسمى بالزلاج؛ ويعد جامع الأمير عبد القادر الجامع الرئيسي والرسمي لمدينة قسنطينة حيث تقام فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة من كل أسبوع؛ كما تقام فيه صلاة التراويح والقيام وصلاة العيدين ويقوم التلفزيون الجزائري في كل شهر بنقل وقائع صلاة الجمعة من هذا الجامع. لقد ساهم العمال والمهندسون الجزائريون بالنصيب الأوفر في بناء هذا الجامع؛ فقد قاموا بإنجاز أعمال الخرسانة المسلحة والمباني والخشب والحديد؛ أما الأعمال الهندسية فقد قام بها مكتب الدراسات المختلط وهو مكتب جزائري مصري قام بإعداد الدراسات ووضع الخرائط الهندسية.

وتبلغ مساحة المسجد نحو ٩ هكتارات ويتسع لنحو ١٥ ألف مصلي؛ وهناك أروقة وصالات للمسجد مخصصة لطلبة وطالبات جامعة الأمير عبد القادر تتسع لنحو ثلاثة آلاف مصلي.



وقد قام بتصميم مباني المسجد المهندس المصري المرحوم مصطفى موسى الذي يعد واحدا من أقدر المهندسين العرب في بناء التصاميم الهندسية المعمارية الإسلامية الحديثة؛ ولقد استغرق بناء المسجد مدة طويلة تقدر بحوالي ٢٣ عام؛ أما المواد الخام التي استخدمت في البناء فأغلبها مواد خام من الجزائر؛ فالرخام المستخدم في البناء والواجهات رخام جزائري؛ وكذلك الخشب المستخدم للأبواب والشبابيك والقواطع؛ أما الثريات والأضواء الكهربائية فبعضها مستورد من المغرب؛ والكريستال والزجاج الملون من بلاد التشيك. وفي منتصف الصالة الرئيسية أو المصلى تقع القبة الرئيسية التي يبلغ ارتفاعها نحو ٦٥ متراً؛ وسوف تزدان بثريات وأضواء تتناسب مع فخامة هذا الجامع.

وإذا كانت جامعة الأمير عبد القادر أنشئت لتلبي احتياجات الجزائر من الكوادر الإسلامية؛ فإن جامعة قسنطينة تعد هي الأخرى إحدى القنوات الثقافية والعلمية التي تفخر بها مدينة قسنطينة إن عمرها الزمني الآن قد تجاوز ربع القرن؛ فقد بدأت الدراسة بها عام ١٩٦٩م بداية متواضعة حيث كانت تابعة لجامعة الجزائر العاصمة تدرس بعض التخصصات المحدودة مثل الآداب والحقوق والطب؛ ومنذ عام ١٩٦٩ عرفت جامعة قسنطينة توسعاً في شتى الميادين؛ كما تعددت بها التخصصات العلمية نتيجة للإقبال المتزايد والمتنامي للطلبة الذين أصبح عددهم يرتفع عام بعد عام.

ومع هذا التطور الكمي تطورت هيئة التدريس والهياكل والموظفون والمقاعد التربوية والوسائل التعليمية؛ كما تم الاهتمام بسياسة التعليم من خلال مراجعة البرامج والمناهج وتطوير الدراسات العليا وتنويعها والاهتمام بالبحث العلمي وتدعيمه؛ خاصة وإن أعداد طلبة جامعة قسنطينة لهذا العام قد تجاوز ال ٢٠ ألف طالب وطالبة؛ والدراسات في جميع كليات ومعاهد الجامعة

مختلطة؛ أما الهيئة التدريسية التي تقوم بإلقاء المحاضرات والتدريس فتبلغ نحو ١٥٠٠ أستاذ وكلهم من الجنسية الجزائرية.

إن الناظر إلى مباني الجامعة من علٍ يرى أنها صممت بطريقة هندسية فريدة؛ إنها أشبه ما تكون بكتاب مفتوح؛ ثم حوض من الماء على شكل محبرة؛ ثم مسلة أو عمود على شكل قلم؛ أما المبنى الذي يشبه الكتاب المفتوح فهو قاعة محاضرات كبرى باسم المرحوم مُحَمَّد بن الصديق بن يحيى وزير خارجية الجزائر الأسبق والذي توفي في حادث سقوط طائرته بين الحدود العراقية ـ الإيرانية أثناء قيامه بالوساطة لإنهاء الحرب بين البلدين عام ١٩٨٢؛ وهذه القاعة مخصصة للمحاضرات العامة والملتقيات الثقافية؛ إذ يحاضر بها الأساتذة الزائرون في شتى فروع المعرفة.

تنقسم جامعة قسنطينة إلى ثلاثة معاهد كبيرة هي: معاهد العلوم الإنسانية والاجتماعية وتضم تسعة معاهد؛ ثم معاهد العلوم؛ وتنقسم إلى سبعة معاهد؛ ثم معاهد العلوم التطبيقية والتكنولوجية وتنقسم إلى ثمانية معاهد؛ وبالتالي فإن مجموع معاهد جامعة قسنطينة عين الباي تبلغ ٢٤ معهدا. ولقد أولت وزارة الجامعات أو كما تسمى في المشرق وزارة التعليم العالي اهتماماً كبيراً بإدارة الجامعة وعصريتها بإدخال وسائل التسيير الحديثة والأنظمة الإعلامية؛ كما قامت بتجديد المختبرات والأجهزة العلمية بأحدث ما أنتجه العالم من تقنيات حديثة. إن جامعة قسنطينة تقوم الآن بالتعاون مع وزارة الجامعات بوضع مخطط لتطوير الجامعة لتشمل المعاهد العلمية والتكنولوجية بالإضافة إلى الوسائل المشتركة كالنقل والطبع والنشر؛ ثم الأجهزة السمعية والبصرية.

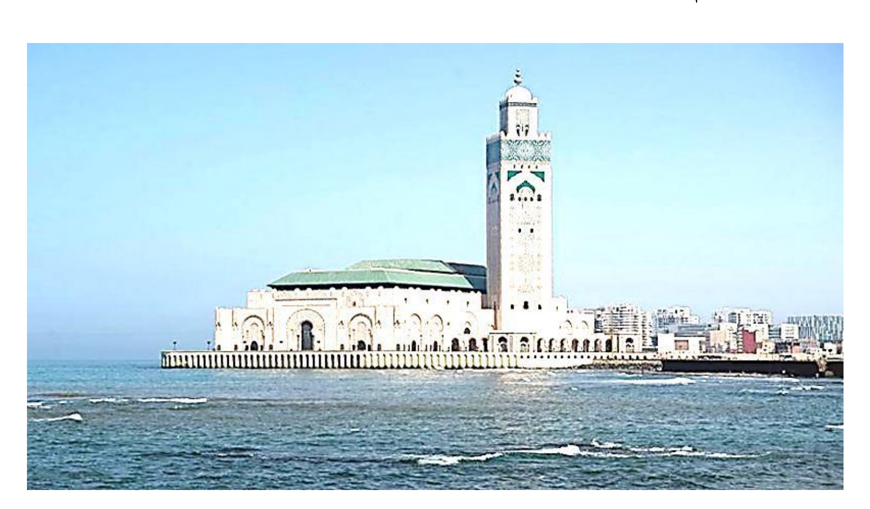
تُعد مكتبة جامعة قسنطينة المركزية من أحدث المكتبات الجامعية؛ فهي تقدم خدماتها لجميع التخصصات الموجودة بالجامعة إذ تبلغ معاهد الجامعة نحو

٢٣ معهداً. وكل معهد لديه قسم خاص بهذه المكتبة؛ تقوم إدارة المكتبة التي تقع وسط مباني جامعة قسنطينة بتزويد مكتبات المعاهد بما تحتاج إليه من كتب ودوريات؛ وتتكون من طابقين رئيسيين؛ الطابق الأرضي عبارة عن قاعة فسيحة للمطالعة بالإضافة إلى قاعة الخدمات المكتبية أو المراجع والرسائل الجامعية؛ أما الملحق فهو مبنى متخصص للمصورات الفيلمية والميكروفيلم ثم أجهزة الفيديو والتقنيات الحديثة؛ وهو في طور التجهيز. أما الطابق السفلي أو البدروم فيضم المخازن وبهو الفهارس والأقسام الداخلية التي تتألف من قسم الدوريات وقسم الاقتناء ومصلحة المعالجة. وتقدم مكتبة جامعة قسنطينة خدماتها إلى نحو ٣٠ ألف طالب وقارئ وأستاذ وباحث؛ بالإضافة إلى طلبة الإقليم الشرقي للجزائر حيث يتوجهون إلى مكتبة جامعة قسنطينة نظرا لكثرة مراجعها وتنوعها وسعتها؛ والمكتبة بها نحو ٨٠٠ ألف عنوان ولديها ٢٨ ألف كتاب؛ ومن الدوريات ١٢٠٠ عنوان؛ أما عن الطريقة التي تتزود بها بالكتب والمراجع؛ فإنها تتعامل مع ممولين عرب وأجانب يقومون بتزويدها بما تصدره المطابع من كتب؛ وفي هذا العام تم إنشاء مجلس التوثيق الجامعي؛ وهذا المجلس يضم مكتبيين وأساتذة وباحثين؛ وهو يقوم الآن بوضع خطة للتوثيق. وقد تمكنت المكتبة الجامعية في السنتين الماضيتين من تدعيم معهد دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية بعدد كبير من الوثائق الجديدة وبخاصة اللغة العربية. كما أن لها علاقة جيدة مع كل الجامعات العربية وبخاصة جامعة الكويت ومكتب الدراسات العربية وتتبادل معهما الكتب والرسائل الجامعية.

الدّار البيضاء

أكبر مُدن المغرب؛ ويُدلّلونها فيُسميها المغاربة بكازا؛ كما يحلو لزوّارها من خارج المغرب إطلاق نفس الاسم عليها.

و"كازا" هي إحدى عرائس المُحيط الأطلسي؛ وتبعد عن أوروبّا أقل من ساعتين. وتُعتبر في الوقت نفسه بوابة الشّمال أيضاً. فهي العاصمة التّجارية للمملكة المغربية حيث تضمّ المدينة حوالي ٦٠ % من الشّركات العاملة هناك. إنّها الدار البيضاء؛ هذه المدينة المغربيّة الشّهيرة والتي لها موقع خاص في قلب كُل مَن زارها؛ علماً بأنّها تحتلّ كذلك تلك المكانة الخاصّة في قلوب أبناء المغرب أنفسهم.



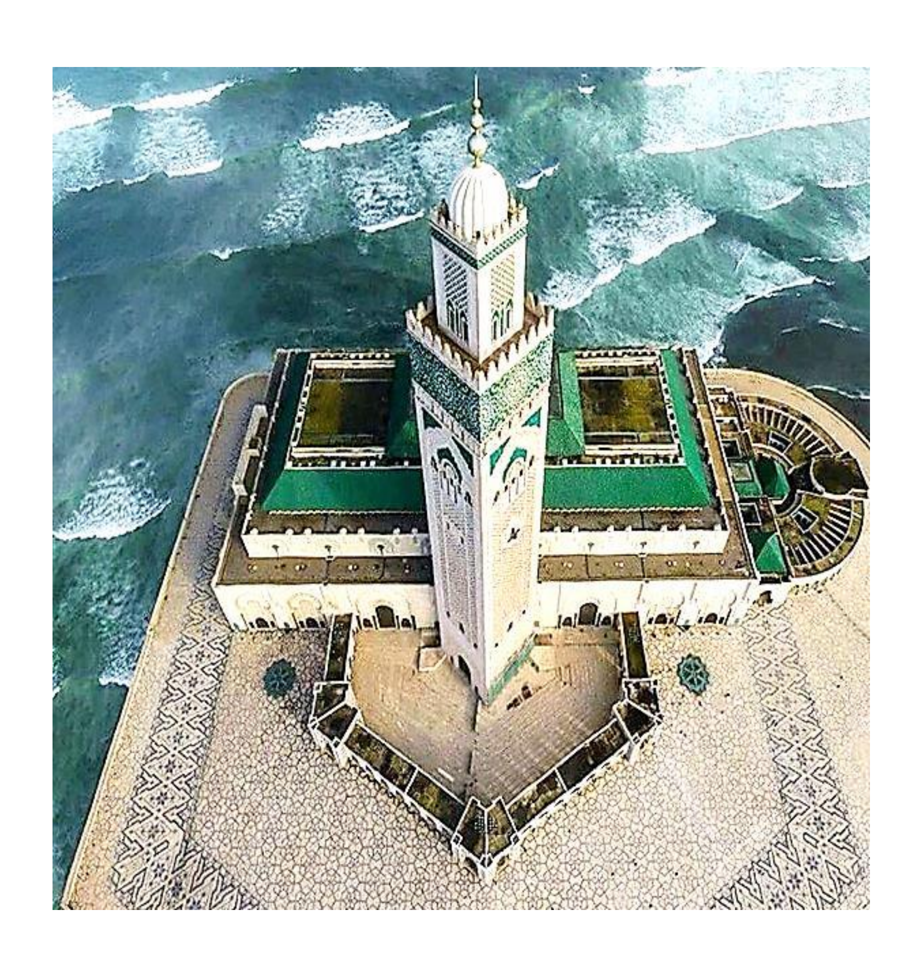
تقع الدار البيضاء؛ المعروفة في جميع أنحاء العالم باسم "كازابلانكا"؛ على سواحل شمال إفريقيا المُطلّة على المُحيط الأطلسي. وهي تُعدّ أكبر مُدن المغرب بلا مُنازع؛ وتحفل المدينة بالكثير من فرص الترفيه والرّياضة والاستجمام

والتّسوق والتجوال وتناول أشهى الأطعمة.

على الرّغم من أنّ العربية هي اللّغة الرّسمية؛ إلاّ أنّ الجميع وفي كل مكانٍ تقريباً؛ يتحدّثون الفرنسية أيضاً؛ بينما يتحدّث العاملون في الفنادق والمتاجر والشّركات اللّغات الإنجليزية والأسبانية أيضاً.

الدار البيضاء قد تبدو نقطة ليست دالة بوضوح على النموذج المغربي؛ ولكن هذا للوهلة الأولى فقط؛ إنها مدينة كبيرة وغضة في أن تنامت مائة مرة أكثر من حجمها الذي بدأت به عام ١٩٠٠م؛ وتكاثر سكانها من عشرين ألفا إلى أكثر من ثلاثة ملايين؛ وتُوحي للوهلة الأولى بنمط حاضرة عصري من حواضر البحر المتوسط. ومدينة "تجارة عالمية" بطرقها الواسعة؛ وأبراجها السكنية؛ وفنادقها الفاخرة؛ وأحيائها الشعبية عند الأطراف.

وبقليل من التوغل في قلب الدار البيضاء سواء باتجاه المحيط أو العكس؛ يكشف عن بعض من خصوصية ألوان المغرب وعطورها ورفيف الروح فيها؛ ولعل مسجد الحسن الثاني الكبير الأعجوبة الإسلامية العصرية المطلة على مياه الأطلسي؛ ولعله يكون بداية لمشهد مغربي ذي خصوصية وانفراد. وأرى أنه أبعد من زمن افتتاحه بكثير؛ صحيح أنه افتتح في أغسطس ١٩٩٣ بعد ست سنوات من التشييد؛ واستهلك ٥٠ مليون ساعة عمل؛ وجهود ٢٥٠٠٠ فنان (ولا أقول عاملاً)؛ لكن هذا "القلب الرمزي" كما وصفه أحد الكتاب الغربيين فأحسن الوصف يكتنز في رحابه وبين حناياه لمحات معتقة من روح المغربي الفنان المُؤمن؛ والمنفتح. كما أن الصروح العملاقة البديعة من هذا النوع هي حالة من تجلي اللحظة التاريخية حتى لو كان مولد فكرتها في عقل ملك.



ولعل البُرهان على ذلك ما تُشاهده في كثير من البيوت والمحال والحوانيت من احتفاء فخور بامتلاك إيصال للتبرع مُشاركة في بناء هذا المسجد الشامخ. فالإيصال تراه كثيراً داخل إطار مُعلق على الحائط بشكل يوحي بالزهو والتشريف؛ إنه قلب رمزي حقاً؛ ومَن ينظر مِن مكان مرتفع في نهاية الدار البيضاء فسوف يرى كيف أن هذا الصرح منفرد قد طبع المدينة كُلها بطابعه. وقد يبدوالمشهد الرحيب وكأن الدار البيضاء وهي بيضاء حقاً سفينة عريضة تشق زرقة المحيط الأطلسي اللامُتناهية الأفق بمقدمها الرصين المطمئن الذي تشكله بناية مسجد الحسن الثاني الشهباء المُتميزة؛ والمُكللة بالقرميد الأخضر؛

فيما المئذنة الشاهقة الموشاة بفيروزية الزخارف تعلو في السماء كأنه صار من صواري الروح المسلم ينشر شراعاً شفيفاً يمتلئ بهواء المُحيط العفي الذي لا يبين؛ لتثبت السفينة في مرساها المغربي وتتكسر عند أقدامها أمواج المحيط إن عنفت أو طغت. فكأن هذا الصرح رمز لمسعى التوازن المغربي على مستوى الشكل ينم عن حرص على هذا المسعى في الجوهر.

وقُرب الميناء بالمدينة القديمة التي تتهيأ للتبدل حتى يمر الطريق الكبير الجديد إلى مسجد الحسن الثاني؛ فتتذكر أن البرتغاليين أقاموا في هذا المكان لأول مرة منذ خمسة قرون؛ وكعادتهم التي جعلت البعض يسميهم "براغيث البحر" لم يمكثوا في المكان؛ لكنهم عادوا إليه بعد قرن وأسموه "كازابلانكا"؛ أي " البيت الأبيض" أو الدار البيضاء؛ وكان مقامهم ينهض على مرتفع يشرف على خليج صغير دمره زلزال لشبونه عام ١٧٥٥م. ثُم عاد بعد ذلك التُجار المغاربة.

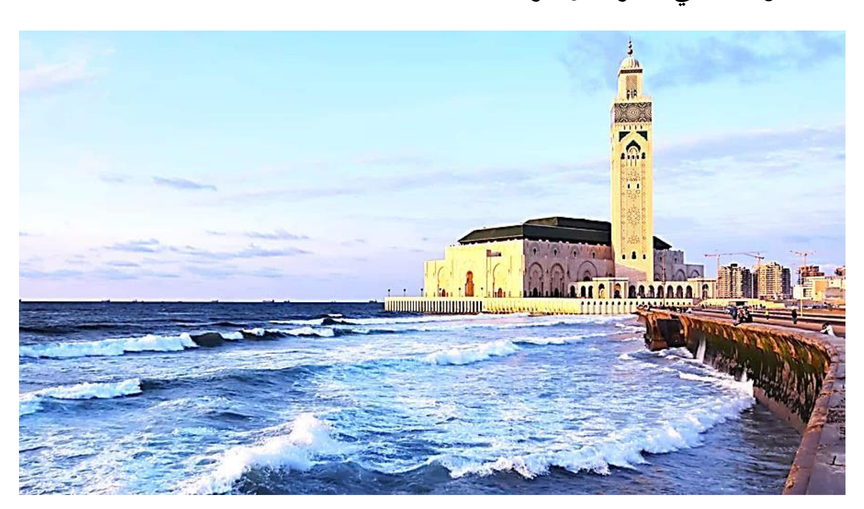
الزمن المغربي يتجلى أكثر ما يتجلى في الدار البيضاء بمنطقة "الحبوس". وهي نموذج مصغر لمدينة مراكشية شكلاً وموضوعاً؛ وقد بدأ تبلورها في الثلاثينيات كمقام لأبناء البلد في زمن عزَّت فيه البيوت وقت الهيمنة الاستعمارية الفرنسية. والآن تبدو الحبوس قطعة فنية معتقة من ذلك الزمن الحي والحيوي. حوانيت بائعي الجلايات؛ والطرابيش؛ والعبايات المغربية على أنواعها؛ والخشبيات؛ والنحاسيات؛ والزيتون الذي يستقل بسوق خاص تحتشد فيه عشرات الأنواع التي يصعب على غير المغربي المخضرم أن يُميز بينها.

وتتجلى الحديقة المورقة وسط الميدان الصغير الجميل؛ والأبنية الخفيضة المُتكاتفة في تلاحم الأزقة؛ والحمامات؛ وأبواب المدينة؛ وبناية المحكمة الشرعية بسقوفها القرميدية؛ وأبراجها العديدة؛ ثُم امتداد الدروب حتى حارة النخيل

الباسق؛ وبوابة القصر الملكي.

تحفل مدينة "الدار البيضاء" العاصمة الاقتصادية للمغرب؛ بالحركة والحيوية والحدائق العامة والنّوافير الجميلة والمباني التقليدية والحديثة؛ وهي مدينةٌ بديعة تجتمع فيها الثّقافة والتاريخ والهندسة المعمارية ضمن أسلوبٍ فريدٍ. ويُهيمن على المدينة مسجد الحسن الثاني؛ بينما يتميّز حيّ الحبوس في المدينة القديمة بساحاته المُظلّلة وأزقّته الضيقة وأسواقه الشّعبية التي تعرض الهدايا التذكارية والمُنتجات الحرفية عالية الجودة.

تقع البلدة العربية القديمة في المنطقة الداخلية مُقابلة الميناء؛ وهي عبارة عن متاهةٍ من الأزقّة الضيقة والمنازل المصبوغة باللّون الأبيض. وتُعتبر فردوساً للباحثين عن المُنتجات الفنّية والحرفية المغربية الأصيلة. وأروع ما يُمكن زيارته هي شواطئ الدار البيضاء الجميلة؛ حيث يُمكن التّوجه إلى الشرق من مركز المدينة حيث الكورنيش؛ وهي منطقة راقية تنتشر فيها الفنادق والمطاعم الفخمة؛ ويستطيع الذّواقة الاستمتاع في هذه المنطقة بأشهى الأطعمة التي تمتزج فيها فنون الطهي المغربية والفرنسية.



أهمّ ما يُميّز مدنية كازابلانكا عن بقيّة المدن الأخرى أنّها لا تتمتّع بخليجٍ طبيعيٍ يصلح لإقامة بناء؛ ولهذا السّبب تمّ بناء كاسر أمواج بطول ثلاثة كيلومتراتٍ لإقامة بناء "مولاي يوسف" الذي يُعدّ أكبر ميناء في المغرب؛ والرّابع على مستوى قارّة إفريقيا. وهُناك كذلك المدينة القديمة؛ وهي المدينة العربيّة الأصيلة التي تقع داخل سورٍ قديمٍ؛ وتضمّ طُرقاتٍ ضيّقةٍ وبيوتاً من الفخّار الأبيض أو الحجر ومحلاّت كثيرة وبضائع متنوعة. وفي الجانب الآخر ستجد ميناء الدار البيضاء؛ وهو الأكثر حركة في القارة الإفريقية؛ ويعجّ بكلّ أنواع السّفن؛ من ناقلات النّفط والسّفن السياحية. وتكثر عند الميناء أيضاً مراكب صيد السّمك والمراكب الخاصة.

بالإضافة إلى ميدان محمّد الخامس؛ وهو عبارة عن ساحةٍ في قلب المدينة؛ تُزيّن الدّار البيضاء مبانٍ على الطّراز المعماري الفرنسي وتضمّ مكاتب حكوميةً وعامةً وتتوسّطها نافورة ماء تنثر المياه الملونة في كل صوبٍ على أنغام موسيقى ساحرة ووسط أسراب من الحمام الأبيض.

أمّا المدينة الجديدة فتقع في جنوب الدار البيضاء وتعرَف باسم "حيّ الحبوس" أو "منطقة القدّيسين". وقد بناها الفرنسيون في محاولةٍ لحلّ مشاكل السّكن في الثّلاثينات. ومع اختلاط الهندسة المغربية التقليديّة بالتخطيط الحديث؛ ازدادت المدينة جمالاً بازدياد الأشكال والألوان والأنوار.

ومدن السواحل لا تنتمي إلا إلى البحر العميق الذي يلطم شواطئها ويوصلها مع غيرها من المدن الشبيهة؛ إنها مدن الغرباء والعابرين الذين تعودوا أن يأخذوا جزءاً من ثقافة كل مدينة يهبطون إليها؛ ويتركون جزءاً من أرواحهم القلقة التي لا تعرف الاستقرار؛ لذا فإن الدار البيضاء تنتمي إلى الإسكندرية وبيروت ومرسيليا وغيرها من الموانئ أكثر ما تنتمي إلى فاس ومراكش؛ ويبدو

أحياناً أن إطلاق الاسم الأجنبي عليها (كازابلانكا) هو الأليق بها؛ فهي خالية من الأسوار التي تحيط بها مثل العديد من المدن المغربية؛ وخالية من آثار الحصون وبقايا معارك القرون الوسطي وأبهة السلاطين والولاة؛ إنها تحمل كل معالم التاريخ المعاصر؛ وخاصة ملامح ذلك الصراع الذي لم يهدأ بين المغرب وجيرانه الأوربيين الذين يواجهونه على الساحل الآخر من القارة؛ ولا تعاني المدينة فقط من هذه الازدواجية في الاسم؛ ولكن كل وجوه الحياة في الدار البيضاء هي مزدوجة بصورة أو بأخرى؛ فالشوارع تحمل أكثر من اسم؛ أسماء فرنسية لم تحل بدلاً منها أسماء عربية؛ ولكن تجاورت وتعايشت معها؛ كذلك تداخلت اللغات؛ ولذلك فاللهجة العامية أو المحكية المغربية واحدة من أصعب اللهجات العربية لأن الكثير من مُفرداتها مُستمد من الفرنسية بعد أن جرت (مغربتها)؛ وإذا تتبعت عدة حوارات طويلة منها فلن تفهم منها شيئاً؛ كذلك تختلط الثياب؛ ما بين الثياب الأوربية التي تتبع آخر الموضات والتنانير القصيرة جداً للنساء والثياب التقليدية التي تتكون من (الجلابية) والمركوب المغربي الشهير.

فهي تنتمي للمغرب وللعالم في نفس الوقت؛ فهي أحدث مدن المغرب وقلبها التجاري وأكثرها ازدحاماً بالسكان (حوالي ١٠ ملايين نسمة) وتمر بها ٧٠ % من تجارة المغرب الخارجية؛ يساهم في ذلك قربها من المناطق الزراعية ومناجم الفوسفات الكبرى في (خريبكة)؛ كما أنها تحتوي على المراكز الصناعية المُهمة مثل صناعة تجميع السيارات وتكرير السكر والنسيج وتعليب الأسماك والأسمنت والمواد الكيماوية والعديد من الصناعات؛ وهي أيضا المركز المصرفي؛ وملتقى كل طرق المواصلات والسكك الحديدية؛ وبها ثلاث مؤسسات للبحث العلمي وجامعة الحسن الثاني والمكتبة الحسنية للحرف العامة والكلية الوطنية

للموسيقى؛ أي أن فيها الشيء الذي لا يستهان به من جماع الروح المغربية.

الشوارع الواسعة تحتضن العمائر البيضاء التي تعود في معمارها إلى الثلاثينيات من القرن العشرين؛ فهي خليط مُدهش من العمارة الفرنسية والمغربية؛ ولكن الأكثر دهشة هو أهل المدينة بطبيعة الحال في ذلك الإقبال والافتتان بمدينتهم؛ بذلك الاختلاط الهائل بين الرجال والنساء؛ فإنهم من أكثر سكان المدن العربية عشقاً للحياة؛ والسهر على حافة المُحيط يمتد إلى ساعات مُتأخرة من الليل.

إنَّ التاريخ يعود بعُمر المدينة إلى عصور أقدم من ذلك بكثير من تلك الصورة المُعاصرة؛ فالاستقرار في هذه المنطقة قد بدأ قبل الفتح الإسلامي؛ وخاصة في (الأنفا) التي كانت عاصمة لحُكم البربر وخاصة قبيلة (البرجواتة) وموقع هذه المدينة الآن هو أحد الأحياء الراقية؛ وقد فشل المرابطون في ضمها إلى دائرة مُلكهم وظلت مُحافظة على استقلالها حتى استولى عليها الموحدون لفترات قصيرة؛ ورغم ذلك فالمنطقة ظلت مُحافظة على نوع من الاستقلالية الذاتية حتى أنها أقامت علاقات تجارية مباشرة مع كُلٍ من إنجلترا والبُرتغال.

في مُنتصف القرن الخامس عشر أصبح الصراع ضاريا بين بحارة (الأنفا) والأسطول البرتغالي الذي كان يسعى للاستيلاء على ذهب إفريقيا؛ وقد قام أسطول بُرتغالي مكون من ٥٠ سفينة ويحمل ١٠ آلاف جندي بالإبحار من (لشبونة) إلى الساحل المغربي وسلط مدافعه على (الأنفا) ولم يتركها إلا خراباً؛ وقد ظل الأسطول البُرتغالي لها بالمرصاد؛ ما إن تنهض وتستعيد قدراتها التجارية والعسكرية حتى يعاود الهجوم عليها؛ وفي النهاية عام ١٥٧٥م وصل الأسطول البُرتغالي ليبقى ويُقيم تحصيناته التي منها مدينة (كازابلانكا) فلقد بقي البُرتغاليون بها حتى عام ١٥٧٥م ولم يتركوها حتى حطمها زلزال مُدمر؛ وهو نفس الزلزال

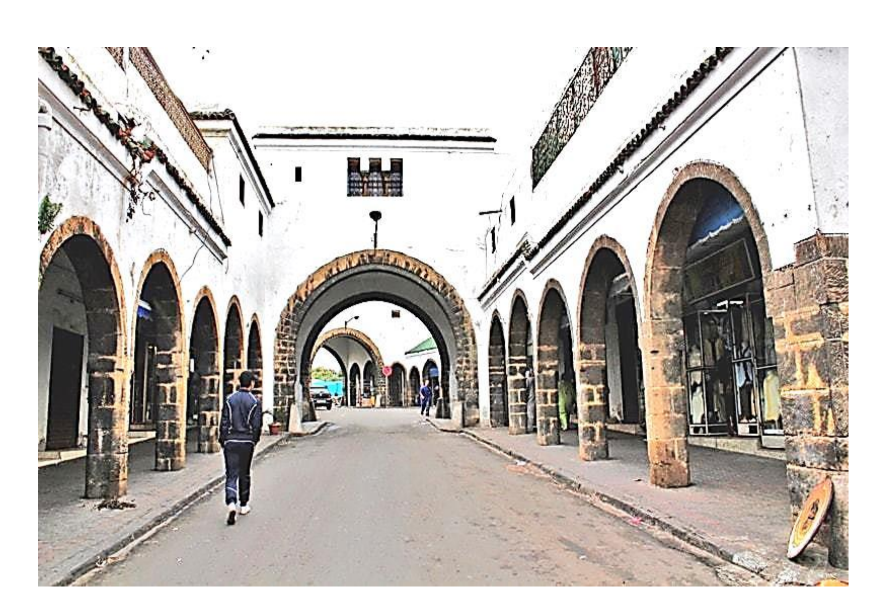
الذي حطم مدينة لشبونة؛ فأمر السلطان مُحَمَّد بن عبد الله بإعادة بنائها وتحصينها.

في هذا الوقت بدأت أوربا نهضتها الصناعية وازدادت شراهتها للمواد الخام وللأسواق؛ وكانت (كازا) هي موطئ قدمها إلى إفريقيا وبدأت تفتح وكالاتها وقنصلياتها في مُواجهة السلاطين الضعاف الذين لم يستطيعوا فرض سيطرتهم على البلاد وحمايتها من التدخل الأجنبي؛ ففرض القناصلة الأوربيون سلطانهم وتلاعبوا بالسلطان وأعوانه مما أثار حنق المغاربة ودفعهم إلى التمرد والثورة؛ وقد تطور الأمر إلى حده المأساوي عندما ثارت مُشاجرة بين بعض العُمال الأوربيين والسكان المحليين؛ وقد بدا الأمر عندما كان هؤلاء العُمال يمدون خطاً للسكة الحديد من الميناء وكان من المفروض أن يمر هذا الخط وسط مقابر المُسلمين من أهل المدينة؛ وأثارت هذه الحادثة كُل مشاعر الحنق التي كان الأهالي يشعرون بها؛ فلم يعد كافياً ما يشعر به أهالي المدينة من إهانات يومية بل وصل الأمر إلى إهانة موتاهم؛ فوقعت الاضطرابات؛ وتذكر المصادر الغربية بأسى سقوط ثمانية قتلى من الأوربيين ولا تعتني كثيراً بذكر من قُتل من المغاربة؛ ولكنها كانت حجة مناسبة تنتظرها فرنسا مُنذ زمن كي توجه أساطيلها إلى المدينة التعيسة وتبدأ في قصفها بعنف بالغ ثم لتعلن فرضها الحماية على المغرب كُله في عام ١٩٠٧م.

ويصف والتر هاريس الذي كان يعمل مُراسلاً لجريدة (التايمز) اللندنية في الدار البيضاء وقد كان شاهداً حياً على جريمة القصف فيقول : ظهرت السُفن الحربية الفرنسية في الأفق؛ وفي الوقت الذي كانت تهبط فيه وحدات من الجيش لحماية الأوربيين؛ بدأت السُفن في قصف الأحياء الوطنية؛ وهكذا أصبح المغاربة بين نارين؛ نار المدافع ونار الجنود في الداخل؛ فلقد أصبح المشهد مليئاً

بالرعب وارتكبت في (كازابلانكا) كُل أنواع الجرائم؛ فلقد شاهدت بعد أيام من القصف العديد من جُثث الناس والجياد مازالت مُلقاة في الشوارع؛ بينما تناثرت محتويات البيوت المُدمرة يخرج منها الجرحى زاحفين على بطونهم طالبين المعونة دون جدوى؛ وفي وسط المدينة لم أقابل غير نساء يصرخن في جنون لفقدهن أطفالهن.

هكذا كانت بداية الاحتلال الفرنسي للمغرب العربي التي استمرت حتى عام ١٩٥٦م حين وقع الملك المغربي مُحَمَّد الخامس اتفاقية إلغاء الحماية والاعتراف باستقلال المغرب؛ وفي الحق أن هذه السنوات الستين لم تكن سهلة؛ لقد كانت مليئة بالتمردات والثورات ودفع شهداء المغرب ثمناً غالياً لهذا الاستقلال.



وفي حي (الأحباس) توجد نفحة من نفحات الأندلس المعمارية؛ فالأحباس تعني الأوقاف وليس المساجين؛ والحي ليس قديماً كما يُوحي تصميمه

المعماري ولكن تم بناؤه بعد دمار المدينة من جراء القصف الفرنسي؛ فلقد قامت سُلطات الاحتلال ببناء هذا الحي وفق التقاليد الأندلسية والمغربية القديمة؛ فهناك بوابة مقوسة تدخل منها إلى الساحة الرئيسية؛ فتجد نفسك فجأة وقد خرجت من أسر المباني العصرية وأحاطت بك المباني ذات القباب البيضاء والممرات المسقوفة والأبهاء المتصلة المزينة بالمقرنصات والآيات القرآنية؛ لقد تحول هذا المكان إلى موطن للحرف الشعبية والمكتبات المتنوعة؛ فقد كان هذا المكان مدهشا؛ لقد كشف عن الوجه الثقافي الغني للمدينة؛ مئات من الكتب المؤلفة والمترجمة في كل فنون المعرفة؛ ومعظمها كتب جادة لا يغلب عليها كتب الطبخ والعفاريت كما في العديد من المكتبات؛ فالشعب المغربي قارئ جيد لولا أن قدرته الشرائية ضعيفة وأثمان الكتب أصبحت باهظة الثمن.

طنجة (العاصمة الصيفية للمغرب)

طنجة مدينة بديعة الطبيعة والروح؛ وكانت تُسمي قديماً بطنجة البيضاء؛ وسُميت هكذا يوم كانت مدينة دولية؛ بل أكثر مُدن العالم دولية فكان كثير من نجوم الفن يأتون للزيارة فيمكثون بها فترات طويلة؛ ولقد زال عنها طابع المدينة الدولية الواقعة تحت نفوذ الأعلام الغربية العديدة لكن قدرتها على الإغواء لم تزل؛ إنها تجتذب البشر من كُل بقاع الدنيا؛ وتجتذب المغاربة من كُل حدبٍ وصوب.

فطنجة حمامة بيضاء حطت على كتف إفريقيا بتوازن مرهف. منذ فجر وجودها في القرن الرابع قبل الميلاد وهي تشاهد المتصارعين من أجل الفوز بالنفوذ عليها سواء كان القرطاجيون؛ أو الرومان؛ أو الفينيقيون؛ أو العرب؛ أو البُرتغاليون؛ أو الإنجليز؛ لكنها ظلت تمتلك نفوذها الخاص على كُل من أتوا إليها. وطنجة هي مدينة ساحرة؛ فهي السحر الذي أغوى يوليسيس؛ والسحر لا يمكن تفسيره فإذا فسرناه لم يعد سحراً.

وهذه المدينة يصب فيها مُعظم التيارات بصفتها جسراً؛ هذا بالإضافة لكونها ميناء؛ فهي بحق مدينة أسطورية؛ وذلك بسبب قُدرتها على الإيحاء بالخيال الذي يُحلق عالياً بارتفاع أسطورة؛ فهي أقرب بوابات إفريقيا إلي أوربا؛ وهي زاوية الإطلال على لقاء البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي؛ وهي نموذج لحوار البر والبحر؛ وهو حوار لم يكن دائماً هادئاً؛ بل كثيراً ما كان دامياً؛ وقليلاً ما كان عادلاً؛ ولكنها لطبيعة قوية فيها؛ استطاعت طنجة أن تُذيب في نسيجها كُل من هبط على برها وإلا لفظته.



تقع مدينة طنجة في مواجهة الساحل الجنوبي لأسبانيا؛ وتسمى بوابة المغرب العربي وقد اختارها الملك الحسن الثاني لتكون العاصمة الصيفية للدولة؛ ووفقاً للأساطير اليونانية تأسست طنجة على يد العملاق أنتيوس في عام ٥٠٠ قبل الميلاد؛ وفي القرن الخامس الميلادي احتلت قبائل الفاندال مدينة طنجة ومنها استطاعوا العبور إلى شمال أفريقيا؛ وبعد مرور قرن من الزمان وقعت طنجة تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية؛ ثُم طواها النسيان تدريجياً حتى استولى عليها موسى بن نُصير في السنوات الأولى من القرن الثامن الميلادي. وبحلول القرن الرابع عشر أصبحت طنجة من أهم الموانئ على البحر المتوسط حيث كانت تتردد عليها سُفن التجارة الأوروبية المُحملة بالأقمشة والتوابل والمعادن وطيور الصيد؛ وكانت تستبدلها بالجلود والصوف والسجاد والحبوب والسُكر؛ وقد تنقلت مدينة طنجة فيما يقرب من ثلاثة قرون؛ ما بين الأسبان؛ والبُرتغال؛ وأخيراً الإنجليز.

وبدأت مدينة طنجة في الانتعاش منذ مُنتصف القرن التاسع عشر عندما تنافست الحكومات الاستعمارية الأوروبية في بسط نفوذها على المغرب العربي؛

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية كانت طنجة تحت السيطرة الكاملة لأسبانيا؛ ثُم عادت لتخضع للحكم الدولي مرة أخرى في عام ألفٍ وتسعمائة وخمسة وأربعين ميلادية. ولذا تأثرت طنجة كثيراً بالحياة الأوروبية وهي ما زالت تحتفظ بمظاهر تلك المؤثرات العديدة؛ وبحصول طنجة على الاستقلال عام ألفٍ وتسعمائة وستة وخمسين ميلادية أصبحت جُزءاً من المملكة المغربية؛ ومن أكثر مناطق الجذب السياحي فيها. وأهم ما يُميزها تلك التلال الخضراء المكسوة بغابات الصنوبر ومنار رأس سبارطل أقصى نقاط الشمال الغربي للقارة الإفريقية؛ حيث الجبل بصخوره البُنية الحمراء التي تنبثق من جنباتها الخضرة؛ و"الشرف" المطل على الخليج؛ وقوس البيوت على التلال يحدق بدائرة الماء؛ وشارع أسبانيا بنخيله الباسق؛ والسوق الهابط تحت شُرفة المدافع المُطلة على الماء؛ والهبوط والصعود والالتفاف في الدروب النحيلة بين بيوت حي القصبة؛ وبوابة البحر الهائلة القديمة؛ والرحبة المطلة على الميناء؛ وحيث زرقة المياه واحدة عائدة بالمغاربة من أوربا القريبة وأخرى ذاهبة إليها؛ وبهجة الإطلال على تلال مالاباطا وبيوتها البيضاء الرانية إلى الماء؛ ومياهها الهادئة فيروزية اللون؛ وكذلك البيوت في حُضن الجبال الخُضر.

وتتميز طنجة المغربية بكونها نقطة التقاء بين البحر الأبيض المتوسط من جهة؛ وبين القارة الأوروبية والقارة الإفريقية من جهة أخرى. هذه الوضعية الإستراتيجية الهامة مكّنتها من الاستئثار باهتمام الإنسان؛ وجعلت منها محطة اتصال وعبور وتبادل الحضارات مُنذ آلاف السنين؛ مما تشهد عليه المواقع والبقايا الأثرية الموجودة بطنجة ومنطقتها؛ والمنتمية إلى حضارات ما قبل التاريخ وحضارات الفينيقيين والبونيقيين التي ربطت اسم طنجة في أساطيرها العريقة باسم "تينجيس" زوجة "آنتي" ابن "بوسايدون" إله البحر؛ و"غايا" التي ترمز

للأرض؛ ثُم الفترة الرومانية التي خلالها أصبحت طنجة تتمتع بحق المواطنة الرومانية؛ ومن المُحتمل جداً أن تكون روما قد جعلت من طنجة عاصمة لموريتانيا الطنجية؛ المقاطعة الغربية لروما بشمال إفريقيا.

استعادت طنجة حيويتها مع انطلاق الفتوحات الإسلامية لغزو الأندلس على يد طارق بن زياد عام ٧١١م؛ ثُم من طرف المرابطين والموحّدين الذين جعلوا منها معقلاً لتنظيم جيوشهم وحملاتهم. بعد ذلك تتالت على طنجة فترات الاحتلال الأسباني والبرتغالي والإنجليزي منذ ١٤٧١م إلى ١٦٨٤م؛ والتي تركت بصماتها حاضرة بالمدينة العتيقة؛ كالأسوار والأبراج والكنائس.

لكن تبقى أهم مرحلة ثقافية وعمرانية مميزة في تاريخ طنجة الوسيط والحديث؛ هي فترة السلاطين العلويين؛ وبخاصة المولى إسماعيل؛ وسيدي مُحَمَّد بن عبد الله؛ فبعد استرجاعها من يد الاحتلال الإنجليزي عام ١٦٨٤م في عهد المولى إسماعيل؛ استعادت طنجة دورها العسكري والدبلوماسي والتجاري كبوابة على دول البحر الأبيض المتوسط؛ و بالتالي عرفت تدفقاً عمرانياً ضخماً؛ فشيدت الأسوار والحصون والأبواب. وازدهرت الحياة الدينية والاجتماعية؛ فبنيت المساجد والقصور والحمامات والأسواق؛ كما بُنيت الكنائس والقنصليات والمنازل الكبيرة الخاصة بالمُقيمين الأجانب؛ حتى أصبحت طنجة عاصمة دبلوماسية بعشر قنصليات عام ١٨٣٠م؛ ومدينة دولية يتوافد عليها التُجار والمُغامرون من كُل الأنحاء نتيجة الامتيازات الضريبية التي كانت تتمتع بها.

طنجة لا تخلوا من الأساطير؛ فهي مُلتقي الشرق والغرب؛ كما يجيء ليلها فلا تنام؛ حيث يظهر ذلك عندما تنظر إلى البحر المتوسط حيث يلوح جبل طارق من ربوة منار مالاباطا على بُعد عشرة كيلومترات شرقاً؛ وعلى بُعد أثنى

عشر كيلو متراً إلى الغرب فيلتقي المتوسط بالمُحيط عند رأس سبارطل؛ وتلتقي الصخور بالأساطير على مقربة من رأس سبارطل في مغارة هرقل؛ وهو الكهف العميق؛ ونافذة تحت الجبل تطل على مياه الأطلسي وترسم وجه رجل صارخ؛ وفي السقف دوائر غائرة في قبة الحجر. إنها الرحى التي قُدت من بدن الكهف لتُعد طحين الناس؛ فالأسطورة القديمة تختلط بخبز البشر في هذه البُقعة؛ والأسطورة تقول إن المكان كان مُمتداً يصل إفريقيا بأوربا ويفصل بحر الروم (البحر المتوسط) عن بحر الظُلمات (المُحيط الأطلسي)؛ ولما كان لأطلس ابن نبتون (إله البحر) ثلاث بنات يعشن في بستان يطرح تفاحاً ذهبياً ويحرسهن وحش.

قاتله هرقل (ابن جوبيتر) وهزمه؛ ولكن هرقل في غضبة من غضبات الصراع ضرب الجبل فانشق لتختلط مياه المتوسط الزرقاء بمياه الأطلسي الخضراء وتنفصل أوربا عن إفريقيا؛ ثُم يزوج هرقل ابنه سوفاكيس لإحدى بنات نبتون ليُثمر زواجهما بنتاً جميلة أسموها طانجيس؛ ومنها كانت طنجة.

وتمتد أسوار المدينة العتيقة على طول ٢٢٠٠م؛ ومسيّجة بأحياء خمسة: القصبة؛ دار البارود؛ جنان قبطان؛ واد أهردان؛ وبني إيدر؛ وبُنيت هذه الأسوار على عِدة مراحل والتي من المُحتمل جداً أنها بُنيت فوق أسوار المدينة الرومانية "ينجيس"؛ وتُؤرخ الأسوار الحالية بالفترة البُرتغالية (١٤٧١ ـ ١٦٦١م)؛ إلا أنها عرفت أشغال ترميم وإعادة بناء وتحصين خلال الفترة الإنجليزية (١٦٦١ ـ ١٦٨٤م)؛ ثُم فترة السلاطين العلويين الذين أضافوا تحصينات عديدة في القرن الثامن عشر؛ حيث دعّموا الأسوار بمجموعة من الأبراج : برج النعام؛ برج عامر؛ برج دار الدباغ وبرج السلام. كما فتحوا فيها ١٣ باباً؛ ومنها : باب القصبة؛ باب مرشان؛ باب حاحا؛ باب البحر؛ باب

العسّة؛ باب الراحة وباب المرسى.



تقع قصبة غيلان على الضفة اليُمنى لوادي الحلق على الطريق المؤدية إلى مالاباطا شرق المدينة العتيقة؛ تم بناؤها حوالى ١٦٦٤م؛ ويرتبط اسمها باسم غيلان قائد حركة الجهاد الإسلامي؛ ضد الاستعمار الإنكليزي الذي احتل مدينة طنجة ما بين ١٦٦٢م و١٦٨٤م.

وللقلعة جهاز دفاعي مُحكم؛ وهو عبارة عن سورين رباعيّي الأضلاع مُحصّنين ببُرجين نصف دائريين وبارزين؛ وتتوسطهما أبواب عمرانية ضخمة؛ ويحتل قصر القصبة أو دار المخزن موقعاً استراتيجياً في الجهة الشرقية من القصبة؛ ومن المُرجح جداً أنه استعمل خلال فترات أخرى من التاريخ القديم.

بني قصر القصبة أو قصر السُلطان مولاي إسماعيل؛ من طرف الباشا علي أحمد الريفي على أنقاض "القلعة العليا" الإنجليزية؛ وهو يحتوي على مجموعة من المرافق الأساسية كالدار الكبيرة؛ وبيت المال؛ والجامع؛ والمشور؛ والسجون؛ ودار الماعز؛ والرياض. وفي عام ١٩٣٨م تحوّل القصر لمُتحف لطنجة ومنطقتها.

يقوم الجامع الكبير على مقربة من سوق الداخل. وكان قد تم تحويله إلى كنيسة خلال فترة الاستعمار البُرتغالي وأُعيد جامعاً بعد استرجاعه في عام ١٦٨٤م وعرف عدة أعمال ترميم وتوسيع خلال الفترة العلوية. وتتميز هذه المعلمة ببهائها وغنى زخارفها؛ حيث استعملت فيها كُل فنون الزخرفة؛ من فسيفساء ونقش ونحت وكتابة على الخشب والجبس؛ ويحتوي الجامع الكبير على بيت للصلاة مكوّن من ثلاثة أروقة متوازية مع حائط القبلة وصحن مُحاط من كُل جانب برواقين؛ وبذلك يُعتبر نموذجاً للمساجد العلوية المعروفة ببساطة هندستها.

يقع جامع الجديدة الذي يُعرف كذلك باسم جامع عيساوة وأحياناً بمسجد النخيل؛ أمام الزاوية العيساوية على زنقة الشرفاء؛ ويتميز بمنارته ذات الزخارف الفسيفسائية.

يقوم جامع القصبة بزنقة بن عبو؛ وبُني على يد الباشا علي أحمد الريفي؛ كما ويُعتبر من مُلحقات قصر القصبة؛ أو ما يُسمى بدار المخزن؛ أما الكنيسة الأسبانية فبعد أن قضت فترة في ملكية أسرتين يهوديتين؛ اشتراها السلطان مُحَمَّد بن عبد الله حوالي ١٧٦٠م؛ وتم إهداؤها للحكومة السويدية لتؤسس فيها أول قنصلية لها عام ١٧٨٨م. وفي ١٨٧١م استغلها الحاكم الأسباني ليجعل منها إقامة للبعثة الكاثوليكية؛ فبنى فيها كنيسة كبيرة سماها "لابوريشيما" على السيدة مريم؛ أو السيد المسيح. لكن منذ حوالى ثلاثين سنة؛ ولأن المسيحيين لم يعودوا يترددون على الكنيسة بكثرة؛ أصبحت المُؤسسة تعنى بأنشطة اجتماعية مُختلفة؛ أما حالياً فلم يبق من البناية سوى الجُزء العلوي من السُلم الرئيسي.

مقديشيو

مدينة مقديشيو هي عاصمة دولة الومال؛ وتبلغ مساحة الصومال حوالي ٦٣٧٦٥٧ كم٢؛ بطول الشاطىء ٣٠٢٦ كم؛ وتتميز تضاريسها بأن أخفض نقطة هي المُحيط الهندي ٠م؛ وأعلى نقطة هي شمبيرس ٢٤١٦ م؛ واللغة الرسمية هي الصومالي؛ وعدد سكانها يقدر بحوالي ٧٢٥٣١٣٧ نسمة؛ وعملتها الشلن؛ وتعتبر الصومال عضو في جامعة الدول العربية.



تقع الصّومال الديمقراطية على ساحل إفريقيا الشّرقي. عاصمتها موقاديشو. يحدّها شمالاً خليج عدن وجيبوتي؛ وأثيوبيا وكينيا غرباً؛ والمحيط الهندي شرقاً وجنوباً. وهي من الدول الأفريقية التي تكثر فيها المجاعات والأمراض والمستنقعات؛ والتي تعيش على القليل من المنح العالمية لها والاهتمام الدولي بالمعيشة هُناك؛ لذا لا يعتبر لها أي مُميزات جُغرافية أو اقتصادية.

وقديماً كانت العلاقة التجارية قائمة مع الفراعنة في العصور القديمة وبالأخص الملكة حتشبسوت؛ حيث عُرفت الصومال بإنتاج نوع مُميز من البخور له رائحة عطرة؛ وثمة بعض الآثار التي تدل على تلك العلاقة؛ مثلما أن

بعض العادات والتقاليد تنطوي على شواهد تدل على ذلك أيضاً.

بعدئذ ظلت المنطقة التي تشمل جميع المناطق الجغرافية في شرق إفريقيا مصدراً للتنافس الاستعماري بين القوى الأساسية (بريطانيا؛ إيطاليا؛ فرنسا) وفي هذا الإطار توزع الصومال بين خمس قوى استعمارية؛ فاحتلت فرنسا عام ١٨٨٤م الجزء الذي شاع بتسميته بالصومال الفرنسي (جمهورية جيبوتي الآن بعد استقلالها عام ١٩٧٧م)؛ وهو يتسم بأهمية بالغة نظراً لمواجهته خليج عدن وباب المندب؛ أما جمهورية أرض الصومال فقد كانت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية تحت زعامة خديوي مصر وعرفت باسمها الراهن؛ وفي عام ١٨٤٨م قضت بريطانيا على الحُكم التُركي المصري؛ وأقامت محمية (صومالي لاند) واستكملت احتلالها تماماً في العام ١٨٨٧م؛ والقسم الثالث الجنوبي احتلته إيطاليا عام ١٨٨٩م وسُمي بذلك؛ أما القسم الرابع المعروف باسم (الأوغادين) فقد احتلته إثيوبيا بدءاً من العام ١٨٨٥ لتحكم قبضتها عليه في العام ١٨٩٧ بموجب اتفاقية الحدود المبرمة بينها وبين بريطانيا؛ والجزء الخامس والأخير هو المتاخم لجمهورية كينيا وسمي بذات الاسم أو (أنفدى)؛ وقد تم تدويله بموجب اتفاقية ١٥ يوليو ١٩٢٤م بين إيطاليا وبريطانيا. وبعد الحرب العالمية الثانية عملت الدول المنتصرة (أمريكا؛ بريطانيا؛ فرنسا؛ الاتحاد السوفييتي) بمُوجب اتفاقية الصلح الموقعة مع إيطاليا في باريس (١٠ / ٢ / ١٩٤٧م) على إرغامها على التنازل عن كُل سند أو حق من مُمتلكاتها في إفريقيا؛ وهي ليبيا وإريتريا والصومال الإيطالي؛ كما نصت الاتفاقية على أن تستمر هذه المُستعمرات تحت الإدارة البريطانية لفترة مُحددة إلى أن يتم تقرير مصيرها؛ وأحيلت القضية للأمم المُتحدة؛ وفي عام ١٩٤٩م قررت الجمعية العامة استقلال ليبيا والصومال مع الإبقاء على حالة إريتريا إلى أن ضمها

الإمبراطور هيلاسلاسي فيدرالياً وبمباركة الأمم المتحدة عام ١٩٥٢م إلى إثيوبيا.

نالت جمهورية أرض الصومال استقلالها في ٢٦ يونيو ١٩٦٠؛ فتقاطرت اعترافات الدول بها إلى أن بلغت نحو ٣٨ دولة من بينها الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن ومصر من الدول العربية والإمبراطورية الإثيوبية من الدول الإفريقية؛ وبعد عدة أيام أي تحديدا في الأول من يوليو من العام نفسه استقل الجزء الجنوبي؛ فقام قادة الشمال وطلبوا الوحدة معهم؛ توخيا لهدف الصومال الكبير الذي يضم أجزاءه الخمسة؛ غير أن الفترة التي حكم فيها سياد بري (١٩٦٩ . ١٩٩١) أذاق فيها أهل أرض الصومال ألوانا من حكم القهر والبطش؛ حيث أباد أكثر من خمسين ألفاً من أبنائها الذين قاوموا حُكمه تحت راية الجبهة الوطنية؛ الأمر الذي دفعهم مرة أخرى إلى إعادة النظر في الوحدة التي كانت قائمة والعمل باتجاه الاستقلال؛ ويعتبر معظم مواطني الجمهورية أن الوضع الحالي ليس استقلالاً عن الجنوب بقدر ما هو إرجاع عقارب الساعة للوراء وتكريس الأصل الذي كان موجوداً قبل أربعة عقود زمنية.

وعندما أعلن الاستقلال في ١٨ مايو ١٩٩١ بدأ المسئولون في الجمهورية بإعادة بناء ما دمرته الحرب وإرساء مؤسسات الدولة بصورة ديمقراطية؛ فتم انتخاب الرئيس عبد الرحمن تور في مؤتمر عقد في مدينة (برعو) حضره الزعماء التقليديون والذي تم فيه اتخاذ قرار الاستقلال؛ وشكلت حكومة انتقالية لمدة سنتين؛ ثم عقد المؤتمر الثاني في مدينة (بورما) في الفترة من يناير وحتى مايو ١٩٩٣ وتم فيه انتخاب الرئيس مُحَمَّد إبراهيم عقال؛ وتشكيل برلمان ثنائي (مجلسا شيوخ ونواب) لمدة ثلاث سنوات؛ ثم عقد المؤتمر الوطني الثالث في العاصمة هرجيسا فتمت المصادقة من المجلسين على تمديد فترة الرئاسة لمدة عام ونصف؛ وكان انعقاده في الفترة من ١٥ أكتوبر ١٩٩٦ وحتى ١٢ مارس

١٩٩٧؛ وأعاد المؤتمر انتخابه لفترة ثانية مدتها ٥ سنوات بأغلبية ٢٢٣ من مجموع ٣١٥ صوتاً.

وقد قامت الحكومة بحل المليشيات القبلية وتم تكوين جيش نظامي قوامه نحو ٢٥ ألف جندي كما يؤكد على ذلك الكولونيل إسماعيل مُحَمَّد عثمان القائد العام للقوات المسلحة والذي سبق أن نال دورات في فترتي السبعينيات والثمانينيات في كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي السابق في عهد الرئيس سياد بري ومن ثم التحق بالجبهة الوطنية لمقاومته؛ أيضاً تم إعادة تكوين جهاز الشرطة بأفرعه المختلفة؛ وأنشئت الوزارات والمؤسسات الحكومية؛ واتبعت الدولة اقتصاد السوق الحر؛ حيث عاد الكثير من أبنائها المغتربين وخاصة الذين كانوا في أمريكا وأوربا ودول الخليج المختلفة وأسسوا شركات خاصة؛ كما أصدرت الجمهورية عملة جديدة هي الشلن الذي يبدأ من فئة الواحد وحتى ٥٠٠؛ وفي هذا الصدد يشير مدير البنك المركزي السيد عبد الرحمن دعالة والذي يتميز بخبرة في هذا المجال حيث تولى إدارة البنك المركزي أيضاً في مقديشو في الجنوب؛ يشير إلى أن البنك يدير الأنشطة المالية والتجارية عبر ثمانية فروع ثلاثة منها في العاصمة والبقية في الأقاليم؛ وأن البنك يشرف على عمليات الصادر؛ حيث تصدر أرض الجمهورية ما قيمته ١١٠ ملايين دولار من الماشية سنوياً (كان الصومال كله يصدر في عهد سياد بري بما يساوي ٧٠ مليون دولار ماشية و٢٤ مليون دولار موزا سنوياً)؛ ويضيف عبد الرحمن أن الجمهورية تُصدر أيضاً الأسماك والجلود؛ ويتم أحياناً الاستيراد عن طريق المقايضة بواسطة التُجار الذين يستوردون السُكر والأرز؛ ويشير كذلك إلى وجود الصرافات الخاصة؛ غير أنه يقول إنها تتم بترخيص من البنك الذي يقوم بتحديد الأسعار؛ ويؤكد أن ثمة اتصالات مع بنوك في المنطقة خاصة

جيبوتي وإثيوبيا لتبادل المراسلات البنكية المختلفة.

من مظاهر السيادة في الجمهورية أيضاً إصدارها جواز سفر لمواطنيها؛ لكن بالطبع تداوله مرهون بالاعتراف الدولي؛ وكذلك من المظاهر خدمات الاتصالات والبريد؛ والوزارة تُشرف على ٥ شركات من القطاع الخاص تقدم خدماتها الهاتفية وتربط أقاليم أرض الصومال بعضها بعضاً؛ كذلك تربط الجمهورية مع جميع أنحاء العالم؛ ويضيف أن وزارته تقدم خدمات البريد المحلي والخارجي واستصدرت طوابع خاصة يتم التعامل بها؛ إلى جانب خدمات البريد السريع (دي. أتش. إل). وهناك خطوط للطيران الخاص تناهز شركاته سبعاً وهي تحمل المسافرين والعائدين من العاصمة هرجيسا إلى جيبوتي وبعض دول الخليج.

ومن ضمن الوزارات الاقتصادية هناك وزارة للثروة السمكية وذلك للاستفادة من الشواطئ المطلة على البحر.

انتشر الإسلام فيها قبل القرن التّاسع؛ حيث قامت مملكة عفة الإسلامية. هزمها الأثيوبيّون في القرن الرابع عشر؛ ثمّ أسّس المسلمون مملكة عادال. وكان الأتراك حينها يدعمون الصّوماليّين؛ بينما كان البرتغاليون يدعمون الأثيوبيين. سيطرت عائلة مظفر «من الأشراف المسلمين» على ميناء موقاديشو الذّي كان يُعتبر من أهمّ الموانئ. ومنذ عام ١٨٨٧م؛ نشأت المحمية البريطانية على أرض الصّومال؛ كما بدأ التوغل الإيطالي إلى الداخل؛ لكنّهم جُوبِهوا بالزّعيم مُحَمَّد عبد الله حسن الذّي أعلن الجهاد ضدّ الإنجليز؛ عام ١٨٩٩.

في عام ١٩٣٦م اجتاح موسّوليني أثيوبيا وأريتيريا والصّومال؛ فوسّع حدود الصّومال. وأصبحت الصّومال الحديثة عام ١٩٤٩ تحت وصاية الأمم المتّحدة؛ بإدارة إيطاليا لمدّة ١٠سنواتٍ. جرت انتخاباتٌ عام ١٩٦٠ في ظلّ

الاستقلال؛ فأصبح عبد الله عثمان رئيساً للجمهورية. انتقلت السّلطة عام ١٩٦٩ للجيش بقيادة مُحَّد سياد برّي. وفي عام ١٩٩٠؛ أعلن المؤتمر الصّومالي الموحد والحركة القوميّة والحركة الوطنية الصّومالية تعاونهم لإسقاط حكومة سياد برّي بعملٍ عسكريٍّ. ولكن حدث انقسامٌ عام ١٩٩١؛ في صفوف المُؤتمر الصّومالي الموحّد بين مجموعة علي مهدي ومجموعة مُحَّد فارح عيديد؛ ووصل حدّ القتال في شوارع العاصمة.

وقبل سنوات قليلة خلت هطلت أمطار غزيرة على أرض الصومال؛ فتسببت في إحداث خسائر كبيرة؛ غير أن الضرر الأكبر الذي لم يكن أحد يتوقعه؛ هو أن السيول والفيضانات التي أحدثتها الأمطار جرفت التربة فأدى ذلك إلى ظهور مقابر جماعية جراء الإبادة التي قام بها سدنة الرئيس السابق سياد بري؛ تم هذا بعد أن بدأ أهالي الجمهورية نسيان الماضي والإقبال إلى الحياة بنفس مبرأة من المرارات والأحزان.

ظهرت دفعة واحدة نحو ٧٠٠ جثة؛ وبعد أن ووريت الثرى مرة أخرى في احتفال رسمي قامت الدولة بتعيين لجنة من ٧ وزراء والتي قامت بدورها بالاستعانة بلجنة فنية من ١٣ عضواً للبحث في تلك المأساة؛ يقول السيد رشيد أحد أعضائها النشطين : هذا الموضوع أحدث صدمة عنيفة للمجتمع لأن الناس بدأت تتذكر أقاربها وذويها الذين فقدوهم في السنين الماضية؛ ويضيف رشيد وضعنا منهجاً معيناً للحصول على المعلومات وذلك بالبحث عن الشهود الأساسيين؛ ويشير رشيد إلى أن لجنتهم استعانت بمنظمات حقوق الإنسان والأمم المتحدة التي استجابت وأوفدت لنا خبيرة اسمها منى الرشماوي حيث ساعدتنا كثيراً؛ وطلبت منا وقف نبش المقابر حتى يتم ذلك بصورة علمية؛ وقد استجبنا لذلك بعد أن جاءنا خبيران آخران أحدهما كندي والثاني

أمريكي وقاما بتدريب وإعداد بعض من أطبائنا.

رحل الديكتاتور الذي فتك بمواطني هذه الجمهورية؛ وبقيت المحنة فقط عالقة بالنفوس؛ وكان يمكن أن تكون مطمورة داخل المقابر الجماعية لولا الأمطار التي جرفت ترابها فأظهرتها وأيقظت بالتالي ما ظن الناس أنهم قد نسوه أو تناسوه.



أما عن المرأة فقد انتظمت في عدة جمعيات ومنظمات نسائية لخدمة قضاياها وقضايا المُجتمع وبخاصة الأطفال الذين تيتموا بسبب الحرب الأهلية؛ كذلك تخدم المواطنين الذين هجروا قسراً بسبب الحروب نفسها؛ وتحاول هذه الجمعيات المساعدة في التعليم والحرف والأشغال اليدوية؛ والمُساهمة في حل المشاكل الاجتماعية التي تنتج عن الزواج.

أما عن العادات والتقاليد في مسألة الزواج نفسه؛ فالملاحظ أولاً أن حالات الزواج تكاثرت في العقد الأخير؛ والعرف يقتضي بأن تكون المرأة بقبيلة زوجها وليست قبيلتها؛ ويتم عادة التعارف عن طريق الأهل؛ وطقوس الزواج

تتم في اليوم الأول بأن يرتدي العروسان ثوبا أبيض من ثلاث قطع وذلك للتفاؤل ويسمى (سدح قيد)؛ وفي اليوم الثاني ترتدي العروس ثوباً لونه زهري مع أشياء تجميلية تسمى (الكولو) ويقال إنه لبس الفراعنة القدماء؛ والرجل يرتدي قماشاً من نفس اللون؛ وتكون الذبائح مستمرة خلال ذلك؛ أما اليوم الثالث فإنه مخصص لفتح ما يسمى (بالحرو) وهو عبارة عن خليط من اللحم والسمن والحلويات؛ الممزوجة بطريقة خاصة؛ كما أنها تعد منذ فترة طويلة في إناء يربط بإحكام شديد لئلا يعرف العروسين كيفية فتحه بسهولة؛ وإذا ما حدث ذلك يكون الأمر مصدر غضب والدة العروس؛ وللعريس ملازم لابد وأن يكون صديقه ويسمى (محيس) وكذا العروس (محيسة) وهي بمثابة وصيفة.

وتستمر احتفالات الأعراس لمدة أسبوع بعدها يخرج العروسان؛ ويعيد العريس عروسه إلى أهلها لفترة قصيرة محملة بالهدايا. وجديرا بالذكر أن أسوأ العادات التي تضررت منها المرأة وانعكست في شكل مشاكل في الحياة الزوجية نفسها هي ظاهرة الختان؛ التي لم يستطع المجتمع التخلص منها إلى الآن؛ وهي بالطبع عادة فرعونية متوارثة.

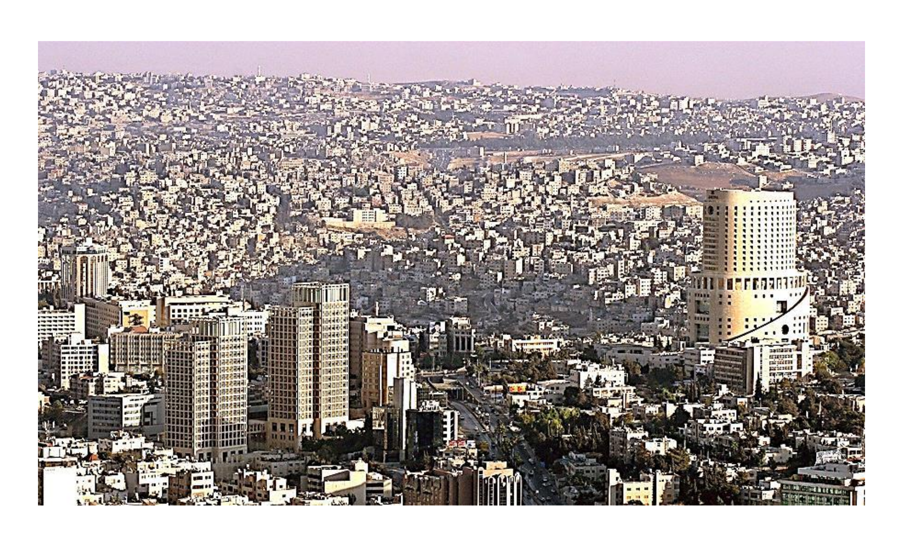
من المظاهر الجميلة التي لا يكاد يتوقعها المرء ليس وجود صحافة تُمارس مسئولياتها فحسب؛ وإنما بحرية لا تعرفها كثير من دول العالم الثالث؛ ومن المفارقات أن الصحيفة الحكومية الوحيدة تُصدر ثلاث مرات في الأسبوع بينما الصحيفة المُعارضة تصدر يومياً؛ ومنها صحيفة (مانديخ) وتعني (كُل شيء أو الشئ المُتكامل) الحكومية؛ إنها باشرت الصدور رسمياً في يناير من العام ١٩٩٨م؛ ويعزى التأخير في ذلك إلى انشغال الحكومة بأولويات أخرى؛ ومع ذلك يؤكد استقلالية سياسة الصحيفة.

في حين يرفض رؤساء صُحف المُعارضة مثل (الجمهورية) تسمية صحيفته

بالمعارضة؛ مشيرين إلى تفضيل صفة المستقلة التي تمارس دورها بحرية؛ وقال : إن المواطنين وصفوها بالمعارضة نسبة لأنهم لم يعتادوا على أجواء الحريات نتيجة الحكم الديكتاتوري السابق؛ وهم يريدون أن يوجهوا الحكومة إلى الطريق السليم؛ مع أننا لسنا معصومين من الخطأ؛ أما مصادر تمويلها إنها بواسطة شركة مساهمة (الوطنية للطباعة والنشر) كونها مجموعة من التجار وليس بالضرورة أن تعبر عن مصالحهم؛ ويوضح بأنهم يوزعون ٦ آلاف نسخة في اليوم في داخل الجمهورية؛ وفي إثيوبيا وجيبوتي وبريطانيا وبعض دول الخليج؛ وكلتا الصحيفتين تصدران باللغة المحلية؛ إضافة إلى عدد واحد أسبوعي باللغة الإنجليزية؛ وإلى الآن لم يصدر القانون الخاص بالصحافة والمطبوعات.

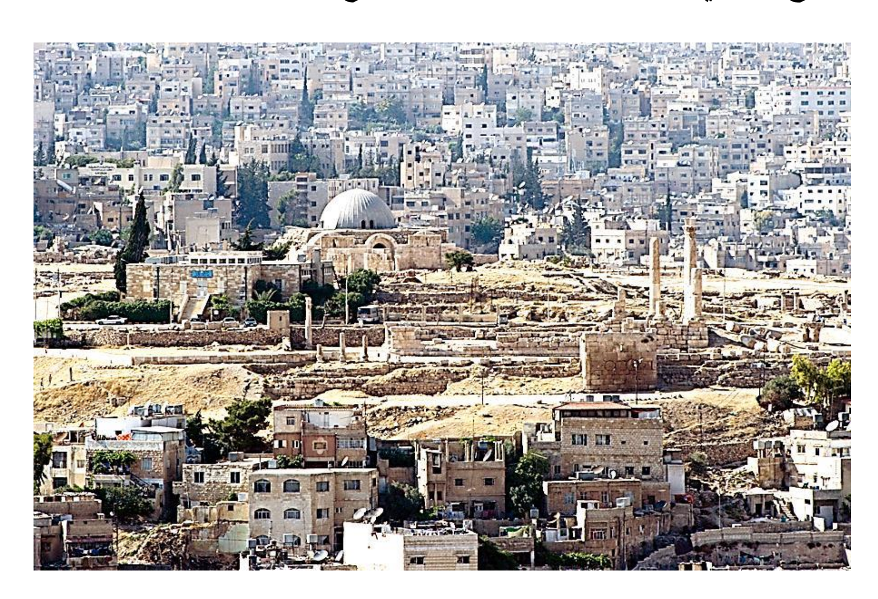
عَـمَّان

عمّان عاصمة المملكة الأردنيّة الهاشمية؛ وأكبر مدينةٍ فيها. تبلغ مساحتها مع الضّواحي ٨٠ كيلومترًا مربّعًا. تقع عَمَّان في وسط البلاد على سيف الصّحراء فوق جبالٍ صغيرةٍ متقاربةٍ؛ يبلغ عددها ١٤ جبلاً؛ ويمرّ بها الخطّ الحديدي الضّيق الذّي كان يربطها بسوريا شمالاً وَبِمَعان فالجزيرة العربية جنوبًا.



تُعدُّ عمَّان مركزًا تجاريًا وصناعيًا مهمًا؛ إذ يشهد قطاع الصّناعة تطوّرًا ملحوظًا يتمثّل بصناعة الإسمنت والفوسفات وتكرير البترول والبلاستيك والجلود والمواسير وصناعة المواد الغذائيّة؛ كالمكرونة والبسكويت؛ وصنع السّجائر والتّنباك؛ وقطع الرّخام وصقله. وفيها المتاجر الغنيّة بأنواع السّلع المُصنّعة في الدّاخل والمستوردة من الخارج. وهناك أنواع المصنوعات اليدويّة والحِرَف وصُنع الزُّجاج والصّدَف والتّطريز؛ وصنع القلاّدات والنّحت على خشب الزيتون؛ وصناعة الأدوية. وتشتهر عمَّان بمطارها الدّولي المُتطوّر؛

وبجامعةٍ علميّةٍ راقيةٍ تضمّ مُختلف الإختصاصات والفروع. وأبرز معالم عمَّان مدينتها الرّياضية الكبيرة ومدينة الحُسين الطبّية التّي يقصدها المرضى من مختلف الأقطار العربية؛ وتُجرى فيها أدقّ العمليّات وأخطرها؛ ومن معالم عمَّان أيضًا؛ المسرح الرّوماني الكبير؛ والقلعة ومسجدها الجامع.



عمَّان مدينةٌ قديمةٌ جدًا؛ ذُكِرَت على أنّها "عمون" عاصمة العمونييّن الذين قامت مملكتهم في تلك المنطقة؛ سنة ١٢٠٠ ق.م؛ وبعد العمونييّن خضعت عَمَّان لحكم الآشوريين فالبابلييّن. وفي القرن الثّالث ميلاديًا؛ دخلت في حكم الإغريق؛ وسُمِّيت "فيلاديلفيا" نسبةً إلى أحد ملوكهم؛ وكان إسمه فيلاديلفيوس؛ ويُطلق عليه إسم "بطليموس الثّاني". وكانت عمَّان بوّابة الشّام وأحد أهمّ منافذ التّجارة بين الشّرق والغرب نظرًا لموقعها الإستراتيجي؛ إذ إن القوافل كانت تعبرها حاملةً تجارة الهند والصّين عبر البحر الأحمر؛ فيما كان يُعرَف يومئذٍ بطريق البخور. فتحها العرب سنة ٦٣٥؛ بعد أن كانت بأيدي الرّومان منذ سنة ٣١ ق.م؛ ولقد وصف المؤرّخون العرب عَمَّان فأثنوا على مكانتها التّجارية؛

وقالوا إنّها كانت قصبة البلقاء؛ وإنّها كانت ذات قرى ومزارع؛ وفيها عدّة أنهارٍ وطواحين تديرها الماء. وكان لها جامعٌ في طرف السّوق؛ مُفَسفَس الصّحن. وكان قصر جالوت على جبلٍ يطلّ عليها؛ وفيها لعب سليمان بن داوود عليهما السلام.

مدينة الكويت

مدينة الكويت هي عاصمة دولة الكويت وأكبر مدينةٍ فيها. تقعُ عند رأس عجوزة ورأس الأبيض على الخليج العربي؛ وأمامها لجهة الشمال جون الكويت. وأهم مناطقها: السالمية في الجنوب والشويخ في الغرب. وميناء الشويخ هو ميناء الكويت الأساسي ومن أهم موانئ الخليج. وثمّة ميناء عبد الله والشعيبة حيث حقول النفط الغنية ومعامل تكريره وتصديره؛ وحيث نرى ما يناهز الأربعة والثلاثين مصنعًا وشركةً إنتاجيةً ومعملاً لتصفية المياه وتحليتها وضخّها. وإلى الشرق من الكويت تقوم جزيرة فيلكا السياحية حيث توجد آثار يونانية؛ منها رأس الإسكندر وتمثال أفروديت. وفيها المطار الدّولي المتطوّر الذي يربطها بمختلف عواصم العالم. الكويت عاصمة ناشئة متطوّرة؛ عرفت الإزدهار منذ أن اكتُشِف النّفط عام ١٩٣٤ في دولة الكويت. فيها نهضةٌ عمرانيةٌ وشوارع فسيحة وحدائق كبيرة وبيوت مالٍ ومصارف وشركات تأمينٍ وجامعات ومعاهد ومدارس؛ وأهمها جامعة الكويت الوطنية؛ وهي تضم مختلف الفروع والأقسام والتّخصصات. ويفد إليها طلاّب العلم من بلدان عدّة. كما أن فيها معهد الكويت الوطني للتكنولوجيا التطبيقية والمعهد التجاري والمعهد الصناعي والمعهد الصحي للبنات ومعهد التربية للمعلمين والمعلمات.

من أهم الصّناعات القائمة في الكويت الصّناعات البتروكيميائية؛ وتتمثل بتكرير البترول وإنتاج البنزين والكيروسين وزيت الغاز والغازولين؛ والصّناعات الكيماوية وتتمثل بصناعة البلاستيك والمنظفات؛ والصّناعات الغذائية والمعدنية وصناعة مواد البناء على اختلافها.



ومن معالم الكويت خزّانات مياهها المعلقة؛ وتعرف بالأبراج؛ وهي مبنية على أحدث الطّرق الهندسية وفن العمارة. ولقد استُخدِمَ في هذه الأبراج خمسون طنًا من الألمينيوم المفرّغ؛ وهي مُدعّمة بجسورٍ داخليةٍ وعدد الأبراج ثلاثة: الأصغر للإنارة؛ الأوسط وفي وسطه كرة تستعمل كخزانٍ للمياه؛ والأكبر وارتفاعه ١٨٧ مترًا ويتخلّله كرتان؛ السّفلية وهي أكبر الكرات؛ يُستخدم نصفها العلوي كمطعمٍ وصالةٍ للإستراحة ونصفها السفلي كخزان للمياه.

أما الكرة العلوية فهي أصغر الكرات حجمًا وفيها استراحة دوّارة. والكرات الثلاث مكسوّة من الخارج بأقراصٍ مُطليةٍ بثلاث طبقاتٍ من المينا الملوّنة. يبلغ عددها ثلاثين ألف قرصٍ بسبعة ألوانٍ مختلفةٍ ما بين الأزرق والأخضر والرمادي؛ وبثلاثة أقطار بطول ٤٠ و ٣٠و٢٣سم.

تحضن مدينة الكويت المتحف الوطني الغني بالتّحف والآثار. كما أنّ فيها مركز الطب الإسلامي؛ وهو من أحدث المراكز الطّبية في العالم للعلاج بالأدوية المُستقاة من النباتات. ومن أبرز معالم مدينة الكويت أسواقها القديمة؛ وأهمها

السوق الداخلي؛ وهو يضم متاجر الحدادين الذين يزودون تجار السفن بكل لوازم البناء؛ وسوق الجث لبيع العطور؛ وسوق الصفاة؛ وسوق الحريم حيث البائعات اللواتي يتاجرن بالملابس الشعبية الفولكلورية المصنوعة من أثوابٍ مُطرّزةٍ وعباءات ولوازم تجميل طبيعيّة كالحناء والديرم وهو لحاء شجر يصبغ الشفاه.



في الكويت عدد من المساجد الحديثة والأثرية وأهمها مسجد المطران ومسجد القطامي ومسجد السّوق الكبير ومسجد ناهض ومسجد السرحان ومسجد الخالد ذو المئذنة ذات القمّة الكمثرية ومسجد الخليفة ومسجد سعيد ذو المئذنة ببدن قصير ومسجد براك الدّماك ومسجد الدولة الكبير الذي تم بناؤه سنة ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م وهو من أجمل مساجد الكويت؛ وتبلغ مساحته ٤٥ ألف متر مربع؛ ومسجد لؤلؤة؛ ومسجد ابن خميس.

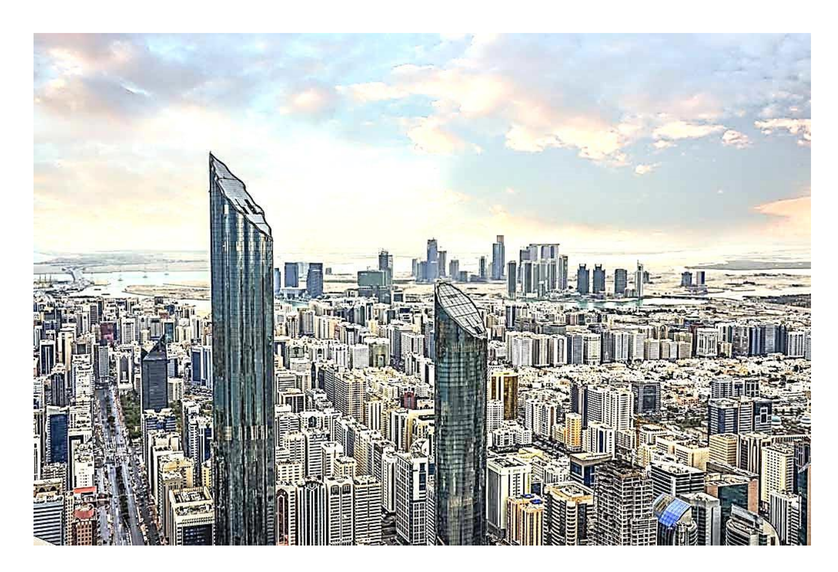
والجدير بالذكر أنّ الكويت كانت في القديم؛ قبل اكتشاف النفط؛ من أهمّ محطّات التجارة على طريق قوافل التّجارة بين الهند والغرب.

مدينة أبو ظبي

ما بين رمال الربع الخالي القاحلة؛ ومياه الخليج الساخنة عالية الملوحة؛ ثمة ملحمة من مائة وثلاثين مليون شجرة وثلاثة وعشرين مليون نخلة. ولكي نحيط ببعض من أطراف هذه الملحمة الخضراء؛ التي قادها صاحب القدم الخضراء؛ رئيس دولة الإمارات؛ كان علينا أن نرنو إليها من الأعالي؛ من فوق هضبة؛ ومن قمة جبل؛ ومن نافذة طائرة محوِّمة.

كعادتها؛ أبو ظبي؛ والإمارات جميعاً؛ تُفاجئك وأنت تطل عليها من الجو بإدهاش علاقة الماء باليابسة؛ فثمة غزل واضح بين الماء والأرض بها؛ فجُزرها تتطلع إليك وهي مُحاطة بفيروزية المياه؛ ومياه توغل في الأرض بألسنتها فتلمع حول اليابسة؛ وأرض تشف فوقها رقائق المياه فيتألق عِناق الرمل والبحر .

هذه رؤية رومانتيكية بالطبع؛ لأنها من نافذة الطائرة؛ ولكن من عرف الاقتراب يُدرك أن هذا الوجه يخفي وجهاً آخر يحفل باحتدام الصراع الطبيعي؛ فهذه الأرض المكونة لدولة الإمارات العربية المُتحدة والبالغ مساحتها أكثر من ٨٣ ألف كيلومتر مُربع تمتد سواحلها المُطلة على الشاطئ الجنوبي من الخليج العربي بمسافة ٦٤٤ كيلومتراً من قاعدة شبه جزيرة قطر غرباً؛ وحتى رأس مسندم شرقاً؛ ويتواصل امتداد ساحلها على خليج عمان بطول ٩٠ كيلومتراً أخرى عند إمارة الفُجيرة أي ٤٣٧ كيلومتراً؛ ويُواجه فيها البر البحر من جهة؛ ومن جهة أخرى تُحدق بالأرض رمال الصحراء التي تبلغ أوجها في كُثبان الرُبع الخالي العالية المهولة. كما تُعتبر مدينة أبو ظبي عاصمة الإمارات العربية المُتحدة.



ولمدينة أبو ظبي مطار دولي كبير ومرفأ ناشط بفضل عمليات الأعمار التي شهدتها المدينة؛ والإمارة مُنذ الستينات من القرن الماضي؛ واليوم تتمتع بمركز تجاري كبير؛ والبترول الذي اكتُشف في الخمسينيات من القرن الماضي قد بدّل حياة الناس هُناك على جميع الأصعدة بالإمارة وشريكاتها بالإمارات العربية المُتحدة.

وأهم ما يُميز أبو ظبي شُجيرة القرم؛ كمفردة من مفردات جهود الحفاظ على البيئة في دولة الإمارات؛ ويمكن اعتبارها إلهاماً بيئيا مبكراً أهتدت إليه الفطرة السوية للشيخ زايد (رحمه الله) رئيس الدولة قبل أن تُبلوره المفاهيم البيئية العلمية في طرحها الحديث. فهذه الشُجيرة (القرم أو المانجروف) كادت تنقرض بعد أن كانت من غابات الأرض المغمورة برقيقة مياه الخليج الدافئة الضحلة؛ ومع زحف التخضير الذي بدأته دولة الإمارات عموماً وإمارة أبو ظبي خصوصاً أي مُنذ قُرابة عقود ثلاثة لا غير؛ فراحت اليد الخضراء تُعيد استنبات شُجيرات القرم على الساحل الإماراتي؛ وفي غضون العقود الثلاثة عادت غابات القرم تغطي مساحات شاسعة من الأرض المغمورة بالمياه

الضحلة. وهذه الشجرة المكونة لهذه الغابات الساحلية معجزة في حد ذاتها؛ فمن شبكة جذورها يتكون مرشح "فلتر" يأخذ الماء بعد تصفيته من الملح وبذلك ترتوي شجيرة القرم من ماء زلال رغم حياتها المغمورة الجذور في الماء المالح. وفي المفهوم البيئي الحديث تكون ما يُسمى **Microclimate** أو نظاماً بيئياً مُصغراً؛ فالشجرة تنمو فتجذب إليها في الماء كائنات بحرية دقيقة تتغذى على جذورها؛ أما في الجو فهي تجتذب الحشرات والهوام. وعلى هذا النحو تنمو سلسلة التكامل والتكافل والتنوع البيئي؛ فالكائنات البحرية الدقيقة تجتذب الأسماك والحشرات؛ والأوراق الخضر تجتذب الطيور؛ فتموج غابات القرم بزخم الحياة؛ سواء كان عالم من الأسماك ينمو ويتكاثر؛ وأسراب من الطيور تحط وتعشش؛ وأشجار طافية على الماء تنظف الهواء لأنفاس البشر وكل ما يعيش على البر؛ وتسر العيون التي يفعمها بالراحة والرحمة ذلك التجانس الرباني بين الأزرق والأخضر وتدرجاتهما في السماء والبحر والبر.

هذا المجال البصري الذي تنساب فيه "الهارمونية" اللونية المتناغمة من تدرجات الأخضر والأزرق؛ أي لونا النبات والماء والسماء؛ هي عُنصر مُهدئ وعظيم التأثير على الجهاز العصبي والوظائف النفسية؛ لأن العين كنافذة للجهاز العصبي المركزي على العالم الخارجي؛ وكمُستهلك أعظم للطاقة المُقررة للجهاز العصبي المركزي؛ بسبحها المرتاح في المجال اللوني الوديع المتناغم تقود إلى حالة من الارتياح **Soothing** تنعكس على الجسد والنفس عموماً.

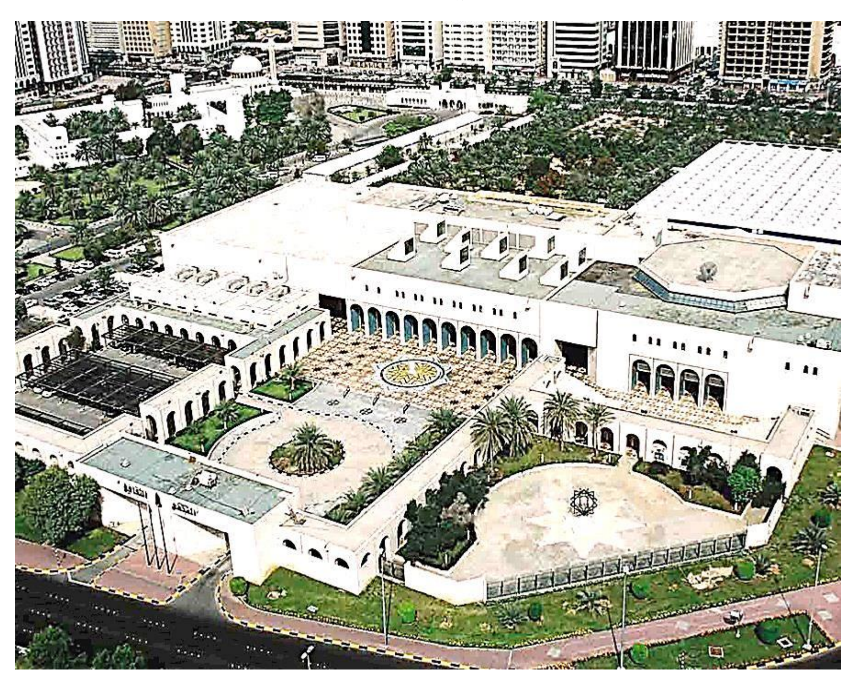
وأي دراسة عن معدلات الجريمة أو الانهيارات العصبية ستكشف أنها في مدينة مثل "أبو ظبي" أقل كثيراً من أي مدينة من المُدن التي تُعادي الأشجار والزهور والخُضرة؛ وتتميز كذلك بأشجار "الاسباثودا" التي جاءت من إفريقيا الاستوائية لتتألق في أبو ظبي بأوراقها العريضة الدائمة الخُضرة وأزهارها النارية

الحمراء الكبيرة. فهذا الاختيار ضرب عصفورين بحجر واحد كما يُقال؛ إذ وفر شجرة عالية الاحتمال قادرة على التأقلم؛ إضافة لجمالها اللافت وخضرتها الدائمة؛ وجاءت أنواع مُتعددة من الأشجار من أرجاء الدُنيا لتقف على شاطئ الخليج في "أبو ظبي"؛ وهي أشجار اللوز الهندي؛ والمطاط من الهند؛ والصبار الهندي من الفلبين والمكسيك؛ والدراداكسيا ونخيل واشنجطونا من أمريكا الشمالية؛ ونخيل الجوز من جُزر المحيط الهندي؛ واليوهينيا (خُف الجمل) من الصين؛ والأكاسيا من استراليا؛ وغيرها الكثير من الأشجار. واستمرارية الزهور والخضرة تقف وراءها مشاتل ضخمة لتربية وإكثار الأشجار والشُجيرات وزهور الزينة.

وتُقدر كمية المنصرف من مشتلي "الخالدية" و"المنهل" وحدهما في عام واحد بأكثر من مليون ونصف مليون شتلة شجرية؛ وأكثر من عشرين مليوناً من شتلات الزهور؛ وتتميز أبو ظبي أيضاً بالشُعاع الثقافي على مستوي الإمارات الأخرى حيث الازدهار الثقافي على ضِفاف الخليج؛ فالإمارات العربية تحتضن المجمعات والمراكز الثقافية؛ ومنها مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث؛ وجائزة سُلطان العويس؛ والمُجمع الثقافي في أبو ظبي؛ ومركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية؛ ومكتبة الملك عبد العزيز؛ ومكتبة الشيخ حسن بن مُحَّد آل ثاني؛ ومؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري؛ وجائزة الشيخ عبد الله مُبارك الصباح للآداب والفنون.

هذه التجمعات والمراكز مصابيح للثقافة تُضيء على شواطئ الخليج؛ وكُلها كانت ثمرةٌ لمُبادرات أفراد وهبوا قلوبهم وأموالهم من أجل تقدم العلم والثقافة العربية. لقد آمنوا بأن هذا هو الطريق الأمثل لبناء الإنسان العربي لذا فقد زرعوا هذه المشاريع الطيبة في أرض الخليج الطيبة.

مُجمع ثقافي أبو ظبي :-



المُجمع الثقافي في أبو ظبي هيئة عامة مستقلة تهتم بنشر الثقافة وإثراء الفكر والقيام بدور ثقافي مُميز؛ وذلك من خلال العديد من الأنشطة الثقافية المناسبة من إدارة دار الكُتب الوطنية؛ وتنظيم الندوات والمُحاضرات والحلقات الدراسية والمسابقات الثقافية؛ ثُم إقامة المعارض الفنية؛ فهُناك معارض للكُتب؛ ومعارض للفنون التشكيلية؛ هذا بالإضافة إلى تشجيع الحركة الأدبية والفنية عن طريق عمل الأبحاث؛ ونشر الكُتب التُراثية والكُتب الحديثة؛ ومُتابعة تاريخ دولة الإمارات العربية من خلال جمع الوثائق المُتعلقة بالدولة؛ ومنطقة الخليج العربي كُلها. ويقع مقر المُجمع في مدينة أبو ظبي؛ وهو يتألف من ثلاثة مبانٍ؛ اثنان منهما في وسط المدينة؛ أما المبنى الثالث فيقع في مدينة زايد الرياضية؛ والمبنى الأول وهو المبنى الرئيسي قد بُني على الطراز العربي الإسلامي؛ ويتميز بأقواسه

الكثيرة؛ ويضم الوحدات التنظيمية للمُجمع مثل مجلس الأمناء؛ وهو السُلطة العليا التي ترسم سياسة المُجمع وتصريف أموره؛ والأمانة العامة التي تتولى تنفيذ السياسات والخطط المُقررة.

ومقر دار الكُتب الوطنية والتي تتسع لحوالي مليوني مجلد وبها مكتبة متخصصة تعنى بشؤون الخليج إضافة إلى وحدة لجمع المخطوطات تحوي نحو أربعة آلاف مخطوطة أصلية؛ ومكتبة خاصة برسائل الدكتوراه والماجستير في شتى الموضوعات؛ ومكتبة سمعية وبصرية؛ ومكتبة للدوريات العربية والأجنبية.

كما يضم هذا المبنى مقر مُؤسسة الثقافة والفنون ومرافقها التي تختص وتهتم بتنمية الوعي والمهارات والذوق الثقافي والفني في إطار الثقافة العربية الإسلامية؛ كما تهتم بالطفولة والمواهب الناشئة؛ فهناك مركزٌ للطفولة يهتم برعاية الأطفال في مجال الإبداع الفني واكتساب المعرفة؛ كما أن هناك مرسماً حراً يرعى المواهب ويصقلها بالتدريب. والمبنى الثاني هو مبنى تاريخي يُسمى بقصر الحصن وهو مقر مركز الوثائق والدراسات؛ وينحصر نشاطه في جمع صور الوثائق المتعلقة بدولة الإمارات ومنطقة الخليج والوجود العربي في شرق إفريقيا؛ بالإضافة إلى جمع الكُتب والمخطوطات المتعلقة بالدولة ومنطقة الخليج وجمع الروايات التاريخية والشفوية؛ وتوثيق أنشطة مجلس التعاون لدول الخليج العربية؛ وجمع المصورات الفوتوغرافية والتسجيلية والخرائط؛ بالإضافة إلى إصدار سلسلة من المطبوعات التوثيقية السنوية والمؤلفات التاريخية عن الدولة والمنطقة.

والمبنى الثالث هو مبنى الأرشيف الوطني؛ ويتكون من جناحين وهو مخصصٌ لحفظ الوثائق التي تخص دولة الإمارات ومنطقة الخليج العربي بعامة؛ وقد روعي في تصميمه الاحتياطات اللازمة لحفظ المُستندات من التلف بتوفير درجات حرارة ورطوبة مُناسبتين؛ وأهم صناعات أبو ظبي تتمحور حول البترول

والإسمنت وإنتاج الأنابيب المعدنية؛ وللإمارة نشاطات واسعة في مجالات المال والنقل والاتصالات.

كما توسعت المدينة خلال الأربعين عام الماضية وشهدت حملة إعمار كبيرة وسريعة؛ وتُعد اليُوم مدينة حديثة جيدة التخطيط؛ ويتضح ذلك في التخطيط الجمالي لجُزر أبو ظبي التي تشتهر بها على مستوي الإمارات الأخرى؛ ومنها جزيرة صير بني ياس؛ وهي من أكبر الجُزر في إمارة أبو ظبي؛ وتبلغ مساحتها **٢٥٠** كيلو متراً مُربعاً؛ هذا خلاف عشرة كيلو مترات تم ردمها لتكون امتداداً جديداً للجزيرة؛ وتُسمى "الجزيرة الخضراء" وقد خُصصت لزراعة الفاكهة (موالح؛ موز؛ رُمان؛ أناناس؛ مانجو) وأصناف مُتعددة من الفاكهة يصعب تعدادها؛ ويصعب تصور أن تُثمر في منطقة الخليج؛ بل في جزيرة وسط مياه الخليج؛ وتتميز فاكهة هذه الجزيرة بالطعم اللذيذ؛ والصفات الجيدة.

ولا تتوقف محاولات توطين الخير في الجزيرة؛ فقد نجحت زراعة السنترة والمانجو والشيكو والجوافة والباباي والرمان والتين والتفاح والخوخ والبوملي والجريب فروت والليمون الحلو والموز والعنب والتين الشوكى والزيتون (المنتشر بكثرة في الجزيرة) والخروب والمشمش والبطيخ والتمر والرطب؛ لكن إرادة التحدي الأخضر لا تكف عن محاولة إعمار الجزيرة بمزيد من الثمار فهي تشهد حالياً تجارب عديدة لزراعة الجوز وفواكه القشدة والعنب اليابانى والتركي والمغربي ...

مُنذ تم اتخاذ القرار والجزيرة تتطور ببطء مدروس في البداية (حيث كانت كمية المياه المُستعملة في حدود عشرة آلاف جالون تُنتجها وحدة تحلية محدودة) لكن مُنذ سنوات بدأت الجزيرة انطلاقتها الخضراء المُتسارعة إذ وصلت طاقة وحدات التحلية في الجزيرة إلى ٤ ملايين جالون؛ ومع زيادة كمية

المياه العذبة راحت مساحات التشجير تمتلئ بأحواض ومساقى للطيور الحيوانات.

وبحيرتين صناعيتين مُبطنتي القاع برقائق ومواد عازلة تمنع التسرب؛ وعلى ضفاف هذه البُحيرات؛ وتحت مظلاتها تتجمهر أسراب من الطيور؛ وهُنا وهُناك تتناثر أبراج للحمام تطوي المأوي في قلبها الأخضر الموسوم بأشرطة بيضاء؛ فهي ليست كأبراج الحمام الداجن تفتح أبوابها على الخارج وتختبئ في مآويها فخاخ الصيد فلا صيد هُنا بل إن الصيد محظور في أبو ظبي مُنذ ١٥ عاماً بأمر الشيخ زايد؛ فبعد أن كان صيد الغزلان والطيور مألوفاً في الإمارات؛ وبعد أن تحول الصيد مع مجيء السيارات وبنادق الصيد الحديثة إلى تهديد لتوازن البيئة صدرت تشريعات حظر الصيد؛ وانتشرت في دولة الإمارات كلها؛ ففي الفجيرة حظر حاكمها الشيخ حمد ابن مُحَمَّد المشرقي صيد الفهود المارية والقطط البرية في الجبال؛ كما منع صيد الغزلان البرية التي تعيش في المناطق النائية؛ أما على صعيد الحياة البحرية فقد أصدرت وزارة الزراعة والثروة السمكية قرارا حظرت فيه إمساك السلاحف أو أخذ بيضها؛ وتقوم بتغريم الصيادين الذين ينتهكون القرار.

لم تكن الجزيرة سهلاً خالصاً ولا جبالاً مُتصلة؛ بل كانت وسطاً متناغماً ترعاه إرادة ذوق إنساني حسن؛ اعتمدت مشاريع الزراعة والتشجير بالجزيرة على إزالة الجبال الصخرية عند الشاطئ أولاً لتوفير مرافئ رسو الزوارق والسفن؛ ثُم في الوسط بعد ذلك؛ ومع تسوية دائمة للتربة الخصبة التي أغناها مطر المواسم الغزيرة مدارج من الخُضرة؛ وبراري فسيحة؛ وأصناف من غزال الريم تجري كأنها حقل من السنابل تطوف عليه ريح هينة؛ وتتزاحم جماعة غزلان المها البيضاء مُبتعدة بلا ذُعر إذا مررت بها؛ بينما الزرافات تشرئب في غاب

مسيج إذ إنها تأتي على خضرة الأشجار فيتم نقلها من مكان لآخر لتستعيد المساحة التي أجدبت خُضرتها.



الجزيرة تتحول بتسارع إلى محمية ترتع فيها الحيوانات المجلوبة من داخل البلاد أو من خارجها مثل أبو ملعقة؛ والحمام المتوج؛ والنعام؛ والغزلان؛ والكنجارو؛ والمها؛ والزراف؛ والصقور والكُركى المتوج؛ والوضيحي (أو العربي) وظبي الماء؛ واللاما؛ والجاموس الإفريقي؛ والتجربة تُثبت نجاحاً مُشجعاً على مدى السنوات التي عاشتها حيث راح مُعدل التكاثر للحيوانات على أرض الجزيرة يزداد؛ ويُوجد الآن جيل ثالث من بعض الحيوانات التي كانت مهددة بالانقراض كالمها العربي والغزال العربي "الديماني" والمها الأفريقي والماعز النوبي.

إلى جانب التوالد الملحوظ بين قطعان الغزلان التي يقترب عددها من ثلاثين ألفاً؛ لقد تكيفت الحيوانات الآتية من الخارج حتى وصلت إلى درجة التوالد في بيئة الجزيرة؛ وهي أعلى درجات التكيف؛ ومن الحيوانات التي وصلت إلى هذه الدرجة المها الإفريقية؛ وأبو حراب؛ وأبو عدس؛ وظبي ايلند؛ وظبي الماء؛ واللاما (أو الجمل الأمريكي) والزراف؛ والأنتيلوب الأسود؛ وظبي تيالا؛ وغزال طوسون؛ وكبش أروى "البربري"؛ وغزال أمبالا؛ والإبل الأرقط؛ إلى جانب أسراب من الطيور التي تأقلمت مع مناخ الجزيرة واتخذت من غاباها مأوى لها برغم أن مواطنها بعيدة ومختلفة في إفريقيا وأستراليا وجنوب القارة الأمريكية مثل النعام الإفريقي؛ ونعام الإيمو؛ ونعام الكاسوري؛ والحباري؛ وطائر التم الأبيض؛ وأبو منجل؛ والحمام المتوج.

ولقد مضت حلول التأقلم في طريقها إما بالتطبع أو بالتطبيع عبر حلول مُبتكرة وبسيطة؛ فالجمل الأمريكي (اللاما) من الجيل الأول كاد ينفق في فصول الصيف حيث الرطوبة المُربعة والقيظ؛ لكن مُجرد توفير أحواض للاستحمام ومظلات راقية عبرت بالجمل الأمريكي إلى الأمان؛ وتوالد؛ وجاءت سُلالته قادرة على التأقلم أكثر مع البيئة التي ولدت فيها. ومن المؤشرات

المُهمة على تصاعد نجاح التجربة هي تلك الظاهرة التي تتحول فيها الطيور المُهاجرة إلى طيور مُقيمة؛ فهذه لا تُقيم إلا حيث تكون الحياة أفضل والأمان أكثر. وهذا ما حدث مع طائر الفلامنجو "الفانتير" وطيور الحباري؛ فقد راقت لها الحياة في صير بنى ياس فاستقرت واستوطنت. وهناك حكاية طريفة عن طائر البشاروش الذي لم يبلغ حد القدرة على التكاثر في الجزيرة لأسباب وراثية قوية؛ فقد عرفنا أن البشاروش بعد أن يفقس بيضه ويشتد عود صغاره تأتي بها للجزيرة لتلتمس المأوى والأمان.

دُبـي

شهدت مدينة دبي خلال السنوات القليلة الماضية ثورة تكنولوجية وإعلامية غير مسبوقة عربياً وإقليمياً تستهدف حجز موقع بارز لدولة الإمارات العربية المتحدة في العصر المقبل والذي بدأت ملامحه بالتشكل مع نهايات القرن الماضي. ذلك العصر الذي لا مكان فيه للحديث عن النفط كمورد وحيد للطاقة أو عن الأنشطة الاقتصادية التي بات يطلق عليها مجازاً الاقتصاد القديم؛ وتمكنت دبي عبر تاريخها من تحقيق سمعة تجارية مرموقة في المنطقة استقرأت المستقبل جيداً؛ وعرفت طريقها نحو الاقتصاد الجديد عبر دخولها بوابة اقتصاد المعرفة والميديا والمعلوماتية والتي من أجله تم البدء بإنشاء ثلاثة مشاريع تكفل لدبي تحقيق مرادها؛ وهي مدينة دبي للإعلام ومدينة دبي للإنترنت وأخيراً المولود الجديد قرية المعرفة. تُعدّ دُبي من أحدث مُدن الإمارات العربية المتّحدة وأكثرها تطوراً وازدهاراً. وتقع على ساحل الخليج العربي بين الشّارقة وأبو ظبي؛ وهي إمارةٌ عاصمتها دُبي وتبلغ مساحتها ٣٨٨٥ كيلو متراً مُربّعاً. وتشهد دُبي نهضةً عُمرانيّةً عظيمةً؛ ففيها عمارات حديثة وفنادق راقية وشوارع فسيحة وحدائق زاهية؛ وهي مركز تجاري وماليّ مُهمّ.



يعيش القطاع الصّناعي في إمارة دُبي تطوراً ظاهراً. وتنتشر في دبي المصانع الحديثة. وأهمّ صناعاتها صناعة سبك الألمنيوم وإسالة الغاز الطّبيعي. وفيها مُجمّع دوبال؛ وهو أكبر مجمّعٍ لصناعة الألمنيوم في الشّرق الأوسط؛ وهو مزوّد بوحدة تحلية للمياه؛ طاقتها الإنتاجية عشرون مليون جالون يومياً؛ وتُحافظ دبي على أسواقها الشّعبية ذات الطّابع القديم؛ ونذكر من أهمّها: سوق الدّيرة؛ سوق الخيام؛ سوق بندر طالب. وفي دبي؛ مطارٌ دوليٌّ كبيرٌ ساهم كثيراً في تنشيط السّياحة بعد حصوله عام ١٩٩٢على جائزة أفضل تسهيلات الشّحن في العالم؛ وتُعتَبر دبي اليوم من أهمّ المرافئ الخليجيّة الحديثة؛ واسم مرفأها "مرفأ جبل علي" الذّي يقع في الجنوب الغربي من المدينة؛ وفيه منطقة تُجاريّة حُرة. وقد زادت نسبة الاستثمار فيها على المليار دولار سنوياً. تعمل في هذه المنطقة الحرّة أكثر من ٤٥٠ شركةٍ من ٥٣ دولةٍ. وثمّة توقّعاتٍ أن يزيد الرّقم عند نهاية هذا القرن على ١٢٠٠ شركةٍ. حافظت دبي على المكانة الأولى في رابطة موانئ الحاويات في الشّرق الأوسط؛ كما إنّها حصلت على جائزة سوق السّفر العالمي لعام ١٩٩٢م.

وعلى الصّعيد التّجاري؛ هناك ما يقارب ٢٥ ألف شركةٍ في دبي تُمارس مختلف النّشاطات والأعمال التّجارية. وفي قاعات المعارض؛ تُقام المعارض والمؤتمرات العالميّة. وفي دبي؛ يُقام سباق الرّالي للسّيارات. وهناك السّوق الحرة في مطار دبي؛ وهي من أهمّ الأسواق الحرّة في العالم من ناحية التّنوع والأسعار والنّوعية. وبفضل ذلك؛ نالت عدة جوائز تقديريّة مهمّة. وفي دبي أضخم ملاعب الجولف في العالم ... ودرجت دبي على إقامة شهر التّسوق الذي لقي رواجاً وشهرةً عالميةً؛ ممّا زاد من شُهرتها العالمية؛ فأصبح شهر تّسوق دُبي عادةً سنويةً.

مدينة للإعلام بدبي

تبعاً للمتغيرات الحاصلة في العالم أخيراً وبخاصة في أوربا وأمريكا الشمالية والتي تتجه نحو الاعتماد على اقتصاد التجارة الإلكترونية والتكنولوجيا أو ما يمكن تسميته بالاقتصاد الجديد؛ وهو عكس الاقتصاد القديم القائم على مجموعة الأنشطة الشائعة مثل المقاولات والاستيراد والتصدير والسياحة وغيرها؛ فقد قررت دبي تحويل اقتصادها إلى اقتصاد المعرفة.

والمسيرة نحو هذا الهدف بدأت مُنذ عام ١٩٩٦م برغبة من ولي عهد دُبي ووزير الدفاع الفريق أول مُحَّد بن راشد آل مكتوم.

وعن الخطوات المبدئية لتحويل اقتصاد دبي إلى اقتصاد المعرفة تم وضع خطة عمل وبرامج ودراسات تكفل تحقيق الهدف بتحويل اقتصاد دبي إلى اقتصاد المعرفة وتلخصت الخطة بضرورة خلق ثلاثة مشاريع رئيسية هي بمنزلة أهداف مرحلية تضمن الوصول إلى الهدف النهائي؛ وتلك المشاريع هي ما يلي .:

١ . تداخل المعلومات والتكنولوجية : .

ويهدف هذا المشروع إلى خلق بيئة تستطيع استقطاب الشركات المعنية بحيث يحدث الاندماج والتداخل في مدينة دبي والإمارات الأخرى.

٢ . استقطاب المواهب الذكية : .

والاقتصاد الجديد لن يُبنى على بنايات ومصانع فقط؛ بل على الأفراد وقوة العقل؛ وحتى الآن في دُبي لا تزال نسبة الحاصلين على الشهادات العليا أو المهتمين بمجال البرمجة قليلة جداً؛ ومن هُنا كان لابد من خلق بيئة تجذب الكفاءات والمتميزين كى يُمكن الاستفادة من خبراتهم؛ وتكوين نواة قادرة على تحمل مسئولياتها في المستقبل.

٣ . المضمون : .

من غير الصحافة والإعلام والإنترنت لن تستطيع دُبي ترويج ما لديها من مشاريع؛ لذا وضعت هذه النُقطة المُهمة في الحُسبان.

وهذه الأهداف الثلاثة الرئيسية المذكورة تحتاج إلى إنشاء مشاريع متكاملة تضمن تحقيقها؛ ومنها على سبيل المثال ما يلي : .

١ . تحويل حكومة دُبي إلى حكومة إلكترونية؛ وتم وضع برنامج مُدته (١٨) شهراً؛ وقبل نهاية المدة بحوالي أسبوعين تم الإعلان عن تحول حكومة دبي إلى حكومة إلكترونية.

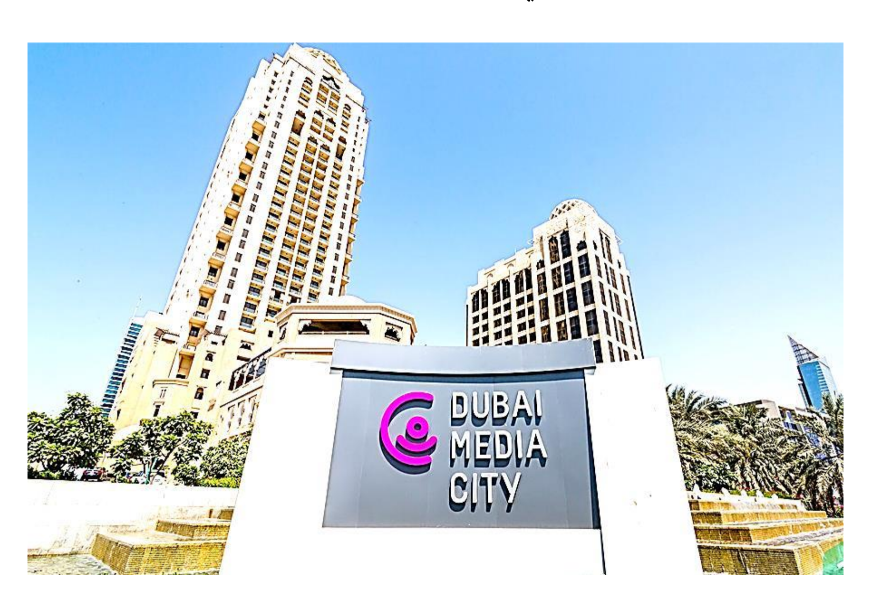
٢ . مدينة دُبي للإنترنت؛ ومُهمتها توفير بيئة تكنولوجية لاستقطاب شركات التكنولوجيا وشركات التجارة الإلكترونية.

٣ . مشاريع واحة دُبي الإلكترونية؛ وهي تعمل كحاضنة لشركات الإنترنت

الجديدة؛ وتهدف إلى مُساعدتها على الانطلاق؛ ورأس مال هذه الواحة مُخصص للاستثمار في هذه الشركات لمُساعدتها.

مدينة دُبي للإعلام

مدينة دُبي للإعلام وهي تستهدف ضمن استراتيجيتها أقساماً مُعينة في الإعلام مثل القنوات الفضائية؛ والتي اكتشفنا بعد قيامها بأبحاث ودراسات حولها أن أغلبها يخسر غالباً؛ وبخاصة القنوات المُوجهة لمنطقة الوطن العربي وتعمل في عواصم أجنبية؛ وقد قامت بتوفير البيئة الملائمة لتلك القنوات والتي من أهم عناصرها شركات الدعاية والإعلان العالمية؛ والتي يتمركز أغلبها في مدينة دبي؛ وهو ما أدى في النهاية إلى انتقال بعض الفضائيات العربية بالكامل مثل (M.B.C) من لندن إلى دُبي.



النشر ... وهُنا تم القياس بالطريقة نفسها التي قاموا بها مع القنوات الفضائية؛ ولكن هذه المرة تم استقطاب الشركات المُتخصصة في حقوق النشر؛

وأيضاً الصُحف العربية الكُبرى المُتمركزة خارج الوطن العربي.

خدمات التسويق ... وتضم شركات الدعاية والإعلان وشركات العلاقات العامة وشركات الأبحاث الكبرى؛ كما أن هُناك أيضاً مشاريع مُهمة كصناعة الكُتب التي نشطت سوق المطابع والإنتاج الرقمي والمُوسيقي.

مدينة دُبي للإنترنت

إنَّ ثورة التكنولوجيا التي اجتاحت العالم في فترة التسعينيات كشفت عن وجود فجوة تكنولوجية في منطقة الخليج والشرق الأوسط؛ كما أن توجه الكثير من المؤسسات الخاصة والحكومية في العالم المُتقدم نحو إدارة أعمالها باستخدام التكنولوجيا ساهم في زيادة اتساع تلك الفجوة؛ فبالرغم من ضآلة عدد سُكان دول الخليج وتوافر الكثير من الأموال لديهم؛ فهم لا يزالون مُتأخرين تكنولوجياً.



غيرً أن إمكانيات المدينة وبنيتها الأساسية التي وجدت قبل ٣٠ عام لهذا الغرض وغيره تُساعدها على تحقيق ذلك الهدف وهو استقطاب الشركات

العالمية في مجال التكنولوجيا التي كانت في السابق تُدير أعمالهما في المنطقة بالريموت كونترول؛ أما الآن فقد تم توطينها ودمجها في أسواق دُبي التي استفادت من ذلك وحصلت خدمات أسرع وأرخص. وبما أن البنية الأساسية وحدها لا تكفي لتحقيق أهداف مدينة دُبي للإنترنت؛ لذا واكبتها عملية استحداث شاملة للقوانين والتشريعات المعمول بها تهدف إلى القضاء على البيروقراطية؛ وبما يكفي لجذب الشركات العالمية؛ ومن أهم تلك التشريعات الجديدة ما يتعلق بملكية الشركات والرسوم والضرائب والحصول على عمالة وحرية البيع والشراء وجميعها وضعت تحت مظلة مدينة دبي الحرة للتكنولوجيا والإعلام؛ وعلى أساسها أنشئت مدينة دبي للإنترنت؛ وما يهمنا في هذا الصدد هو استقطاب من لديهم الأفكار الجديدة في عالم الإنترنت ومنطقة الشرق الأوسط مليئة بمثل هذه النوعيات المُتميزة التي اضطر الكثير منها للهجرة للدول الغربية بهدف تنفيذ أفكارهم؛ وهُناك لديهم بيئة خصبة مُهيأة لاستقبال وتمويل الأفكار والمشاريع الجيدة.

حماه

حماه هي رابع مدينةٍ سوريةٍ من حيث عدد السكان بعد دمشق وحلب وحمص؛ إذ يبلغ عدد سكّانها نحو نصف مليون نسمةٍ.

تقع المدينة وسط منطقةٍ خصبةٍ على ضفاف العاصي وتبعد عن العاصمة دمشق ٢٠٩ كيلومترات؛ وترتفع نحو ٣٠٠ متر عن سطح البحر؛ ويمرّ فيها الطريق الرّئيسي الواصل بين دمشق وحلب. وأهمّ ما يميّزها ويقترن باسمها نهر العاصي ونواعيره؛ والذي يقسمها إلى قسمين : الحاضر في شرقيه؛ والسّوق في غربيه؛ وتتناثر بيوتها على ضفّتيه؛ وفي وسطها قلعة أثرية تحتوي على كثيرٍ من القطع الأثرية النّفيسة.



أُطلِقَ على مدينة حماه "مدينة النّواعير" لكثرتها في المدينة وضواحيها. ويعود تاريخ النّواعير إلى عهد الآراميين؛ وبلغ عددها في مُحافظة حماه ١٠٢

ناعورة؛ بما فيها ١٦ ناعورة في المدينة نفسها. وفي حماه موقعان أثريان مهمّان؛ هما قصر ابن وردان الذي يبعد ٧٠ كيلومتراً شرقي مدينة حماه؛ وقد بُني في عهد الإمبراطور البيزنطي جوستنيانوس الأوّل (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م)؛ وقلعة شيزر الواقعة على بعد ٢٥ كيلومتراً شمال غربي حماه؛ وقد وُرِدَ ذكرها للمرّة الأولى حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد؛ في عهد الفرعون "تحتمس".

نواعير مدينة حماة

والناعورة هي آلة مائية ذات حركة دائمة مُعدة لرفع الماء؛ وهي مُؤلفة من أخشاب ومسامير حديدية تغطس بالماء وصناديقها مُنقلبة فارغة وترتفع ملآنة ماء وتصب الماء في قناة ذات قناطر متعددة وتسقي به البساتين وأكثر الحمامات وبعض الدور والجوامع والخانات والمقاهي الموجودة بمدينة حماة ... ووظيفة الناعورة حمل الماء إلى مُستوى أعلى من مُستوى النهر لتيسير الاستفادة منه نظراً لانخفاض مجرى نهر العاصي في أراضي حماة عن مستوى الحوض الذي ينساب فيه انخفاضاً كبيراً قد يصل إلى سبعين متراً في بعض الأماكن؛ فقد أصبح من المُتعذر الاستفادة من مياهه إلا باستخدام وسائل الري التي تُلائم هذا الانخفاض الكبير؛ فكانت الناعورة خير وسيلة توصل إليها المُسلمون الأوائل ... وتدور الناعورة دورة كاملة كُل عشرين ثانية تُعطي خلالها ٢٤٠٠ لتر من الماء ... وقد أصبح وادي العاصي واحة خضراء بفضل هذه النواعير المنثورة على مجرى النهر والتي تُؤمن للسُكان حاجاتهم من المزروعات وتهب المدينة جمالاً أخاذاً ... كما إنها تُضفي على هذه المنطقة منظراً بديعاً يأخذ بمجامع القلوب ...

واسم الناعورة مُشتق من النعير؛ وهو صوت الناعورة؛ ولا تُذكر مدينة حماة إلا ويُقرن اسمها بالنواعير؛ فتُسمى أحياناً مدينة النواعير؛ ولم يمر بحماة

رحالة أو سائح أو زائر إلا سُر بمرآها وكتب عنها أو أخذ صوراً تذكارية لها.

قال المُؤرخ الألماني سوبرنهايم : . إن الغرب قد اقتبس صناعة النواعير من بلاد الشام فأنشأوا قُرب فرانكفورت نواعير تُشبه نواعير حماة ... ولما كان التيار المائي هو الذي يجعل الناعورة تدور فقد غدت هذه النواعير وسيلة ذكية ورخيصة الكُلفة لرفع ماء النهر إلى الحقول والبساتين المُجاورة ... وكذلك إلى البيوت والمساجد والحمامات والخانات عبر مجرى حجري عال يكون ارتفاعه أول الأمر مساويا لأعلى نقطة بالناعورة ويقوم هذا المجرى المُسمى (حجرية) على قناطر تستند إلى أعمدة قوية وتتدرج بالانخفاض حسب مُستوى الجهة المطلوب وصول الماء إليها ومن المُرجح أن إقامة هذه النواعير في حماة دون غيرها من المناطق التي يمر بها نهر العاصي يعود إلى انخفاض مجراه في حماة عن مُستوى الحوض الذي يمر فيه بحيث يصل هذا الانخفاض أحياناً إلى سبعين متراً؛ أما كُلفة الناعورة فهي ما يصرف عليها كُل عامين حين تجديد خشبها ويتوارث النجارون المُختصون بمهنة نجارة النواعير أباً عن جد هذا العمل وترتكز الناعورة على محورها أو قلبها كما يسمونه وهو قطعة صلبة جدا وضخمة من الخشب؛ وتكون مصنوعة من أجود أنواع خشب الجوز؛ ولا تُستبدل إلا كُل ثلاثين سنة.



ويُقال أن حماة هي أول مدينة في الشرق عرفت النواعير وقد وجدت صورة للناعورة على لوح من الفُسيفساء اكتشف في آثار أفاميا المجاورة لحماه تعود إلى القرن الخامس الميلادي؛ كما يذكر الخوري أسعد : أن عدد النواعير في حماة فيما مضى يفوق المائة ناعورة؛ ولكُلٍ منها اسم خاص بها؛ كما أن لها مقاييس مُختلفة تخص قُطر كُل واحدة من هذه النواعير وارتفاعها وحجم قلبها الذي تدور عليه؛ وقد اندثر مُعظم النواعير ولم يبق منها إلا عشرون ناعورة فقط؛ وكان مُعظم هذه النواعير دائراً حتى عام **١٩٦٩**م؛ إلا أن هذا العدد أخذ يتناقص مع الوقت بسبب استخدام المُحركات الآلية لرفع المياه أول الأمر؛ ثم بسبب قلة مياه النهر التي تُدير النواعير فيما بعد.

وقد لاحظ عدد كبير من الرحالة وجود النواعير في مدينة حماة مُنذ أقدم العصور حيث نجد الرحالة ابن جُبير يقول عنها :

. هي مدينة شهيرة في البُلدان؛ قديمة الصُحبة للزمان حتى إذا جست خلالها ونفرت ظلالها أبصرت بشرقيها نهراً كبيراً تتسع في تدفقه أساليبه وتتناظر

في شطه دواليبه وقد انتظمت طرفيه بساتين تتهدل أغصانها عليه.

كما أن الرحالة ابن بطوطة يقول عن حماة : . تحفها البساتين والجنات عليها النواعير كالأفلاك الدائرات ويشقها النهر العظيم المسمى بالعاصي ولها ربض سُمي بالمنصورية أعظم من المدينة فيه الأسواق الحافلة والحمامات الحسان.

أما المؤرخ أبو الفداء الذي كان ملكاً على حماة فقال عن مدينته ونواعيرها:

. حماة من الشام مدينة أزلية وهي من أنزه البلاد الشامية ... وبها نواعير على العاصي تسقي أكثر بساتينها؛ ويدخل منها الماء إلى كثير من دورها.



الفهرس